

THE BOOK WAS DRENCHED

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190269

UNIVERSAL
LIBRARY

تاريخ الرومانين

ع. من بناء رومية الى تلاشي الحكومة
الجمهورية ١٣٥٠
ن - دستور

تأليف
نجيب ارميم طراد

طبع بنفقة جرجي حنا غرزوزي
مدير المطبعة اللسانية

حق اعادة طبعه محفوظ لمولاه

طبع في بيروت بالمطبعة اللسانية سنة ١٨٨٦

المقدمة

ان التاريخ هو شاهد الازمنة ونور الحقيقة وحيوة الذاكرة ومدرسة
الحياة ورسول القدم كما قال ذلك اشهر خطباء الرومانيين فاي شيء اذا
اعظم من التاريخ واي اسان لا يحتاج اليه اذا اراد ان يكون على بصيرة في
احوال حياته الدنيا نعم هو مشكاة هدى تثير عقولنا فتقيها من العثار في
حناس الجهل ناشئة لنا فعال الاولى طونهم الارض فاصبحوا بعد العز
والفخار هباءً منشوراً لتكون اعمالهم للناس ما حيوا نصرة وذكرى تحذرهم من
ارتكاب المنكرات وتذرعهم بسوء العاقبة وشر العقاب وتحرضهم على فعل
الخير لرفع شان الانسانية وتوفير اسباب التمدن العائد على المجتمع الشري
بالراحة والسلام

ولما كان لكل شيء آفة كانت آفة التاريخ الاختلاق ولقد نطق
بعضهم عن الهوى فسقط وما كتبه في زاوية الذل والنسيان فيجب على
المورخ ان يكون عليمًا خبيرًا قد عرك الدهر وعرف طباع الالام ومكرهم
حتى اذا ما اراد تدوين حادث محضة بفكر ثاقب ونشره صحيحاً يعتمد عليه
المعاصرون والخلف

ولا يخفى ما لتاريخ الرومانيين من الفائدة والشهرة في العالم فان
الاوربيين بدرسونه في مدارسهم كعلم لا بد منه لذلك قد عنت بجمعوه

من عدة كتب انكليزية وفرنسوية وجعلتة تحفة لبني الوطن
اما لغتنا العربية فمحنة كل الاحياج الى كتب كثيرة فليت
ابناءها الكرام يقتدون بالغريبين ويقلون على
تنشيط طلبة العلم واهله فيرفعوا مناره ويخطوا
لم على جبهة الدهر ذكرًا لا يبعي ولينهم
يقرأون التواريخ بالغدو والآصال
فيدروا اسباب نجاح الامم وكيف
افلح اليونانيون وغيرهم في الازمنة
القديمة والحديثة ليحتوا مطايا
الجهد والاقدام وبما كوا
اعظم ام الارض
تدنا وفلاحا





فاتحة الكتاب

في اصل الرومانين وبناء رومية

لم يستول اليونانيون على تروادة الا بعد حروب طويلة سالت فيها على الارض فحَضَبَتْهَا دماء الابطال ومهج الرجال ولقد أظهر الفريقان في جميع المعامع التي حدثت من البسالة والبأس ما يشهد لجسارة تلك الاعصر بشبات الجنان والخبرة بالضرب والطعن عند احترام نار الوغى على ان ما رونه عنهم الشعراء وما اثبتته في هذا الشأن كتب المتقدمين مملوءة بالخرافات والمبالغات الشعرية التي لا يعول عليها المؤرخون ولا يعتد بها المحققون عند قص اخبارهم القديمة العهد . ولما كان القصد من ذكر خراب ترواده معرفة تاريخ اسلاف الرومانين الاولين او بالحري بيان نسب مؤسس رومية حسب راي الاكثرين لان ذلك كما لا يخفى بمثابة توطئة لتاريخ هذه الامة نقول بالاختصار ان أنياس وهو امير تروادي حينما كل من العراك واصبح غير قادر على رد الاعداء الذين دخلوا المدينة عنوة او بخيانة اولاد انتينور لحي مع عائلته وقسم من الترواديين الى معاقل جبل ايدا وتحصن فيها آمناً لظن ان اليونانيين سيتركونهم ويرحلون غير ان المحاصرين هدموا المدينة وجعلوا الاسلاب وقصدوا أنياس ليوقعوا به ومن تبعه فجزع جداً وارسل بسالم السلام فاجابوا طلبه بشرط ان يغادر على الاثر وطنه وتلك الربوع فسافر بجراً الى شبه جزيرة بليني في مكدونيا وبنى فيها مدينة دعاها أنيا اسكن بها قسماً من جمهور الترواديين الذين تبعوه ورحل بعد ذلك الى سيسيليا (صقلية) فترك قسماً اخر من رجاله بدر بانهم وهي مدينة

استعمر فيها قبيل وصولهم أليس واجستس فئة تروادية وظلت سفنة نهر
البحر حتى وصلت الى لايتوم وهي ارض واقعة الى الجانب الشرقي من نهر
النير وسكانها هم الأبورجين (الوطنيون) المعروفون باللاتنيين نسبة الى
ملكهم لايتنس الذي كان مالكا عليهم في ذلك الحين فعسكر الترواديون
عند مصب النهر ودعوا معسكرهم هذا ترواده تذكارا لوطنهم العزيز آملين
نيل الراحة والسلام بعد تلك المحن والاعطال

وبلغ الملك لايتنس ان اقواما غرباء قد احتلوا بلاده قصد الاقامة
فيها وكانت الحرب وقتئذ نائرة بينه وبين الرُتليين ففلق جدا واشفق على
ملكه من حدثان الدهر وفي الحال نهض بعساكر لمحاربهم ولما دنا منهم
نظر جيشا مرتبا ومتاهبا للقتال فاخذته الرعدة وخاف الفشل فرام المحاربة
قل التزال فتقدم اليه ايباس وحدثه بحديث حروبهم مع اليونانيين
وكيف انهم خاطروا بالنفس والنفس دفاعا عن ترواده مدينتهم المحبوبة الى
ان قال

ايها الملك

قد اتينا هذه البلاد نطلب مكانا نلجئ اليه ونسكن فيه بامان فامح
من يرغب في ضررك انما الضرورة قد احوجتنا ان نأخذ جبرا ما هو لازم لنا
فغض الطرف عما حدث واعلم اننا نود ان نعيضك ما اخذناه اضطرارا
وسنجهد في صون ارضك من الاعداء وشن الغارة على من يناويك ولا
نظننا نخشى قتالك ان آبيت محالفتنا اذ حربك ليست اول واعظم حرب
خضنا عجاها غير مبالين

فعجب لايتنس من شهامة وجسارة الترواديين وعرف انهم يكونون له
في الشدائد حصنا منيعا لذلك رضى بما طلبوه فانتصروا له من اعدائه
واذلوا من ناواه

وتزوج ايباس لافينيا بنت لايتنس واحبها جدا حتى انه دعا معسكره

لافينيوم بدلاً من تروادة اسمه الاول وتزوج الترواديون بنات لاتينيات
فاصبح الفريقان شعباً واحداً

وكان ترنس ابن اخ الملكة يرغب في زواج لافينيا املاً ان يتسلط
على اللاتينيين بعد موت الملك لاتينس على انه لما رأى خبيثته ونجاح انياس
حنق جداً واراد الانتقام فحضر الرتليين على قتال اللاتينيين فثارت بين
الفريقين حرب شديدة مات فيها لاتينس وترنس فاستتب الامر لانياس
وملك بلا معارض على بلاد اللاتيوم وبعد ثلاثة اعوام مات هو ايضاً في
حرب حدثت بينه وبين الرتليين والأترورويين فحسبه قومه في عداد الالهة
واقاموا ملكاً عليهم ابنة اسكانيوس من كريبوزا بنت بريام ملك تروادة
فاخذ اسكانيوس بشارايه وبدد شمل الأعداء ووطد شوكة بما ابدى من
الحمية والباس في ساحة القتال

واستبد اسكانيوس بالملك بعد هذا الانتصار وظهر من العظمة
والجبروت ما دعا لافينيا الى الحسد والخوف على نفسها وعلى ولدها الذي
كانت وقتئذ حلي به فعمدت الى الهرب سرّاً فراراً من دسائسه ومكره
واخفت في غابة عند رئيس رعاة ابيها لاتينس وولدت هناك ابناً دعته
سلفيوس ولما شاع خبر هرب الملكة اخذ الشعب يؤول الامر بما يعود على
اسكانيوس بالشين والشنار ويحط رفعة شأنه فوجب عليه اذ ذاك ارضاء
للجميع ان يبعث عن لافينيا ويرجعها الى المدينة مع ابنها الذي لم ينظر اليه
قط نظراً لآخاءه ولم يعامله معاملة شقيق في سائر الاحوال وبنى اسكانيوس
اخيراً مدينة جديدة دعاها ألبا لونفا وترك لافينيوم لسلفيوس وما ذلك
الا لكون هذه المدينة ملكاً شرعياً للافينيا قد وهبها اياها انياس اذ سماها
باسمها

اما بناء ألبا لونفا فكان في السنة الثلاثين بعد بناء لافينيوم وملك
اسكانيوس اثنتي عشرة سنة على ألبا ومات مخلفاً ابنة ايلوس الا ان اللاتينيين

ابنوا الانقياد الى ايلوس وكرهوا انقسام المملكة الى شطرين فملكوا سلفيوس على جميع البلاد زاعمين انه احق بالملك من غيره لانه حفيد لاتينس وارضوا ايلوس بجعله رئيساً على كهنتهم ومديراً للمعابد والدين

وتمتع الشعب بالراحة والسلام نحو اربعمئة سنة فلم يحدث حينئذ حادث مهم يحملنا على بسط الكلام في تاريخ هذه المدة لذلك نختزى بذكر اسماء الملوك الذين ملكوا بعد اسكانيوس ومدة ملك كل منهم

ملك سلفيوس	٢٩ سنة	وخلفه	ابنه انياس سلفيوس
" انياس سلفيوس	٢١	"	" لاتينس سلفيوس
" لاتينس سلفيوس	٥١	"	" ألبا
" ألبا	٢٩	"	" كابتس
" كابتس	٢٦	"	" كابس
" كابس	٢٨	"	" كالبتس
" كالبتس	١٢	"	" تيرينيس
" تيرينيس	٨	"	" اغريبا
" اغريبا	٤١	"	" ألابيوس
" ألابيوس	١٩	"	" افنتينس
" افنتينس	٢٧	"	" بروكاس
" بروكاس	٢٢	"	"

وكان لبروكاس ابنان اسم احدهما نوميتور واسم الاخر اميليوس فلما مات اوصى بالملك لنوميتور لانه البكر

ويظهر ان اميليوس كان اشجع واقدر من نوميتور واكثر منه مكرًا واسمى فطنة ومديراً فلم يحفل بحقوق اخيه الشرعية ولم يبال بوصية ابيه بل خلعه عن سرير مملكته واستبد بعده بالملك ظالماً وحتم عليه ان يعيش معزلاً عن السياسة والناس ولكي يوطد سلطته ويامن كل مازع له عمد

الى ابادۃ نسل اخيه فقتل اجنسس ابنة الوحيد ومنع ابنته رياسلفيا من
الزواج بان جعلها تندر العفة وتخرط في سلك العذارى المقيتات في هيكل
فستا لخدمة هذه الالهة وعبادتها غير ان حذره هذا لم يجده نفعاً لان رياسلفيا
لم تحافظ على العفة بل حبلت وولدت توأمين وحينما شاع خبر حملها اذاعت
ان المريح اله الحرب قد فض بكارتها لتنجو من الفصاص الشديد المعد
لاولئك العذارى خادما فستا عندما يرتكبن فاحشة ولما علم اميلوس
بما حدث غضب جداً وامر بقتل ابنة اخيه وقيل لم يقتلها بل امر بسجنها سجنًا
مؤبدًا اما ابنها اللذان ولدتهما فوضعا في سبط والقيا الى نهر التيبير وظل
السبط عائمًا الى ان صدمه حجر بالقرب من ضفة النهر فقلبه وسقط الطفلان
على الارض ويزعم الرومانيون ان ذئبة سمعت بكاءهما فاقلعت اليهما وبامر
الالهة ارضعهما والصحيح ان اكا لورنسيا زوجة فوستيلس رئيس رعاة الملك
الملقبة بالذئبة قد اخذتهما وارضعتهما الى ان ترعرا واعنت بهما غايه
الاعنتاء وقد سماها فوستيلس روملس ورمس وارسلها الى مدينة غاي في
اللاتيوم ليتعلما علوم وآداب اليونانيين لانه على ما يظن كان عالمًا بامرهما
فاراد ان بريهما تربية حسنة ويهديهما تهذيبًا يليق بهما فدرعا في كل ما تعلماه
وكانا مهيبين تلوح عليهما سمات العظمة والناس فخافهما جميع سكان البرية
وانقادوا لها طائعين وحدثت مشاجرة بين رعاة اميلوس ورعاة نوميتور
فانتصر الاخوان لرعاة نوميتور واذاقا رعاة اميلوس الويل والنكال
فصبر هولاء على الذل وفي قلوبهم من روملس ورمس حزازات لا
يشفيها سوى الانتقام منها فاتفقوا يرقون الفرصة ويعيثون عن الوسائل التي
تبلغهم ما ربهما

وفي احد الاعياد بينما ذانك الاخوان كانا يجريان بعض امور دينية
احاط المغلوبون برمس من كل جهة وقادوه اسيرًا الى نوميتور الذي كان
ينفق اكثر ساعاته في البرية وشكوه اليه قائلين ان هذا الرجل ظالم متعدي

لا يرعى علينا حرمة ولا يحفظ لنا ذماماً فعامله ابها الامير حسماً بامر العدل
والانصاف واكفنا جوره وفجوره فهم نوميتور بقتل رمس بعد ما استاذن في
ذلك اخاه اميلوس الا انه ارجأ تنفيذ الحكم اشفاقاً على راعٍ اظهر من
الشجاعة والمروءة ما تعجب عنه الفرسان المعدودة وابتدى من الصفات الحميدة
ما ينزهه عن دناءة الرعاة ولما خلا معه سألته عن وطنه وابويه فاجابه رمس
لا علم لي بذلك انما الراعي الذي رباني مع اخي روملس اخبرنا اننا توأمان
وانه قد وجدنا مطروحين على صفة النهر فاعشني تربيتهما شفقة منه علينا
ولما سمع نوميتور هذا الحديث ذهلت وتذكر حنيديه وراى عمرها وهو ثمانى
عشرة سنة يوافق المدة التي طرح فيها الاميران وها طفلان في نهر التير
فتحول حينئذ غصه على رمس الى حواشيه وتدلّت تهديداته بالوداد
العظيم وكاشفه سر مولدها واطلعه على حقيقة حالها وارجعه الى البرية ليدبر
مع روملس على الاخذ بالثار وحدث في اثناء ذلك ان روملس لما راى
اخاه ابطلاً قلق جداً واراد الذهاب على العور لتكبل من غدره وارداً
من هو باس فرده فوستيلس واخبره بما كان بحيلة من امر ولادته وخيانة
اميلوس فنارت به الحمية وعمد الى خلاص جده وامه واذا كان يجمع
الفلاحين ويعمل كل ما هو لازم للبلد ما ربه اقبل عليه رمس واعلمه ما كان
فتواطاً على ذلك وهما بغتة على المدينة والقصر بهن معها من الرجال وقتلا
الحراس وذبحا اميلوس الذي ملك اثنتين واربعين سنة وارجعا جدها
نوميتور ملكاً على البنا ولما راى نوميتور ان البنا قد ضاقت باهلها وبحيش
روملس اشار على حنيديه ان يسبى مدينة بالقرب من التير حيث طرحتها
الامواج فرضيا بما اشار به عليها فاعطاها ادوات وآلات كثيرة لحرث
الارض وعمداً وبها تم للخدمة واذن لها ان ياخذ من رعاياه من اراد منهم
ان يتبعها وازاد روملس ورمس الى من تبعها من البنا سكان مدينتي
بلتيوم وساتورنيا وقسما رجالها الى فرقتين تولى كل واحد امر فرقة وذلك

لنسهل العمل وحسن ادارته ولما عزمنا على تاسيس المدينة وقع بينهما الشقاق
واختلفا على المكان الذي يجب بناء المدينة فيه فتفاضيا في الامر الى نوميتر
فاجاب بوجوب رجح النظر لاستشارة الالهة فانفقا على ان الذي ينظر قبل
الاخر عقاباً او يبصر عقاباً اك رس اخيه تكون الالهة قد حكمت له وبكراً
في اليوم المعين ووقف كل واحد في المكان الذي يريد بناء مدينة فيه واقاما شهوداً
يشهدون بما يحدث اما روملس فلقي بغش اخاه او لكي يلهمه ارسل رسلاً
بحرته انه رأى عقاباً وقيل وصول الرسل الى روملس نظر هذا حقيقة ست
تصل فركض الى اخيه ليتحقق صدقه ولما وصل الى هناك ابصر روملس
اتني عشرة عناناً فصرخ لرمس فرحاً وأشار اليه بيده قائلاً انظريا اخي
واحكم تصدق ما اخبرتك رسلي به غير ان رمس علم اخيراً بجداعه فكان
ذلك داعياً الى الخصام وحازب كل واحد من الثوم رئيسه واشتد النزاع
حتى آل الامر الى القتال ولما حي الوطيس بادر فوستيلس الى اطفاء
نار الفتنة فوئج بين التريقتين ليردهما فصره احد المتحاربين ضربه سقته
كاس المنون

ويطس بعض المؤرخين ان رمس مات في هذه المعركة ويؤكد البعض
الاخر ان رجلاً اسمه فايوس قد قتل لانه وسب فوق سور المدينة احتقاراً
لها ويقول فايوس ان روملس نفسه قتله

وقيل ان شرعوا في بناء المدينة على جبل بالانيس قدموا الذبايح
للآلهة واشعلوا البيران امام خيامهم ووثب جميع الحاضرين في تلك البيران
ليتخطوا واحفر واخذوا حول المكان الذي تعقد به فيما بعد جمعياتهم
وطرحوا فيه اثماراً وتراًماً اتوا به من بلاد اخرى ودعوه
« موندس » اي العالم وحعلوه المركة الذي ستمنى حوله المدينة وقرن
روملس سورين وشق الارض ثلثاً واحداً على هيئة مربع ليعين دائره المدينة
الي سموها رومية ونى السور على هذا التام

وقد اختلف المؤرخون في تاريخ بآء رومية قال فروانها شيدت في
السنة الثالثة من الالومبياد السادس اي سنة ٤٢١ بعد خراب تروادة ان
سنة ٧٥٢ ق م ويظن الرومانيون ان بآء ها كان في ٢١ نيسان اي في
عيد بآء الهة الرعاة لذلك كانوا يعيدون العيد في يوم واحد

الباب الاول

في ملوك رومية وهم سعة
من سنة ٧٥٢ الى سنة ٥١٠ ق م
او من سنة ١ الى سنة ٢٤٢ ب ر

الفصل الاول

في ملك روملس
من سنة ٧٥٢ الى سنة ٧١٦ ق م
او من سنة ١ الى سنة ٢٧ ب ر

لما اتم روملس بناء المدينة جمع الشعب وخاطبه بما معناه
لو كانت قوى المدائن منحصرة في علو اسوارها وعمق خنادقها لوجب
علينا ان نخاف اشد الخوف على ما اتمنا بناءه الان اذ لا يعسر على المقاتل
الحبار ان يتسور الاسوار ويهدمها مها علت ومادا تنفع الحصون لدى
الفتن والحروب الاهلية نعم انها تحمي الشعب من عدو غريب يدهم بغتة

ولكنها لا نستطيع رده وقهره فليكن انكالكهم على الشجاعة والنظنة والتدبير
لتنالوا الظفر والزموا الاتحاد والعدل لتمنعوا الشقاق ان يسري بينكم ونطفئوا
نار الفتنة الاهلية لانه كم مدن حصينة قد سقطت في ايدي اعدائها لجبن
اهلها وانقسامهم فاصرفوا همكم اذا لتنظيم الجنود ومراعاة القانون تامنوا كل
غائلة واعلموا ان نجاح الامم متوقف ايضا على امر اخر مهم جدا وهو اقامة
حكومة ثابتة . فاعلموا ما تروثه حسنا لانني خاضع لكل ما ترومون اجراؤه
واعد تسميتكم المدينة باسمي شرفا عظيما لا احرمة الى الابد

وحينما فرغ روملس من كلامه ونظر الشعب الى شجاعته وشهامته رضية
ملكاً على رومية والى اليه مقاليد الامور

واحصى روملس بعد ذلك قومه فبلغ عددهم ثلاثة آلاف راجل وثلثمائة
فارس فقسمهم الى ثلاثة اقسام متساوية واقام على كل قسم رئيساً وقسم ايضا
كل قسم الى عشر فرق واقام لكل فرقة قائداً وقسم ارض رومية الى ثلاثة
اقسام غير متساوية وخصص قسماً منها بخدمة الدين وجعل قسماً اخر لنفقة
الملك والباقي وهو القسم الاكبر اعطاه للشعب

وقسم الشعب الى شرفاء وعوام وخص بالاولين كل المناصب العالية
وسمح لكل واحد من العوام ان يختار ولياً له من ارادة من الشرفاء
ووضع قانوناً لهذا الامر مآله انه يجب على الولي ان يدبر اعمال تابعه وان
ينجده في الملمات وان يدافع عن صواحوه متى مست الحاجة وعلى التابع اذا
كان الشريف فقيراً ان يقوم بجهاز بناته لما يتزوجن وان يفي دينه ويفد به
او يفدي اولاده اذا اسروا في الحرب ولا يسوغ لاحد منهما ان يشكو الاخر
ولا ان يشهد عليه واذا اتى امره ذلك بعد خائناً ويكون دمه مهدوراً
وشكل روملس مجلساً عالياً مؤلفاً من مائة عضوليعينه على السياسة الخارجية
وتدبير امور الشعب ونظم من الفرسان حرساً ملوكياً ومنع في شرائع النساء
عن شرب الخمر على الاطلاق والرجال عن التزوج باكثر من امرأة واحدة

وجعل المرأة ترث زوجها اذا مات ولم يكن لها اولاد واذا مات عن اولاد
فلها من الميراث كواحد منهم وفرض على البنتين الخضوع التام لآبائهم
واعطى الاباء حقاً ان يتصرفوا بينهم كما يشاءون وان يبيعوهم عبيداً اذا
أرادوا ومنع الوطنين من مباشرة الاشغال التي لا تلزمها حركة عظيمة
وخص هذه الاعمال بالغرباء والعبيد وفرض على الرومانيين جميعاً اما
التجند لحماية الوطن وخدمته او حرث الارض وجعل مدينته ملجأ للذين
وحى لمن اثقلت الديون كاهله فتقاطرت اليها اللصوص والقتلة من كل
فح وأناها من سئم الحياة في وطنه ولم يكن لأكثر الرومانيين نساء فسأل
الملك الصابنيين والامم المجاورة ان يرخصوا لرجالهم التزوج بناتهن فرفض
الصابنيون طلبه وردوا رسالة قائلين لو جعل روملس مدينته ملجأ للعواهر
والمجاري كما جعلها حتى للصوص والقتلة لاكتفى ذل السؤال وحصل على ما
يروم ولما بلغ روملس هذا الجواب وغر صدره عليهم وأراد الانتقام مصماً
على خطف بناتهم وتزويج رجالهن غصباً وحدث بعد ذلك انه بينما كان
قوم يحفرون بالقرب من رومية وجدوا مذبحاً تحت الارض للاله كونسس
اله المشورة فعزم روملس على الاحتفال بعيد هذا الاله وإجراء ألعاب
عمومية وإعلن ذلك للصابنيين فهرعوا الى رومية رجالاً ونساءً فبالغ
الرومانيون في أكرامهم وعمل كل ما يرضيهم مدة ايام العيد الا انه في اليوم
الاخير بينما الألعاب كانت جارية وإبصار المتفرجين شاخصة اليها هم
الرومانيون على البنات الصابنيات وخطفوهن قوةً وإقتداراً ولم يستطع
الصابنيون المدافعة عن بناتهم لانهم كانوا عزلاً لذلك ولوا منهزمين .

وفي الغد جمع روملس البنات الصابنيات وكلهن قائلاً

لم يخطفكن الرومانيون امس ليتز وجوكن سفاحاً بل لتكن لهم حلائل
طاهرات وإن هذه الطريقة ما لوفة في بلاد اليونانيين وهي تعود بالفخر
على النساء أكثر من غيرها فحنفن غضبكن والاحزان ولو فرض ذلك ذنباً

فالذنب راجع بلا ريب الى آباءك الذين رفضوا طلبنا باحتقار وما
عليك ان سوى محبة رجال يعدون زواجهم بكن سعادة عظيمة ومعلوم
ان الخطأ والاساءة الى شخص قد يكونان سبب صداقته ووداده فستشاهدن
من بعولكن حباً ينسكن آباءكن والاوطان

وارسل الصابنيون رسلاً الى روملس يسألونه رد بناتهم لانهم لم يريدوا
خوض عجاج الحرب قبل استعمال الوسائل السلمية فأبى روملس اجابة ما
سألوه اياه وطلب اليهم ان يعلنوا رضاهم التام بهذا الزواج وبينما المخارات
كانت جارية في هذا الشأن نهض اكرود ملك سانيئا واغار على
الرومانيين وكان اكرود فارساً مغواراً وقزماً شجاعاً وسبب حربه انه لما
راى تقدم الرومانيين وما اظهروا من الجسارة في خطف بنات الصابنيين
خاف على ملكه منهم واراد اذلالهم قبل ان تقوى شوكتهم فخرج اليه روملس
بجنوده ونشب القتال بين الفريقين ودام رهق الى ان التقى الملكان وطلبا النزال
فافترق الجيشان بنظران ماذا يكون ونذر روملس على نفسه انه اذا غلب
خصمه يقدم اسلابه غنيمة لجوبيتر فنشط حينئذ لانكاله على الالهة وطعن
اكرود طعنة عجلت باجله ولما راى السابنيون رئيسهم قتيلاً ولوا منهزمين
فلحق بهم الرومانيين ودخلوا مدينتهم ظافرين واعطاهم روملس الأمان
غير انه هدم سانيئا ونقل سكانها الى رومية ومنحهم حقوقاً كالوطيبين ووفى
نذره لجوبيتر بان بنى له هيكلًا صغيراً وضع فيه اسلاب اكرود واخضع
بعد ذلك الأتمنيين ونقلهم الى رومية وارسل قسماً من شعبه يسكن بمدنهم
واشتهر روملس في الشجاعة والحلم فتسابق الاتروربون في الخضوع له
اختياراً

واضاف روملس الى المدينة راية ساترنوس المدعوة بالكايتوليس
وبنى على قمته قلعة حصينة واحاطها بالاسوار والاراج المنبعة وكل هذه
الحصون كانت عالية تشرف على المدينة وعلى الاراضي المجاورة اما الصابنيون

فلم ترهيم قوى روملس المتكاثرة ولم ترعهم جنوده ولا حصونه بل زحفوا الى رومية بجيش عرمرم جرار يتقدمه ملكهم طيطس طاطيس آملين الاخذ بالفار وارداء الاولى السوم العار بخطف بناتهم فجمع ملك رومية العساكر ورتب الجنود التي امده بها جده نوميستور والأتروريون وصف جيوشه هذه على رايته اسكيلوس وكويرينالس واقام ينتظر الصابينين ليوقع بهم وعسكر الصانيون عند سفح راية ساترنينوس ولم يحسروا على مقابلة الرومانيين لان مراكز هولاء كانت جيدة فباتوا يطوفون حول تلك الراية لعلمهم يجدون أباً يلجونه وكانت طاربايا ابنة حاكم الحصون قد نظرت الى الصابينين ورات في سواعدهم واصابعهم اسورة وخواتم فادشها ذلك المنظر ورغمت في الحصول على تلك الحلى فارسلت احدى جواربها تسال قائد الصابينين مقابلتها في مكان عيبته له ولما ادلم الليل اقبل طاطيس الى المكان المعهود واتفق معها على انه يفتحها ما ترغب فيه بشرط ان تفتح لجوده احد ابواب السور غير ان طاربايا تدمت بعد ذلك على ما فعلت وارادت تحويل خيانتها الى شرك توقع فيه الاعداء فسألت روملس ارسال فرقة من العساكر لحاربة طاطيس فاثلة انه يامل الدخول الى القلعة من باب ستفحه له على ان الرسول المرسل من قبلها لا بلاغ روملس ما طلبته خانها واخبر ملك الصابينين بما درست فانها في الوقت المعين بعدد عديد من العساكر والفرسان واستولى على قلعة وحصون رابية ساترنينوس اما طاربايا فقد قتلها الجنود لانهم رموا بمجانهم عليها ايما بوعدهم كازعمل لذلك دعا الشعب تلك الراية طار دس وقد عرفت بهذا الاسم الى ان سموها كايبتوليس كما ستعلم

وامن الصانيون باستيلائهم على الحصون غوائل الحرب ومضت مدة لم يحصل فيها سوى مناوشات خفيفة لا تذكر الا ان الفريقين صمما بعد ذلك على الحرب والكناح فحجرت بينهما ليلاً موقعة لم يخسر فيها احد مركزه وفي

الموقعة الثانية فاز الرومانيون بادئ بدء وكسروا جناحي اعدائهم ولما رأى مانيوس كورنيوس القائد الصابي نهقر قومه هجم على وسط الجيش الروماني ليتمكن جناحي جيشه من الاجتماع فكسره ولحق بالمنهزمين الى ابواب رومية وحينما ابصر روملس ذلك رجع وهجم على كورنيوس فالتقاء هذا وصده واشغله بالقتال حتى سهل لاصحابه الانضمام والرجوع الى معسكرهم ودامت رحى الحرب دائمة حتى تبارز القائدان وجرح كورنيوس جراحاً قوية فوهن ونظر واذا هو محاط بالاعداء من كل جانب فرمى بنفسه الى بحيرة كانت هناك فتركه روملس وانصرف لقتال الصابيين ظاناً انه يغرق فيها اما كورنيوس فخلص من الموت بما خيل سبب موته ودعي ذلك المكان بحيرة كورنيوس وضايق روملس اعداءه وهجم عليهم هجمة الاسد الرئبال فذعروا وولوا هارين والتجأوا الى القلعة وتبعهم الرومانيون راجعين استرجاعها حيثئذ اخذ الصابيون بدحرجون عليهم الاحجار من قمة الراية فاصاب روملس حجر كاد يذهب بجانيه فوقع مغشياً عليه ولما رأى قومه ما اصابه حملوه ورجعوا الى المدينة منهزمين امام الصابيين وحينما افاق جمع الجنود وخرج للقاء الاعداء وقبل ان ينشب القتال انت النساء الصابيات ناشرات شعورهن وحاملات اولادهن واعترضن بين الفريقين باكيات يسالن بعولهن واباءهن ان يكنوا حرباً تعود عليهن بالوبال

وقد روى ديونسيوس ما حدث قال ان الفريقين لم يبق لهم طاقة للقتال بعد تلك المعامع والحروب فاخذ الصابيون يفكرون فيما يلزم اجراءه مترددين في هل يرحلون بعدما يخربون اراضي الرومانيين او يطلبون مدداً من مدنها لتجديد الحرب وقهر الاعداء وهكذا بات الرومانيون لا يدرون ماذا يفعلون لانهم يعلمون علم اليقين ان اعداءهم اشداء وقادرون على تعويض خسارتهم باكثر سهولة منهم اما النساء التي جرت الحرب لاجلهن فاجنبهن وقررن ان يتوسطن الصلح بين الامتين وعرضن ما قررنه

للملك والمجلس فأذن لهم في ذلك بشرط ان يغادرن في المدينة اولادهن
فلبسن المسح وتركن الزينة والحلى وخرجن الى معسكر الصابيين ولما وصلن
اليو رمين بانفسهن على ارجل انائهن واقربائهن واخذن في البكاء والعيويل
فتمركت الشفقة في صدور الجميع وعقد الملك طاطيس مجلساً من قواده
وعظائه لهذا كره في هذا الامر فوقفت احدى النساء المسماة هرسيليا وخطبت
قائلة

اذا كنتم قد فتحتم هذه الحرب حياء بنا نساءكم ان تكفوها شفقة
عليها ورحمة لاولادنا نعم اننا قد خطفنا من ايدي اماننا ظملاً انما الذين
خطفونا هم الان ازواجنا وقد اهلتم خلاصنا مدة طويلة فغدونا مرتبطات
مع الاولى كنا نغضهم باوثق عرى الوداد واننا لنخاف عليهم الان ان عرض
لهم خطر ويندمهم ما حيينا ان قضا اجلهم في ساحة القتال وانكم لم تاتوا لناخذوا
بشار عذارى وتكسبوا عارهن بل انتم لسلب نساء من رجالهن وخطف
امهات من اولادهن ففعلكم هذا لا بعد خلاصنا بل اسراً اشد وبلا
علينا من اسرنا الاول

ولما كان الصابيون قد ملوا القتال لما لقوا من احواله رضوا بكف
الحرب واجتمع روملس وطاطيس وعقدا صلحاً بموجب عهدة ما لها ان
كلا الملكين يسكن في رومية ويكونان متساويين في السلطة وانه يسكن
فيها ايضاً من اراد من الصابيين ولا يكون بينهم وبين الوطنيين فرق في
الحقوق ويبقى اسم المدينة رومية الا ان سكانها بدعون كورنس وهو اسم
خاص بالصابيين وشكل طاطيس لنفسه مجلساً عالياً مؤلفاً من مائة عضو
له ذات حقوق وامتياز مجلس مؤسس رومية والتأم كل من المجلسين بادئ
بدء في قصر ملكه غير انها التأم اخيراً سوياً بالقرب من هيكل فولكانس
وقد دعي ذلك المكان لالتئامها فيه كوميتهوم اي محل الاجتماع
ولم ينس الرومانيون احسان النساء الصابيات اليهم كيف ولا وهن

اللواتي خلصنهم من ورطة الحرب ووسعن نطاق المملكة بالعهد التي تمت على يدهن لذلك اكرموهن جداً ورفعوا مقامهن ولم يسمح لروماني ان يتكلم كلاماً غير ادب في حضرتهم وأذن لهم ان يعلقن في اعناق اولادهن كرات ذهبية تميزهن عن باقي الاولاد وان يلبسنهم لباساً لا يمكن غيرهم لبسه

وعاش الملكان خمسة اعوام في اتحاد تام وكان روملس ساكناً على رابية بالاتييس وطاطيس على رابية طاريس وسكن الصابنيون الذين هاجروا الى رومية على الرابية التي دعواها كورينالس تذكارة للمدينهم كورس او تبركاً باسم الهم كويرس واصبحت الارض الواقعة بين راييتي بالاتييس وطربايس سوقاً عمومياً للامتين المتحدتين سموه فورم وكابوا يجتمعون فيه ايضاً للذاكرة في الامور السياسية

واغار الكامريون على اراضي رومية فحاربهم الملكان وكسراهم ونقلوا من مدينهم كامريوم اربعة الاف نفس وارسلوا من رومية جماعة تسكن هناك بدلاً منهم وحدث ان البعض من رعايا طاطيس غزا اللافنيين فارسل اللافنيون رسلاً الى رومية يدلبون ارضاً وتعويضاً مما خسروه فارتابى روملس ان يسلم اليهم المعتدين غير ان طاطيس رفض ذلك وقال انه ليس من العدل ان يسلم قوماً رومانيين الى الغرباء وانه من الواجب على المتظلمين ان ياتوا رومية ويرافعوا خصومهم فيها وحدث ايضاً انه بينا اولئك الرسل كانوا راجعين الى اوطانهم غدر بهم اللصوص المشار اليهم وقتلوا بعضهم وشتتوا الباقيين ولما جدّ اللافنيون شكواهم قبض روملس على المذنبين وسلمهم اليهم من غير ان يعلم طاطيس ما فعل فعده طاطيس ذلك من باب الاهانة ونهض ببعض فرسانه ولحق باللافنيين وخلص رجاله من ايديهم

وكان ملكا رومية يذهبان كل سنة الى لافنيوم ليقدا القرابين لبعض

آلهة تروادية بزعمان انها تحي مملكتها واذا كانا يقدمان الذبائح في هذه السنة
كما جرت العادة هجم بعض اقرباء واصدقاء اللافنيين المفتولين على طاطيس
وذبحوه عند المذبح فاحضر روملس جثة رفيقه الى رومية ودفنها بكل اكرام
على جبل افنتينس

واستتب حينئذ الامر لروملس وملك وحده بلا معارض ففنى من
المدينة قتلة الرسل اللافنيين ودعا الى رومية قاتلي طاطيس وبعد ما
فحص دعواهم صرفهم بلا قصاص لانهم حسبوا ارياء اذا ما اتوه كان انتقاماً
عادلاً لا يوجب عليهم عقاباً

وجاهر الكمربون بالعصيان فاخضعهم روملس بعد قتال عنيف
ونقلهم الى رومية وارسل الى كمربوم بدلاً منهم فئة رومانية وقهر الفدنيين
واخذ مدينتهم واسكن فيها قوماً من الرومانيين وتصدى له في حروبه هذه
النيون فقاتلهم وانتصر عليهم واسر منهم جما غفيراً ولما راوا ما آل امرهم اليه
ارسلوا رسلاً يسالونه السلام فاجابهم الى ما سألوه اياه وعقد معهم صلحاً لمائة
سنة فسلموا اليه بعضاً من مدتهم الصغيرة الواقعة على ضفات نهر التيبر

ومن العجب العجيب ان روملس الذي كان صارفاً همة في توسيع نطاق
مملكته وباذلاً جهده في اخضاع الامم المجاورة لمدينته لم يستول على ألبا
حين موت جدّه نوميتور وهو وارثه الشرعي الوحيد بل تركها متمتعة بالحرية
والاستقلال مكتفياً بان يكون له الحق ان ينصب كل سنة حاكماً بسوس
شعبها ويدبر اعمالهم ويظهر ان روملس بعد نصراته العديدة وفوزه العظيم
احقر ابناءاً جنسه ونكبر مستبداً بالملك وغير مبالٍ بالعطاء والآباء
(هذا لقب اعضاء المجلس العالي) فانتموا من اعماله هذه ووغرت صدورهم
عليه وعمدوا الى الانتقام منه باية وسيلة كانت

وفي اليوم السابع من شهر تموز في السنة السابعة والثلاثين من تأسيس
رومية والستين وقيل الخامسة والخمسين من عمر روملس عرض الملك

جيشه خارج المدينة في سهل هناك وحضرت الآباء هذا العرض فاخذ الملك يخاطب العساكر وبينما هو يخاطبهم هبت الرياح وعصفت وهطلت الامطار فتفرقت الجنود ولم يبق سوى الملك واعضاء المجلس فاحاطوا به من كل جانب وقتلوه واخذوا جثته واشاعوا ان الآلهة قد نقلته الى السماء في مركبة نارية فسرت الجاهل بهذا الخبر وصدقته اما العاقلون فتوسموا فيه خديعة وكذباً وكان يوليوس بروكيلوس احد الآباء رجلاً معبراً مشهوراً له بالصدق ومعروفاً انه صديق روملس الحميم فهذا سأل المجلس ان يتم الخديعة ففعل ولما كان الشعب مجنباً قص عليه ان روملس قد ظهر له بغتة خارج المدينة فنظر اليه واذا هو لباس سلاحاً يحطف الابصار بهريقه ومنظره كمنظر الآلهة فتخشع عند رؤيته وخاطبه بهذه الكلمات

— لماذا ايها الملك ولائي ذنب قد تركتنا هدفاً لسهام المرجنين الاولى رمونا باعظم واقبح التهم ولماذا غادرت مدينتنا وخلفت لنا بعبادك النوح والاشجان . فاجابه روملس — قد ارادت الآلهة يا بروكيلوس ان اعيش بين الناس لارفع شان رومية الى اعلى درجات المجد والبخار ولما تم ذلك قد رجعت الى السماء من حيث اتيت فاذهب وحرّض الرومانيين على محبة القناعة والتمرنات الحربية لانهم يهذبون الامرين سيملكون يوماً جميع الارض

ولما سمع الشعب هذا الكلام انتبه جداً وقرّر عبادة روملس كاله ودعاه كوبرنس وهكذا سرّ المجلس ان يضع في مصاف الآلهة من لم ير ضه ملكاً على رومية

الفصل الثاني

في ملك نوما

من سنة ٧١٥ الى سنة ٦٧٢ ق م

او من سنة ٢٨ الى سنة ٨٠ ب . ر

ومات روملس ولم يكن له عقب فاجتمع الشعب واجمع على انتخاب ملك يتولى عرش رومية غير انه لم يتفق على الرجل الذي يجب انتفاؤه لهذا المنصب الخطير فتفرق بعد الاجتماع احزاباً متباينة الآراء وكان الرومانيون الاولون مؤسسو المدينة يطلبون تولية احدكم لظنهم انهم أحق بذلك من الصانيين فخالفهم هولاء وحسبوا الانقياد لهم فيما يرومونه اهانة وعاراً فاغتنمت الآباء اعصاء المجلس هذه الفرصة وقضوا على زمام الاحكام مدة عام واحد مقسمين الى عشر فرق تتناوب الحكم على التوالي ولما تمادى بهم الامر وكره القوم هذا الانقسام وتلك الحالة الشبيهة بالحالة الفوضوية عمدوا الى تنصيب ملك عليهم ونفوا النزاع بان جعلوا الرومانيين بخنارون ملكاً بشرط ان يكون المختار صابئاً

وكان في صابنيا رجل شريف اسمه نوما بوميليوس مشهور بالفضل والتقوى ومحب للعزلة لا تستفرغه السلطة على الناس ولا يروم غير التسلط على امياله وكبح جماح شهواته البشرية وكانت امرأته طاطيا ابنة الملك طاطيس لا تحب المجد الدنيوي وتوثر الراحة في العزلة على الفخار والاکرام في قصور الملوك فعاشت معه في كورس ثلاثة عشر عاماً ولما قضت نحبها زاد اعتكاف نوما على العبادة والتأمل في طبائع الآلهة فغادر المدينة وعاش

في البرية منفرداً ياوي الكهوف ويتردد الى البنايع والعيون المقدسة
 فهذا اتخذه الرومانيون لينسلط عليهم وارسلوا اليه الابوين يوليوس
 بروكيلوس الالباني وفالريوس فولس الصابني ليخبراه بذلك فالي قبول
 ما عرضاه واجاب الرسولين قائلاً حيث ان النجاح في التغيير غير اكيد فمن
 الجنون اذا كان المرء موسراً وحاصلاً على كل ما هو ضروري له ان
 يتطلب تغيير حالته المحاضرة او ان يرضى بذلك التغيير لانه يكون قد اثر
 امانه على راحته المقررة ومن ينكر ما دون التسلط على الرومانيين من
 العناء والعذاب الم تر يا كيف انهم ظنوا روملس قد قتل طاطيس رفيقه
 وكيف انهم اتهموا المجلس بقتل الملك مع انهم يحسبون روملس سليل الله
 قد حفظه في طفولته من الاخطار بطريقة عجيبة اما انا فانسان قد اشهر
 بصفات لا توهله ان يسوس الناس ولا ان يدافع عن روية ويصونها من
 اعدائها الكثيرين فهي تحتاج اشد الاحتياج الى امير مغوار شجاع واي منفعة
 ياترى ياملها الشعب من ملك يصرف همه في توطيد السلام والعدل وحث
 الناس على التقوى ولا ريب ان اميراً كهذا يكون محققاً من رعاياه الذين
 دابهم الطمع وشن الغارة على السوى

فرغب اليه الرسولان الا برفض طلب الرومانيين كي يتقدم من
 النزاع الدائم والشقاق والح عليه ابوه وصديقه مارسيوس في قبول ما قدم
 له قائلين هب امك راضٍ بمحالتك المحاضرة ولا تود السلطة والاموال
 ألسنت تحفل بامر الآلهة التي عينتك ملكاً ولعلك نظن انها قد انارت
 قلبك بحجة العدل لتقيم في البرية بلا فائدة فسرير الملك هو المقام العالي الذي
 تتلأأ منه انوار الفضيلة جاهدة في جذب قلوب الناس اليها واخضاعهم
 لسلطتها ألم تنظر الى اكرام الرومانيين للملك طاطيس وحبهم لروملس
 الذي عبده بعد موته ولربما تقفرومية اترك فتنخض جناح كبريائتها
 وتنزع منها محبة الحرب والغارات عاكفة على التقوى والعبادة فاقنع هذا

الفيلسوف بما قيل له ورضي بما طلب اليه وبعد ما قدم القرايين للآلهة
مشى الى المدينة فالتقاء في الطريق اعضاء المجلس وهم فرحون به منهللون
لا تنفاه

ولما وصل الى رومية لم يرد بادىء بدء ان يلبس لباس الملك بل
ذهب نوا الى راية طاريس ليستشعر الآلهة وجلس على حجر هناك متجهاً
الى الجنوب ومغطياً راسه ببرقع ووقف رئيس العيافة وراؤه ماداً يده
اليمنى فوق راسه ومصلياً له ثم نظر الى السماء متيمناً فرأى بعض طيور تنال
بها الحاضرون وعدوها دليلاً على قبول الآلهة بهذا الانتخاب فنزل الملك
حيثئذ من الراية وذهب الى البيت المعد له واخذ من ذلك الوقت في
تهذيب الشعب وتوطيد السلام وزرع الالفة بين الجميع ووسع المدينة بان
مد أسوارها حول الراية كورينالس

قال بليئار كوس ان نوما كان يعتقد باله واحداً واجب الوجود غير
متغير وغير منظور ولذلك منع الرومانيين من تمثيل الهتهم بصورة رجل
او بهيمة ومنعهم ايضاً من ذبح الذبائح وفرض عليهم فقط تقديم قرايين
للآلهة من خبز وعسل وخمر ولبن

ورتب المعابد ونظم الكهنة وكثر الاحتفالات الدينية ليسر الشعب
وبشغله عن الحروب والاطماع وبنى هيكلًا للاله جانس رب النطنة
والنديير واله ابتداء كل عمل ونهايته وامران بغلق هذا الهيكل في ابام
السلم وفتح في زمن الحرب وحرّم الآباء حق التسلط المطلق على اولادهم بعد
الارشاد او بالحري بعد زواجهم لانه ليس من العدل ان يتزوج رجل حرّة
فتصبح امرأته عن قليل ان رام ابوه بعة زوجة عبد رق ووضع قوانين
قاسية مآلها صيانة النساء وحفظهن من الفجور الا انه سمح للرجل ان
يفرض امرأته لصديقه متى ولدت له بنين فكان ذلك بمثابة طلاق وقتي
لاحياء نسل من كانت امرأته عاقراً وكان له الحق ان يرجعها الى بيتها متى

اراد وان يقرضها لانا آخربن حينما يشاء

ووهب عساكر روملس قسماً من الاراضي التي فتحوها في حروبهم
وغاراتهم واعنتى بامر الحراثة كل الاعنأء واقام نظاراً وروساء نظار
للملاحظة اشغال الزراعة وقصاص الفلاح الكسلان ومكافاة النسيط وقسم
الصنائع والصناع الى حرف وطوائف واقام لكل حرفة تمثلاً واعطى الجميع
امتيازات وسمح لكل طائفة ان تملك عقاراً وتذخر في صدوق عمومي مالا
للقيام بنفقات بعض احفالات وقرايين خصوصية فوطدت الالة والحجة
بين الرومانيين والصابنيين ونسوا انفسهم القدم واحراهم الماضية واقبلوا
على الشغل والاتحاد واصلح نوما حساب السنة لان العام الروماني كان
ثلثائة واربعة ايام فجعله ثلثائة وخمسة وخمسين يوماً اي زاد يوماً واحداً على
السنة القمرية لان الرومانيين كانوا يتشأمون بالشفع وكانت السنة عندهم
تبتدي في اول اذار فجعل اولها غرة كانون الثاني ولكي توافق سنة السنة
الشمسية اضاف اليها كل عامين شهراً واحداً دعاه مرسيديس كان عدد
ايامواثنين وعشرين يوماً في السنة الثانية وثلاثة وعشرين يوماً في السنة
الرابعة

وملك نوما ثلاث واربعين سنة وعاش اثنيتين وثمانين وفي ايامه تمتع
الرومانيون بالسلام التام فلم يشنوا الغارة على احد ولم يش احد الغارة
عليهم وكان هذا الملك العاقل محبواً من الجميع فلما مات بكاه الشعب
بكاء اليتيم على ابيه وحزن كل عليه حزن الشكلى ودفنوه حسب امره
خارج المدينة ووضعوا معه في القبر الكتب التي اليها ولم يكن له اولاد سوى
ابنة اسمها بوميليا تزوجها نوما بن مارسيسوس الذي اقعته ان يملك على
رومية وولدت بوميليا انكوس مارسيسوس ملك الرومانيين الرابع

الفصل الثالث

في ملك طلس هوستيليوس

من سنة ٦٧٢ الى سنة ٦٤١ ق م

او من سنة ٨٠ الى سنة ١١٢ ب ر

كان طلس هوستيليوس الذي خلف نوما سيذاً عزيزاً وغنياً كريماً فوزع على المحتاجين من الرومانيين العفارات والاموال التي حبسها سلفاه على نفقة الملك والكهنة وضمن تقديم ما يلزم لذلك من ماله وقد اشتهر بكونه بطلاً صديداً يحب الحرب والكفاح وهاماً مغواراً لا تنفعه المصاعب عن نيل ما يتغيب فبات يرقب الفرصة ليقاتل من الامم المجاورة من يجاهر بالعدوان لان شرائع نوما كانت تحظره الغزو والغارات وتمنع من الاعتداء على احد

ونظر كلبوس رئيس الالبانيين رفعة شان الرومانيين فحاج قلبه الحسد ورأى مجاحهم وثررتهم فزاد بالكيد واراد قتالهم فلم ير الى ذلك داعياً فعمد الى تدبير حيلة تثير الفتنة وتحمل الرومانيين على خوض الحرب كهاجمين لينال ما يتغيب ولا يكون ملوماً بنزع السلام ونقض العهود فارسل سرّاً بعض رجال فقرائه وامرهم ان يغيروا على ارض رومية وينهبوا ما يمكنهم نهبه ففعلوا ما امروا به ولما رأى الرومانيون ما جرى بعثوا جيشاً يتأثرهم ليفتلك بهم فادرك الجيش الروماني تلك الشرذمة وقتل منها من قتله واثنى بعضاً بالجراح واسر الباقين حيثئذ جمع كلبوس الالبانيين واخبرهم باعداء الرومانيين عليهم ولام الرجال الجرحيين وحرصهم على مقاتلتهم

فثارت الحمية بالالباينين وارسلوا رسلاً الى رومية يطلبون ارضاءً ونعوىً
 مهددين الرومانيين بالحرب ان لم يعطوهم ما يرومون ولما رأى طلس
 الرسل عرف حاجتهم واراد رد كيد الالباينين في نحرهم وتبرئة قومو فارجاً
 مقابلتهم معذراً واحلهم محلاً جميلاً واكرمهم غاية الاكرام وارسل رسلاً الى
 البا نطلب بالحق نعوىً مقابلهم كليس وقال لهم انكم نبذتم حقوقنا ونكثتم
 العهد وقد وجهت الى ملككم رسلاً واطعتم لم يصغ اليهم وناء على
 ذلك اعدكم اعداء لنا واطلب قتالكم لعل الصارم البتار ينصفنا فانقلب
 الرسل راجعة واخبرت الملك بما كان فدعا طلس رسل الالباينين وحادثهم
 بلطف مستخبراً عن بغيتهم فاطلعوه طلع امرهم واعلموه ان كليس يود الحرب
 اذا لم يعط نعوىً فاجابهم طلس اذهبوا وقولوا له ان ملك رومية يطلب
 الى الالهة ان تذلل الامة التي رفضت اولاً التسوية والصلح راغبة في
 العدوان

واخذ التعبان في الاستعداد للحرب ولما انقضى الاجل المضروب
 زحف الجيشان وابتدأ القتال ومات في اثناء ذلك كليس وخلفه في الرئاسة
 على الالباينين ماتئوس فوسيتئوس وبلغ الامتين المتحاربتين ان المديين
 والفنيين يرومون الايقاع بهما حينما يرونها قد ضعفا من جرى الحروب
 فاشفق الرئيس الالباني على امتهم من شر الاعداء وخاف طلس بامر الصلح
 والاتحاد فقبل طلس بذلك واتفقا على ان يبرر من كل فريق ثلاثة رجال
 والفريق الذي تستظهر رجاله على اقرانهم يعد ظافراً وله حق التسلط على
 الفريق الآخر

فبرز من معسكر الالباينين ثلاثة اخوة اسمهم الكور ياسيون وخرج من
 صفوف الرومانيين ثلاثة اخوة ايضاً اسمهم الاوراسيون ومن غريب الاتفاق
 ان الاوراسيين كانوا ابناً خالة الكور ياسيين وكان كل واحد منهم
 مساوياً قرنه في العمر والشجاعة فهؤلاء هم الذين اقدموا على سفك دماهم

فدى الامتين ووسيلة للاتحاد ناسين صلات القرابة وحقوق النسب
ومجردين الصوارم ليفتك بعضهم ببعض خدمة للوطن فتقدموا جميعاً للبيدان
بقلب لا يخامره الجزع الا انهم لما دنوا وابصر كل من قرنه خصماً وقريباً
نعاقلوا باكين واقتربوا للكر والكنافح ولم يقاد بهم الامر حتى خرا اثنان من
الاوراسيين مجتدين فعلت في معسكر الالبانيين ضجة الفرج واصوات
السرور وحزن الرومانيون وايقنوا بالذل بعد الافتخار ونظر الاوراسي
الى خصومه فوجدهم مثخنين بالجراح ورأى نفسه سالماً غير مجروح فعبد الى
الهرب ليفرقهم ولما بصروه الكورياسيون منهزماً اتبعوه فالتفت اليهم وكانوا
قد تفرقوا فهجم على الاول وذبحه وبادر الى الثاني فقتله ولحق بالثالث
فجندله وجمع اسلاب الثلاثة ورجع ظافراً غانماً وهكذا انتهت هذه المعركة
الشهيرة التي خولت رومية التسلط على ألبا

وكلل الملك طلس الاوراسي باكليل الظفر فدخل هذا الفتى رومية
مسروراً بما فعل وكانت اخنة تحب احد الكورياسيين ورات بين الاسلاب
ثوب من تحبة ملطخاً بالدم وكانت هي نفسها قد خاطت ذلك الثوب فنشرت
شعرها وضربت صدرها ومزقت ثيابها وقالت لاختها ايها الوحش الشرير
كيف نسفك دم اقربائك الذين كنت نودهم كاخوتك وتقتل بقساوة
خطيب شقيقتك فحنق الاوراسي من كلامها واجابها اذهبي الى حبيبك مع
شهوئك الوحشية يا من نسيت اخوتها والوطن ثم استل سيفه وضربها قاتلاً
فلهلك هكذا من يندب عدواً الرومية

وقبض على الاوراسي كجان وجيء به الى الملك لينظر في دعواه
ويحكم عليه فرام طلس خلاصة فلم يقدر لان ذنبه كان عظيماً فوكل امره
الى حكمين حاسباً ما اقترفه ذنباً سياسياً ففضى الحكمان عليه بالقتل ولما هم
المجلاد بقتله قام ابوه وأشار الى الشعب قائلاً ايها الرومانيون كيف
نسمحون ان يقتل اليوم مخلص رومية وانت ايها المجلاد كيف تربط يده

اللتين نلنا بهما الظفر وابن نقتله أداخل المدينة امام الاسلاب التي غنمها
 بشجاعته ام خارج الاسوار بين قبور الكور ياسين نعم اننا نرى في كل مكان
 آثار مجده الذي يجب ان بصوته من هذا القتل الشنيع
 ونظر الجمهور الى دموع الاب وثبات الابن فاشفق عليها وفك رباط
 ذلك الفنى الشجاع صائحاً عن ذنبه

وتذكر طلس خيانة الفدنيين وما نووه له من الشر حينما كانت الحرب
 نائرة بينه وبين الالبانيين فامر رؤسائهم ان ياتوا رومية ليبرئوا انفسهم
 لدى المجلس العالي فلم يرضخ الفدنيون لما امروا به بل اتحدوا مع الفيين
 وجمعوا العساكر والابطال وزحفوا للقتال وكان فوسيتيوس رئيس
 الالبانيين قد واطأهم على ذلك املاً ان يضعف شوكة الرومانيين ليتسنى
 له الاستقلال غير انه لم يحسر على اعلان هذا الامر بل كتب خيفة ان تدور
 عليه الدوائر وخرج بعساكره اجابة لطلب طلس الذي نهض في الحال لمحاربة
 اعدائهم وأخبر فوسيتيوس جنوده بما نوى فاستحسنوا رايه وعولوا على حفظ
 الحيادة حتى اذا ما تبين لهم الظاهر من الفريقين هجموا على المغلوب واعانوا
 القوم الغالبيين وعلم طلس بخداع الالبانيين فتربص في مكانه قليلاً صابراً
 على الاهوال ثم افتمم مع جيوشه صفوف الاعداء فاذا بهم حرباً لا تنقي ولا تندر
 فتشتتوا في تلك البيداء ولحق بهم الالبانيون وقتلوا منهم جما غفيراً

وفي الغد ارسل طلس كتيبة من جنوده لتخرب ألبا وأمر الجيوش
 الالبانية والرومانية ان تحضر اليه بلا سلاح ففعلت ذلك الا ان الرومانيين
 نقلوا حسبما اوعد اليهم سرّاً سيوفهم تحت ثيابهم ولما انتظمت الصفوف
 اخذ طلس يتكلم عن خيانة وخداع فوسيتيوس ولما فرغ امر بقتلهم مع
 الرؤساء الذين وافقوه في تلك الدسيسة ونقل الى رومية من بقي من
 عساكر وسكان البان ومنحهم حقوقاً كالوطنيين واسكنهم على رابية كليس التي
 اضافها الى المدينة

وظلّ النديون مجاهرين بالعصيان فاغار عليهم طلس واستولى على
 مدينتهم قسراً وقتل زعماء العصاة وسمح للباقيين منهم ان يسكنوا في بلادهم
 كما كانوا مقرين فقط بسيادة الرومانيين وحارب الصابيين وقهرهم بعد
 وفائع عظيمة ثم أبت المدن اللاتينية التي كانت تابعة لالبا الخضوع له
 فزحف اليها برجاله وقائلها الا انه لم يخضع منها سوى مدينة مادّليا فارتدّ
 عنها راجعاً الى رومية بعد ما أضّر زرعها وأتلف اغلالها في ذلك العام
 ولما شاخ طلس داخلة الوسطاس وزادت اوهامة وقوي اعنفاده
 بخرافات الرومانيين الدينية فصار لا يكذب خبراً بوهونة عليه ويصدق
 كل ما كانوا يقصونه من سماع اصوات من السماء وهو يامر بتقديم الذبائح
 للآلهة كفارة عن خطايه وذنوب الشعب قبل ان ناراً سقطت من
 السماء على قصره فحرقته مع بنيهِ وامراته وقبل ان انكس مارسيوس قد
 قتله وتبوأ بعده سرير الملكة

الفصل الرابع

في ملك انكس مارسيوس

من سنة ٦٤١ الى سنة ٦١٦ ق م

او من سنة ١١٢ الى سنة ١٢٧ ب م

واراد الملك الجديد انكس اصلاح ما فسد من عوائد الشعب بعد
 موت جدّه نوما واحياء محبة الفلاحة والزراعة في قلوب الجميع ماشياً على
 سنن الخير والتقوى وراغباً في اجتناب الحروب ما امكن ونظرت الامم
 المجاورة الى افعاله هذه وامباله السلمية فاحترقته ومخالت الاوان قد آن

للانتقام من الرومانيين وتعوض ما فقدته في السنين الماضية فنهض اللاتينيون وجاهروا بالعدوان فالتفاهم انكس بجنوده وكسره ونقل سكان بعض مدنها الى رومية واسكنهم على رابية افتتيس التي اضافها الى المدينة ومداً ايضاً الاسوار حول رابية جانيكولم وبني هناك قلعة وجسراً فوق النهر وحفر خندقاً عظيماً حول الاماكن الواطية لبصونها من الاعداء اذا هجموا بغنة وحارب بعد ذلك الصابنيين والفدنيين واخضعهم ووسع هيكل جوبيتر فترتيوس وبني مدينة ومرفأً اوستيا عند مصب نهر التيبر على بعد ستة عشر ميلاً من رومية وكان بين رجاله فارس انروري اسمه طاركوينس قد اشتهر بشجاعته وذكاه وخبرته بالفنون الحربية فأحبته انكس جداً ورفع مقامه وادخله عضواً في المجلس العالي . ومات انكس بعدما ملك اربعة وعشرين عاماً ناركا ولدين اقام عليهما وصياً ومناظراً صديقه طاركوينس المذكور

الفصل الخامس

في ملك طاركوينس برسكس او طاركوينس الاول

من سنة ٦١٦ الى سنة ٥٧٨ ق . م

او سنة ١٢٧ الى سنة ١٧٥ م . ر

كان بكرنتوث في عهد سيپلس الظالم ملك تلك المدينة رجلاً غنيّاً اسمه دامارنس من العائلة الشريفة التي استلب سيپلس الملك منها فهذا الرجل لما رأى جور الامير الجديد أشفق على نفسه وامواله منه فجمع ما عنده من السلع والمال ورحل في الحال الى طاركوينس احدى مدن

أثروريا العظيمة وسكن فيها مستوطناً وتزوج هناك امرأة شريفة ولدت له
 ابنين اسم أحدهما أرنكس واسم الآخر لوكومومات أرنكس قبل أبيه تاركاً
 امرأته حلي ومات دمارنس أيضاً في ذلك الحين جاهلاً امرحبل كنيو
 وتاركاً كل ثروته للوكومو ابنه الأصغر وهكذا حرم ابن أرنكس قبل أن
 يولد حصته من ميراث جده فدعوه لذلك أجاريوس أي الفقير

أما لوكومو فشرع يبحث عن الوسائل التي تخوله العظمة والفخار في
 مدينة طاركوبني رغباً في الارتقاء إلى المناصب العالية وبأذلاً جهده في
 استماله الجمهور توصلاً إلى ما يبتغيه إلا أنه خاب مسعاه ولم يزل بطائل
 لكونه عدو غريباً غير أهل لنيل ما هو ساع لنيله فرحل لذلك إلى رومية وإقام
 فيها ففتح ملكها حقوقاً كالوطنيين وأكرمه غاية الأكرام وأعلى مقامه ودعا
 لوكومو ذاته طاركوينس بدلاً من دمارنس وأحببه الشعب الروماني ومال
 إليه لشجاعته وفطنته وسخائه ولما مات أرنكس طمحت ابصاره إلى الملك
 وصمم على اخلاسه من ابن أرنكس القاصر فجمع الرومانيين وحضهم على انتخابه
 ملكاً عليهم مظهرًا لهم فضائله وذاكر الأفعال الخيرية والأعمال العظيمة
 التي أجراها لهم فرصي الرومانيون به ملكاً وإفادوا له طائعين

وزاد طاركوينس الآباء أعضاء المجلس العالي مائة عضو ليقتوي
 حزبه ويزيد عدد المنتصرين له وكان أولئك الأعضاء الحديثون من
 العوام فاعطاهم حقوقاً وامتيازات كالأعضاء الباقين واعتبرت اولادهم من
 القوم الشرفاء.

وإدعت الامم المجاورة التي اخضعها الرومانيون قسلاً أن خصوعها
 كان واجباً مدة حياة الملك الذي حاربها وعقد معها صلحاً وإنها قد امتست
 الآن مستقلة إذ تلك اليهود قد ماتت بموت الملك وأشهر بعض اللاتينيين
 المحرب فتقدم طاركوينس بعساكره وحاصر مدينة ابولي واستولى عليها
 بمجدعة وباع سكانها عبيداً وندم الكرسطيون على عصيانهم فصنع عنهم

واسكن بينهم جماعة من الرومانيين واستولى بعد ذلك على كولاسيا وملك عليها اجاريوس ابن اخيه الذي دُعي كولاتينس نسبة الى المدينة المذكورة وزحف الى كورنيكوم وأذاق اهلهما ثمر العصيان وحارب اللاتينيين والصابنيين وبعضاً من الاتروريين وغلهم فدان له الجميع صاغرين ولما رجع الى رومية دخلها بافتخار عظيم محفلاً بنصراته العديدة وأنفق الاموال التي جمعها من المدن المغلوبة في بناء ملعب لاجل الالعاب الرومانية العمومية

وكانت اتروريا بلاداً واسعة جداً منقسمة الى اثني عشر قسماً فلما راس امرأوها طاركوينس قد غلب بعضاً منهم نهضوا جميعاً لمحاربتيه واستولوا على بلاد الفنديين بخيانة بعض سكانها ومن هناك اغاروا على اراضي رومية فصبر طاركوينس مدة الى ان جهز جنوداً وفرساناً كافية وخرج لقتالهم فجری بين الفريقين موقعتان نال الرومانيون في كليهما الظفر على اعدائهم ولما كانت فدنيا مدينة الفنديين مفتاح اراضي رومية عول طاركوينس على اخذها . وبعد ما كسر الاتروريين في موقعه ثالثة حاصرها واستولى عليها وقتل بعض سكانها الذين خانوه وسلموها الى الاعداء ووهب اراضيهم لعساكره ثم اسرع وقاتل الاتروريين لانهم كانوا عازمين على جمع جنود جديدة وانتصر عليهم فارسلوا اليه رسلاً يسألونه السلام ويعلمون خضوعهم له فرضى بما طلبوه اليه وامر بكف العدوان

وبعث الاتروريون الى طاركوينس دلالة على خضوعهم له تاج ذهب وعرش عاج وصولجاناً وثوباً موشياً وثوباً آخر ارجوانياً فلبس طاركوينس هذه الثياب الفاخرة واحتفل بنصرتيه راكباً في مركبة مذهبة تجرها اربعة الخيول

وصرف همه بعد هذه النصرات في اصلاح المدينة فبنى سورها من الحجارة الخشنة وأزال المستنعات التي كانت في الاماكن الواطية حول الفورم

وبني قنوات عظيمة لجلب المياه الى رومية وطرح الاقدار الى الخارج
واصلح النورم وشاد فيه حوانيت للبائعين والصارفة وفتح مدارس للصبيان
والبنات وبني هياكل للالهة وقاعات وغرفاً للحكام ثم نهض لمحاربة الصابنيين
محتجاً بانهم اعانوا الاتروريين حينما كان يحاربهم وزاد في ذلك الحبس
فرسانه وجعل عددهم يبلغ ألفاً وثمانمائة فارس وأمدّ الاتروريون الصابنيين
بفرقة من جنودهم وانت الجيوش المتحدة وعسكرت عند مصب نهر أنيو في
التير و بنت جسرًا هناك اما طاركوبنس فعسكر على نهر انيو ونظر حركة
المياه الجارية فخطر في باله ان يحرق الجسر الذي بنته اعداؤه فعل قوارب
وملاها حطباً يابساً وكبريتاً ومواد أخرى سريعة الاحتراق وقذف هذه
القوارب ليلاً بعد ما اشعلها في نهر أنيو من جهة وفي نهر التير من جهة
اخرى فسارت مسرعة لان الريح كانت موافقة لها فالتهب الجسر حالاً
واخذت النار وتراكض الصابنيون لاطفائها تاركين معسكرهم بلا حراس
فتقدم طاركوبنس بعساكره تحت جنح الظلام واستولى عليه قبل بزوغ
الشمس وذعر الاعداء لما انصروا ذلك وانهمزوا فأت بعضهم حريقاً
وبعضهم سيف الرومانيين والعرض الاخر غرقاً وزحف بعد ذلك الى
صابينيا وقاتل اهلها وكسرهم ثم هادتهم وارتدّ راجعاً ولما انقضت ايام الهدنة
جمع الصابيون جنداً جديداً وعدوا نهر انيو وأغاروا على ارض رومية
فبادر طاركوبنس اليهم وقهرهم بتديره وبسالة جنوده وظنّ الصابنيون
انكسارهم ناتجاً من جهل وضعف قائدهم فخلعوه واتخبوا قائداً اخر وهو
بالعجوم على الرومانيين فالتقام طاركوبنس واغار عليهم فارتدوا الى الوراء
وتحصنوا في معسكرهم وبقوا فيه محصورين الى ان كانت ليلة حالكة الادم
وشديدة العواصف خرجوا فيها من معسكرهم سرّاً وساروا الى بلادهم تحت
جنح الظلام غير انهم لم ينجوا من سيف طاركوبنس لانه كسرهم في السنة
التالية كسرة هدت منهم الاركان واكرهتهم على ان يسلموا اليه مدتهم الحصينة

ليسلموا من شره وإن يعقدوا معه صلحاً مقرين بسيادة الرومانيين وخضوعهم
التام لهم

وحقد ابنا انكس مارسيوس على طاركوينس لانه خانها وسلب منها
الملك فكانا يجهدان دائماً في احباط اعماله وتسويد سيرته في اعين الشعب
وهو يزداد مع ذلك عظمة وبأساً غير مبال بنهم الحاسدين المرجفين ولا
مكثرث بمكائدهم وخبثهم ساعياً لادراك ما يتغيه من توسيع نطاق المملكة
وزيادة فخره ومجده كيف لا وهو اول ملك روماني جلس على عرش
وليس ناجاً وثوباً مزركشاً أرجوانياً ولما رأى ابنا انكس ان كل اجتهادها
لم يجدها نفعا استاجرا شاوين اللذان تزياً بزري فلاحين وحملوا فاسين وبذهبا
الى امام قصر الملك واخذوا يتشاجران هناك ويتصاحبان فخرج اليهما بعض
الشرط وقادها الى الملك فشرع كل منهما يقص قصته ويعرض شكواه بحجة
وجلبة وها يتقاطعان الكلام ويزيدان الصراخ فانف الملك منهما وامرها
ان يتكلما يهدوا واذا كان مصغياً الى احدها ابني شكواه رفع الاخر فاسه وضربه
بها فشق راسه وافلتت مع رفيقه وانهمزما

وشاع هذا الخبر حالاً فتراكض الرومانيون ليعلموا جليلة الامر
فاوصدت طاناكويل زوجة طاركوينس باب القصر محتجة بان الملك
مجروح يحتاج الى الراحة والسكون ثم خاطبت الشعب من قوة قائلة ان
جراح الملك ليست بليغة كما ظننت اولاً بل سيشفى عن قليل وبامرهم
لذلك ان يطيعوا في كل الامور سرفيوس طليوس صهره وفي الغد جلس
سرفيوس على العرش ولبس الثياب الملوكية وتولى القضاء وامر باحضار
ابني انكس فلم يوجد الا انها هربا من المدينة فحجز عقارتهما وما يملكان وحكم
عليهما بانهما مذنبان خائنات

ودامت الحال هكذا بعض ايام الى ان استتب الامر لسرفيوس طليوس
فاشهر موت الملك ببكاء وعويل وشيع جنازته باحتفال عظيم ثم قبض

على زمام الاحكام من غير ان يتخبة الشعب والمجلس انتخاباً قانونياً

الفصل السادس

في ملك سرفيوس طليوس

من سنة ٥٧٨ الى سنة ٥٢٤ ق.م

او

او من سنة ١٧٥ الى سنة ٢١٩ ب.ر

كان سرفيوس ابن اسيرة جلبها طاركوينس الى رومية من احدى المدن التي خربها ولم يعرف له اب شرعي او بالحري لم يتفق المؤرخون في هذا الامر غير انهم اجمعوا على كونه ولد في قصر الملك قبل تحرير امه التي كانت بديعة الجمال فاحبها الملك والملكة حباً شديداً وأعنفها واحبا لاجلها ابنا سرفيوس وريثاً تربية حسنة وزوجاه ابنتها وفوض اليه طاركوينس مراراً عديدة فصل مسائل عمومية وحسم مشاكل سياسية فكان يتصرف في كل ذلك تصرف عاقل فطين فعرف الشعب فضله وسجاياه الحسنة وقدره حتى قدره لذلك لم يمنعه من القضاء والتسلط عند موت الملك كما تقدم المقال

وأنف الشرفاء واعضاء المجلس من فعل سرفيوس وارثاً سرير الملك بلا انتخاب قانوني فاجتمعوا في منازلهم وتذاكروا في الامر ملياً وصموا على ان يخلعوه ويحكموا عليه بذلك في اول من يلتئم مجلسهم اما سرفيوس فشرع يستميل العوام اليه ليقاوم بهم سلطة الشرفاء ثم جمعهم واخذ بهم

يده حفيدي طاركوينس وخاطب الجمهور قائلاً . ايها الرومانيون
 هذان هما حفيدا ملككم العظيم الذي قتله كما علمتم القوم الظالمون وقد اوصى
 الملك اليّ بهما وهو على فراش الموت افلا اعمل بموجب وصيته ذاكراً احسانه
 العيم اليّ وانعامه العظيم عليّ واني لاحتكم على مشاركتي في هذه الخدمة
 المجلى وارغب اليكم ان تساعدوني في هذا الامر مقابل ما بذلته في خدمة
 الوطن واني لمستكشف ايها الرومانيون ان اراكم عبيد دائنيكم فانه قد
 فتحتم بذراعتكم ودماكم الاراضي التي استولى عليها العظماء ولا اراكم تملكون
 سوى قطعة ارض صغيرة لا تكفيكم غلتها فانه مجبرون لذلك ان تحرقوا
 ارض اولئك العنة لتعيشوا فلا ريب انكم قد احببتم كثيراً وحملتم زمناً
 طويلاً جور الشرفاء الذين بالكاد يحسبونكم احراراً لسبب فقركم ولكن
 انعموا بالآ فلسوف امتحكم كل ما يلزمكم

ووفي بعد ذلك سرفيوس من مالو دين الفقراء واصدر منشوراً يامر
 به الذين اخنلسوا الاراضي العمومية ان يحلوا في وقت عينه لم ووزع تلك
 الاراضي على من ليس له ملك

ووضع قوانين جديدة ابطال بها بعض امتيازات للشرفاء وحارب
 الفبيس الذين جاهدوا بالعصيان واخصهم ووهب اراضيهم لمن كان فقيراً
 بين الرومانيين ودخل المدينة باحتفال عظيم على رغم المجلس والعظماء
 ووسع رومية باضافته اليها رابتي اسكوبيلنس وفيمينالس وزوج حفيدي
 طاركوينس بابنتيه ليحازباه ويامن شرها وأحصى الشعب وقسمه الى ستة
 اقسام حسب ثروة كل واحد منه وفرض على كل قسم مكوساً يدفعها وقت
 الحرب وذلك بالنظر الى غناه لا بالنظر الى عدد رجاله كما كان قبلاً وقسم
 الاقسام الى فرق وكثر الفرق الغنية وقُلل الفقيرة من غير ان ينظر في
 هذا الامر الى عدد انفس القسم بل الى ثروته كما اشرنا لان القسم الاول
 كان يشتمل على ثمانين فرقة والقسم الاخير وهو اكثر الاقسام انفساً كان

يشتمل على فرقة واحدة وجعل حقوق الانتخاب واصوات الاقتراع حسب
عدد الفرق ونظم الجندية وقسم رجاله الى عساكر عاملين وهم الذين لم
يتجاوز عمرهم الخامسة والاربعين والى محافظين وهم الذين تجاوزوا هذا الحد
وبلغ عدد الاحرار القادرين على الحرب اربعة وثمانين الفا وسبعائة رجل
وامر ان يحدد احصاء الشعب ونفسه على النمط المذكور كل خمسة
اعوام لان الدنيا كالا يخفى دولا ب تحدث في احوال بنينا فغيرا مستمرا
وعول هذا الملك الحكيم على زيادة عدد الوطنيين بوسيلة لم تخطر قط
على بال احد من اسلافه وذلك انه تذكر زمن عبوديتو فاشفق على حالة
اولئك الذين جعلهم سوء الحظ عبيدا وامر بان كل عبد قد اعنته مولاه
واراد السكنى في رومية بعد وطنيا والى الاء اعضاء المجلس بادى بدء
التصديق على هذا الامر فجمعهم وقال لهم لو كانت الطبيعة قد وضعت
حدا فاصلا او فرقا بيننا وبين من ولد حرا ومن ولد عبدا لوجب علينا
ان راعي هذا الاختلاف ونفر من الناس الذين يخالفونهم بالطبع والطبيعة
غير انه لما كان هذا الفرق في احوال الانام نتيجته الحظ فقط وجب عليكم
ايها الاء ان تصلحوا بحكمكم الفاتئة احكام الهة عبياء وهل تظنون هذه
الالهة الهة الحظ التي تحملكم على احقار رجال شجعان اسروا في الحرب
نعدكم نعيما دائما فكم امة قد اشتهرت بالشجاعة والبأس قد خانها الدهر واذاها
بعد الافتخار مع ذلك لم لا نحسبون عبيدكم المعنفين وطنيين وانتم قد
حررتهم لانه اذا كان العبد شريرا فلماذا تعتقونه واذا كان صادقا وامينا
فما مانع يمنعكم من اعتباره رومانيا او كيف نحسب في عداد الوطنيين
الذين ياتون من المدن المجاورة ليستوطنوا في مدينتنا غير باحثين عن
اصلهم ونحرم هذا الحق من عاش معنا ونخلق باخلاقنا وعدا اهلا لان يعنى
ويكون حرا افعلون عن المنفعة العمومية التي نتطلب هذا الامر وتجهلون
منفعتكم ايضا ألسن تعلمون ان وجود الذين اعتقمهم في عداد الوطنيين

ما يزيد سلطانكم ونفوذكم وعدد المنتصرين لكم
فانتصحت الآباء بكلامه وصدقت على امره بشأن المعتنين وأقام
سرفيوس قضاة من أعضاء المجلس لينظروا في الدعاوي المدنية والجزائية
وينصلوا الخصومات ووضع لهم شرائع وقوانين يحكمون بموجبها
وأراد الملك توطيد السلام وتقوية صلات الاتحاد بين شعبه وبعض
الأمم المجاورة فخابر اللاتينيين والصابنيين في بناء هيكل برومية للإلهة
ديانا بجحزون اليه مرة في كل سنة ليقدموا مع الرومانيين الذبايح والترايين
لهذه المعبودة وينظروا بعد انقضاء أيام العيد في المشاكل التي تعرض لهم
فقبل اللاتينيون والصابنيون بما أشار به وبنوا الهيكل المذكور على راية
افتتيس وعقدوا معه عهداً ووضعوا قوانين لترتيب الجلسات وفصل
الدعاوي وتنشؤ العهد والقوانين على عمود حفظ في هيكل ديانا إلى أيام
اغسطس قيصر

وقد روي عن هذا الملك الفاضل أنه أراد في آخر حياته أن يعتزل
عن السياسة والملك ويقم في رومية حكومة جمهورية إلا أنه لم يستطع اجراء
ذلك الأمر كيف لا وصهره طاركوينس البكر الملقب بالعاني كان واقفاً
له بالمصاد وكانت زوجة طاركوينس هذا تجهد في أن تطف عوائد بعلمها
بلطنها وإدبها وهو يزاد على مر الزمان فسوة وفجوراً وكانت امرأة أخيه
شرسة متكبرة تلح على زوجها العاقل أن يستخدم وسائل دنية بربرية لسلب
الملك من أبيها وهو لا يرضخ إلا لأميال الحسنة ولا يحب غير السلم والعدل
فأخذت هذه الفاجرة تشكو سوء حفظها لتزوجها رجلاً على زعمها بتخفيف
العقل بلدياً وشرعت تتزلف من سلفها الذي أحبها ونواطاً معها على ممة
بعلمها وأمرأتها ليقترن بها ويدبرا ما ينتغيان ففعلا هذا الفعل التبع ثم عمد
طاركوينس إلى إهلاك سرفيوس فاستمال إليه السواد الأعظم من الآباء
الذين كرهوا الملك لمحبته العلوان وملكه على الرومانيين بلا انتهاب

قانوني

وعلم سرفيوس بما كان صهره وابنته يدبران فاراد ان ينصح لما لعلها
 يرجعان عن غيها وبغفلان فاحقره وصم لذلك طاركوبنس على عرض
 دعواه للمجلس العالي وشكاية حميواته لم يبال بالآباء اذ ملك بالرغم عنهم
 وانه قد ادعى كونه وصياً عليه ليخلس الملك منه فاجابه سرفيوس قائلاً
 اني لم املك كوكيل عنك او عن اخيك ولكنني اقدمت فقط على صيانة
 حياتكما من ابني انكس اللذان بلاريب احق منكما بالملك لو كان الملك
 كما تزعم بالوراثة ثم قال والان ايها الآباء لماذا انتم جاهدون مع هذا
 الرجل في اهلاكي هل رايتوني ظالماً فرمتم الانتقام مني او خلتوني متكبراً
 فاحببتم اذلاي من من ملوكم السابقين عمل ما عملته لكم وسار السيرة التي
 سرتها ألم احب الوطنيين جميعاً كما يحب الاب الحنون اولاده وهلا اقيمت
 منكم قضاء ينظرون في امور الشعب ولكنكم قد كرهتموني لمحبي العوام مع
 هذا اذا رايتم طاركوبنس افضل مني وصمتم على نليكوفانا لا استنكف من
 ذلك بل اعرض الامر للشعب الذي ولا في

وفض المجلس بعد ذلك وامر باجتماع الشعب في الفورم او الساحة
 العمومية ولما ازدحمت الاقدام هناك وقف بين القوم خطيباً واسترعام
 السمع ذاكرة حروبه والنصرات التي حازها بشجاعته وتديره ثم اجمل كلامه
 عن القوانين التي وضعها والمنافع الكثيرة التي اناها الامة الى ان قال قد
 ظهر لي منازع ينازعني السلطة التي نقلتها لاسعى في سبيل سعادتكما ايها
 الرومانيون وبزعم ان جدّه قد اورثه الملك عند موته وانه لا حق لكم في
 تولية من تودون توليته افترضون بذلك ولا تغضبون او تدعونني يسلم
 حقوقي وانتم صابرون واذا كنتم قد ملتم ملكي وسئمتم مني وفضلتم
 طاركوبنس علي فانا اطلب اليكم ان تستردوا قضيب الملك الذي
 اعطيتكموه

فحقن الشعب عند سماعه هذه الكلمات وهم يقتل طاركوبنس الذي
اسرع الى منزله فراراً من القتل وهيجان العوام اما سرفيوس فرجع الى قصره
ظافراً فرحاً

ولما كانت ايام الحصاد وكان اكثر الشعب خارج المدينة منفرداً في
الحقول لجميع اغلاله لبس طاركوبنس ثياباً ملوكة ورب خدامه واصدقاءه
على هيئة جند واعوان وذهب معهم الى الهيكل حيث كان الآباء عارمين
على الالتئام وارسل يامرهم باسم الملك طاركوبنس ان ياتوا في الحال ثم
نقدم بهدو وورصانة وجلس على العرش وكان بعض الاعضاء عالمًا بالخدعة
فجاء مسرعاً ليرى ما يكون واما الاكثرون فظنوا سرفيوس قد مات فبادروا
الى الحضور لئلا يحسب غيابهم في مثل هذه الاحوال ذنباً ولما انتظمت
الجلسة اخذ طاركوبنس بطعن في حميه قائلاً انه عدو وابن اسيرة وانه قد
ملك بال المكر والخداع لا بانتخاب الشعب والآباء كما جرت العادة وانه قد
سلب املاك الشرفاء ووهبها للادبياء نظيره وقد حمل العظاء انتقالاً
كانت مفروضة على العموم وقد قسم الرومانيين الى اقسام وفرق حسب
ثروة كل واحد منهم ليعمل اموالهم مطعماً للانصار وعرضة للحسد او بالحري
ليوزعها بين الشحاذين متى اراد

وما اتم طاركوبنس كلامه الا ورأى سرفيوس مقبلاً فنهض اليه
وامسكه بيده وسحبته الى الباب ومن هناك طرحه الى اسفل ثم ارسل بعض
رجال اجهزوا عليه وسمعت طوليا زوجة طاركوبنس ما حدث فانت
مسرورة لنهيء بعلمها وقيل ان مركبتها مرت على جثة ابها وتلحمت بدمه
وقد دعيت تلك الطريق فيكوس سيليرانس اي الطريق الشريع

وهكذا مات هذا الملك الحكيم الذي عاش اربعة وسعين عاماً وملك
اربعة واربعين وبقيت جثته مطروحة الى ان ادلهم الليل فاخذتها امرانة
ودفنتها سرّاً اما الشعب فحزن عليه جداً وكانت العبيد تختفل له كل سنة

بعيد في هبكل ديانا تذكراً لمحبته أيام واحسانه اليهم

الفصل السابع

في ملك طاركوبنس العاتي اوطاركوبنس الثاني
وهو آخر ملوك رومية
من سنة ٥٢٤ الى سنة ٥١٠ ق م
او

او من سنة ٢١٩ الى سنة ٢٤٢ م . ر

وخلا الجو لطاركوبنس ونال ما كان يتفقو فاسند بالملك وعنا غير
خاص لاعماله رقيباً ولا راحم في ظلمه غريباً او قريباً يجري ما يروم اجراءه
من غير استشارة المجلس والشعب ولقد نسي له ذلك وامن كل عائلة
بتنظيمه فرقة عساكر غرباء لوقاية شخصه وتنفيذ اوامره وزاد هذا الظالم
فجوره فحوراً بان منع المظلوم من التشكي وعزل القضاة الذين اقامهم سرفبوس
واعلن نفسه الحاكم الوحيد الذي ترفع اليه الشكوى والقادر على فصل كل
معضلة ودعوى وكان ينظر في سائر الاحوال الى الاغنياء كذنين ليلتهم
اموالهم ويردبهم اذا امكنه ذلك . ولقد قتل شجناً جليلاً اسمه يونيوس سليل
عائلة شريفة وابا يونيوس روتوس الشهير الذي اتى الحكومة الملكية وكان
طاركوبنس الاول قد زوج يونيوس هذا بابنته لسبب ثروته العظيمة
فامر الملك الجديد بقتله مع ابنه ليستولي على املاكه وامواله الكثيرة اما
بروتوس نجاً من القتل بتهاوله

ولم يراع طاركوينس في جوره غنياً او فقيراً بل كان الجميع لديه
سواءً فابطل قوانين سرفيوس ونقسيبه الشعب الى اقسام وفرق وجعل
جباية المكسوس حسب عدد الانفس لا حسب الثروة كما رتب سلفه
وعلم طاركوينس ملل الرومانيين منه وضغنهم عليه فسعى في محالفة
الامم الغريبة لتكون له عوناً في الشدائد ونصيحة على قومه اذا مست الحاجة
وزوج لذلك او كنافيوس ماميلبيوس البطل اللاتيني بابتوه واكتسب بواسطته
صدقة كثير من روساء وعظماء اللاتينيين

وسال اللاتينيين ان يرسلوا الى رومية رسلاً ليخبرهم في امور جليلة
فانت الرسل واجتمعت في اليوم المعين بهيكل فلورا واقامت فيه تنتظر
طاركوينس الذي لم يحضر في ذلك النهار ولم يبعث احداً يخبر المجنوعين
بما يشغله عن الحضور ولما عيل صبر الجماعة وملت الانتظار قام ترنس
هردونيوس الذي كان يبغض ماميلبيوس صهر الملك وقال لارفاقه انني لا
اعجب من تلقيب الرومانيين طاركوينس بالعاني كيف لا وهو قد اراد
الآن ان يسخر من الامة اللاتينية فدعا روساءها الى الاجتماع وحينما اجتمعوا
رفض مقابلتهم فلا ريب انه رام سر غورنا ليرى صبرنا ويعلم كيف بظلمنا
متى خضعنا له فلرجع اذا الى بلادنا غير مباينين بوم بمقابلته اما ماميلبيوس
فاعذر عن الملك ورغب الى السفراء ان يلتصقوا في الغد ففعلوا ولما
انتظمت الجلسة في اليوم الثاني اتى طاركوينس واعلم الرسل ان مراده
تولي قيادة جيوشهم قائلاً ان ذلك حق قد ورثته من جده وانه قد جمعهم
ليلتبس منهم التصديق على هذا الامر فاعترضه هردونيوس اعتراضاً قوياً
ودحض دعواه بحجج دامغة وراعى ناصعة واستنفض همه رفقاءه وحثم على
ان لا ينيلوا هذا الامير المتكبر الجائر ما يتغيبه لئلا يفعلوا في فخاخ ظلمه
ولات حين مناص

فذهل طاركوينس من جسارة هردونيوس ولم يستطع ان يجيبه ببنت

شفة غير انه سال الرسل الاجتماع مرة اخرى ثم سعى في استمالة خدام هردونيوس اليه وأغرام بنخبئة اسلحة بين امتعة سيدهم ففعلوا وقابل بعد ذلك اللاتينيين وقال لهم ان هردونيوس قد تكلم ما تكلمه عن بغض وضغينة لانه رام الاقتتان بابتني فاييت مصاهرته مع ذلك ما لنا ولهذا الكلام فالهم المهم انهما اللاتينيون ان تنظروا الى وقاية انفسكم وحررتكم وتنعوا غدر هذا الخبيث الماكر الذي نصب لكم احيولة ويريد اهلاككم جميعاً ليتسنى له التسلط المطلق على سائر المدن اللاتينية وقد خبأ اسلحة بين امتعته ليغدر بكم وينال ماربة فرعب الحاضرون جداً وبادروا في الحال الى فحص القضية وتحقيقها ولما وجدوا الاسلحة بين امتعته كما ذكر الملك قاموا عليه وقتلوه وجددوا مع طاركوينس الاتحاد ورضوا به قائد جيوشهم العام وحالته ايضاً في ذلك الحين الارنيون او الجيليون وبعض من الفولسيين ثم حارب الفولسيين الذين لم يحالفوه واستولى على مدينتهم وترك اسلحتها غنيمة لعساكره وزحف الى صابنيا وقاتل الصابنيين وقهرهم وارند راجعاً الى رومية ودخلها باحتفال عظيم واخذ في اتمام بناء الملعب والفنوت التي شرع بها جده

وكره الشرفاء اعماله الوحشية وشبهوا مظالمه الكثيرة فغادروا وطنهم ولجسوا الى غايي وهي مدينة في اللاتيوم على بعد اثني عشر ميلاً من رومية فالتفاه سكانها بالترحاب واحلوم عدم محلاً عالياً وبادروا الى محاربة طاركوينس انتصاراً لا اولئك التعساء فدامت الحرب بين الفريقين سبعة اعوام واضرتها ضرراً بليغاً اذ المعامع والغارات كانت متتابعة ومناعة الفلاحين من زرع اراضيهم فقلت المحنطة في رومية وغلت اثمانها وبات جميع الرومانيين في ضنك عظيم فهاجوا وطلبوا الى الملك بالتحاح اما ان يعقد صلحاً مع الاعداء او يعطيهم قوتاً حيثئذ دبر طاركوينس حملة املتها عليه شراسة اخلاقه وخيائته وأتمها دناءة ورداءة ابنه سكستس طاركوينس

الذي نظاهرانه مغناط من ابيو وخرج من المدينة منهزماً ولجى الى غاي
فاكرمة الغايون وقلدوه قيادة فرقة من جنودهم وكان سكستس يغير بفرقه
على اراضي رومية ويرجع ظافراً غانماً ونظر الغايون الى شجاعته وإخلاصه
لم فاغتروا به واتمنوه وجعلوه قائداً عاماً لجيشهم فاستتب له الامر واصبح
الامر النهائي ثم ارسل عبداً يسأل اياه عما يلزم ان يفعل فقاد طاركوينس
العبد الى بستان واخذ يحطم بعضاه رؤوس سوق الخشخاش الطويلة
وصرفه من غير ان بكلمة اما سكستس فهم مغزى هذا الرمز وقتل رؤساء
الغايين وكبراءهم وفتح ابواب المدينة للرومانيين فدخلها طاركوينس
منتصراً ولم يوذ اهلها بل عامل الجميع بالرفق والاحسان وملك عليهم ابنة
سكستس المذكور

وانت طاركوينس يوماً امرأة معها تسعة اسفار تريد بيعها بثمن فاحش
جداً افرض الملك اشتراها فذهبت وحرقت ثلثة منها ثم رجعت وطلبت
الثلث الاول فطردوها باحتقار وظنوها مخنلة الشعور فضت وحرقت
ثلثة كتب أيضاً وجاءت تطلب بالباقي ما طلبته اولاً ثلث التسعة فعجب
طاركوينس من فعلها ورام معرفة فحوى هذه الاسفار فدفعها الى العائنين
فمحصوها وعرفوا انها كتب ساحرة كومي فنقد الملك للمرأة الثلث واخذ
الكتب وحفظها باعنائاً ولما بني هيكل جوبتير كاييتوليس وضعت فيه
بجمل افرد لها لانها اعتبرت مقدسة ومشملة على معرفة طالع الرومانيين
واسرار المستقبل

وانم طاركوينس بناء هيكل جوبتير على رابية طاريس التي دحيت
حينئذ كاييتوليس لانه بينما الفعلة كانت تحفر في الارض وجدت راس
انسان (في اللاتينية كابوت) غائصاً بالدم كانه مذبوح حديثاً فاعلن
المبصرون ان هذا الامر رمز بشير الى كون رومية ستصبح راس او عاصمة
العالم

وفشا الطاعون في رومية وظهرت علامات مخيفة رعبت طاركوبنس
وحملته على ارسال ابنه مع يونيوس بروتوس الى بلاد اليونان ليستشير
وحي دلتني عن اسباب الوباء والوسايل اللازمة لازالته فقدم ابنا الملك
هدايا فاخرة وقرابين ثينة للاله ابولون وقدم بروتوس عصا ضخمة ومجوفة
ملأها من داخل بالذهب الابريز كناية عن فطنته ومجاياه الحسنة
المستتره تحت برفع التباه ولم يعلم رفيقه ما حوت العصا فاستغربا في الضحك
منخرا منه ثم اوحى اليهم الاله ما اوحى واخبرهم انه سيطرأ على الحكومة فغير
وسبكون في رومية ملك جديد وان الرجل الذي سيفسلط على الرومانيين
هو واحد من الحاضرين الذي سبق صاحبه الى تقيل امره فادرك
بروتوس مغزى الوحي وسقط على الارض وقبلها لانها ام كل حي ولما رجعا
الى رومية راوا الحرب منشبته بين الرومانيين والرنليين وكان الملك
طاركوبنس قد زحف بجيشه لمحاصرة أرديا ولم يكن القتال حيثنر عنيفا بل
كانت القواد تقضي اكثر الاوقات باللهو والمسرات وحدث يوما ان
سكسنس طاركوبنس ادب مادبة دعا اليها اخوه وقرينة كولانينوس
واخذ الداعي والمدعوون يتكلمون عن النساء وفضلهن وكان كل يعظم
شان امرأته ويفضلها على سواها حتي افضى بهم الامر الى اللجج فعمدوا الى
امتطاء صهوات الخيل والذهاب نوا الى منازلهم لينظروا ما تعمل نساؤهم
فانوا اولاً رومية ووجدوا حلائل الطاركوبنيين مشغولات بالمرج والافراح
ومنهمكات في احياء ليلتهن مع انرايين وارنشاف كووس الصنوف والانشراح
ثم مضوا الى كولاسيا فرأوا لوكريسيا امرأة كولانينس قائمة مع خادماها
بغزل الصوف والاشغال وكانت لوكريسيا هذه بدعة الحسن والجمال فافتتن
سكسنس بها وتبعها حبيها

وبعد بضعة ايام رجع سكسنس سراً الى كولاسيا ونزل في بيت نسيو
كولانينس فالتفت لوكريسيا بالترحاب واكرمتها غاية الاكرام وافردت له

غرفة لينام فيها ولما ادم الليل وقد رقد كل من في المنزل انسل سكستس من غرفته ودخل خدر لوكريسيا مجرداً حسامه ودنا من سربرها ووضع يده اليسرى على صدرها وايظها وقال لها لوكريسيا انا سكستس طاركوينس اياك والصراخ والا قتلتك بحد هذا الفرضاب ثم طفق يبت لها شكواه ويظهر غرامه وجواه متلطفاً نارة ومنهدداً اخرى وهي تدفعه عنها وتزداد منه نفوراً عند ذلك قال لها انه عازم على قتلها وقتل احد عبيدها واتهامها بالزنى معه واذا عة فجوهرها بين الملا فحافت لوكريسيا من هذه النهم وان تكن باطلة واشنفت على صيتها وطهارتها وأنالت سكستس كرهاً ما كان يتنهاه

وفي الغد نهض سكستس باكراً ورجع الى المعسكر اما لوكريسيا فلبست لباس الحداد ووضعت تحت ثوبها مديّة وكتبت الى زوجها وايبها لوكريسوس ان يحضرا بالعجل فانيا حالاً مع بروتوس والاب فالربوس ولما استقر بهم القرار حدثتهم بحديثها وحننهم على الانتقام من ذلك الوحش الضاري ثم استلت مدينتها وطعنت بها صدرها وسقطت على الارض لا حراك لها فعلا صراخ ونواح زوجها وايبها وبكاها كل من حضر وتقدم بروتوس واخذ المديّة وهي تقطر دماً ورفعها قائلاً اقسم بالالهة اني آخذ بشار لوكريسيا واني ابيد طاركوينس ونسله الفاسق الشرير ودفع المديّة الى الباقيين الذين اقسموه كذلك ثم اخبر بروتوس اصحابه بسبب تباهو وحرّضهم الا يضعوا الوقت بالبكاء على لوكريسيا وان يتصرفوا في الامر كابطال رومايين ساعين فقط للانتقام وشار عليهم ان يوصلوا ابواب المدينة ويضعوا عليها حراساً امناء كيلا يصل خبر مكيدتهم الى الملك فاجروا ما ارناؤهُ وبسرعة عظيمة لان لوكريسوس كان حاكم رومية من قبل طاركوينس وقادراً ان يفعل فيها ما يشاء بلا مانع او معارض

وجمع بروتوس الشعب واره جثته لوكريسيا واخبره بما حدث وبسبب تباهو . ثم خطب خطاباً طويلاً اظهر فيه رداءة طاركوينس

وظلمة وختم كلامه بوجوب خلعه وطرده من رومية لراحة الناس منه ومن اولاده الفاجر بن العتاة فهاج النوم جداً عند سماعهم ذلك ورضوا بما ارتآه برونوس وصدقوا على امر المجلس بهذا الشأن وابطل الرومانيون الحكومة الملكية ونادوا بالحكومة الجمهورية وبلغ المخبر الجيش الذي كان خارج المدينة بحارب الرتلين فسر به وانضم الى المجلس ورجع الى رومية بعد ما عقد الصلح مع سكان ارديا الخمسة عشر عاماً اما طاركوينس فذهب مع بنيو الى بلاد أنروريا ووطن عائلته امه آملاً وجود اصدقاء ونصرآه يعينونه على ابادته خصومه واسترجاع ما فقدته

الباب الثاني

من ابتداء الحكومة الجمهورية سنة ٥٠٩ الى حين تجديد بناء رومية سنة ٢٨٨ ق م بعد ما حرقها الغاليون
او

من سنة ٢٤٤ الى سنة ٢٦٥ ب م ر

الفصل الاول

في الفصلية الاولى

واختب الرومانيون لرئاسة الجمهورية برونوس وكولانيس زوج

لو كرسيا ودعوها فنصلين ونخوها حتى النسلط على الشعب وإدارة الاعمال كلها كما كانت تفعل الملوك الا ان انتخابها كان لسنة واحدة

وقدم الفصلان ذبائح وقرابين للالهة كفارة عن آثامها وحلفا امام الشعب يميناً الا بدعا طاركوينس ولا اولاده ولا احداً من الناس يملك على رومية فيما بعد وهكذا حلف الشعب والآباء ثم اخذوا القوم رئيساً للسكينة وانصرف الجميع مسرورين

وكان الطاركوينيون لا يألون جهداً في تهيج اعداء رومية عليهما واغرائهم بقتالها وكانوا يطوفون المدن والقرى لهذه الغاية واقام طاركوينس الشيخ في طاركويني واستمال اهلها بخداعو وجعلهم يرسلون رسلاً الى مجلس رومية يعرضون له وجوب مرافعة الملك علناً قبل طرده ويهددون الرومانيين ان أبوا اجابة ما سئلوه بان الامم المجاورة ستنهض يداً واحدة لمحاربتهم وتكرهم على الازعان وعرف الآباء خبث ورداءة طاركوينس وما وراء طلبه من الاخطار العظيمة فردوا الرسل خائبين لانهم لم يخشوا قتالاً او وعيداً بل جهدوا في تقوية سلطتهم وتوطيد الجمهورية

وكان اكثر الفتيان الشرفاء في عهد الملك السابق قد اعتادوا اللهو والمسرات وارتكاب الفواحش لا يحسبون للقوانين حسابة ولا يخافون لرفعة شانهم عقاباً وكانوا جميعهم مولعين بزخرفة الملابس وبهجة الاجتماعات والاحفالات الملوكية فنظروا الى بساطة الحكومة الجديدة وعدلها وقساوة شرائعها نظروا الياس والاحقار وباتوا يأسفون على ايامهم وافراحهم الماضية ويتمنون عود طاركوينس وجوره لتعود اليهم اوقات الصفو والهناء ورأى اولاد الملك تلك الامور فظنوا امكان استخدام هؤلاء الفتيان لنيل ما رغبهم فسمعوا اولاً في استرجاع امتعتهم واملاكهم وجعلوا اهل طاركويني يرسلون لهذه الغاية رسلاً الى رومية واعطوهم اوامر سرية لاثارة التنين وقتل الفصلين ان امكنهم قتلها

ونال الرسل ما طلبوه على رغم بروتوس لان كولاتينس رضي مع الشعب بانالتم سؤلهم وبينما القوم كانوا منهمكين في ارجاع امتعة الملك وبيع املاكه قدر الرسل المذكورون على اثاره الفتنة واغراء بعض فتيان من جملتهم ابنا بروتوس بقتل القديسين وصم هولاء الفتيان على بذل الدفوس توصلاً الى بغيتهم وحلفوا ميمناً برسمية وهي كما زعموا عظيمة وذلك انهم اتوا برجل وذبحوه وشرّبوا من دمه واقسموا على الثبات والتعاون وكانوا يجمعون في محل للمذاكرة ثم كنتوا كئناً الى الملك المنفي واعطوها للرسل غير ان احد عبيدهم عرف مكيدتهم واطلع عليها فالربوس الذي سعى مع اخيه واصدقائه لتحقيق القضية فتسنى له الحصول على اوراق وكتب هولاء الماكرين والفض عليهم جميعاً -

وفي اليوم التالي حضر الاسراء الى محل الاجتماع وجلس الفصلان امام الشعب لينظرا في دعواهم فنادى بروتوس اولاً ابنه وتلا الاوراق الي كتبها الى طاركوينس وامرها بصوت جهير ان يجيبا عن ذلك ويتبرأ من هذه التهم البينة ان امكنهما الاحتجاج فاضرب رب الفتيان وتلعنا وبكيا حتى كادا بشرقان بالدموع ورأت الآباء اعضاء المجلس بكاءها وعبراتها المتساقطة من جنونها كاندية المدرار فاشتقت عليها وودت خلاصها ولو بالنهي من المدينة وتلك الديار وكى كولاتينس ايضاً اما بروتوس فنهض ودعا الشرط وقال لهم خذوها وعجلوا باجلها فقبض عليها الشرط وبعد ان جلدوها ضربوا عقيبها وكان بروتوس ينظر الى كل ذلك بقلب نابت ووجه عبوس ولما شرب اناءه كاس الحمام وخرأ صريعين مضى الى منزله تاركاً لرفيقه النظر في دعوى الباقيين

وكان كولاتينس يرغب في خلاص المذنبين الباقيين لانهم اقرباؤه فسمع لهم يوم يستعدون فيه للمدافعة عن انفسهم وامر ان يسلم اليهم العبد الذي وشى بهم فعارضه فالربوس والشعب ولم يرض احد سواه بتسليمه .

واستفتى الجمع برونوس في هذا الامر فاجاب اني قد فعلت ما فعلته بموجب
 حقوقي الابوية وانه على الشعب الان الحكم على هؤلاء المذنبين حيثئذ اصدر
 الجمع أمراً بقتلهم كلهم ما خلا الرسل الذين طردوا من المدينة وحُرر
 العبد الذي كشف المكيدة وأعطى جزاءً على ذلك خمسة وعشرين ألف
 قص نحاسي (نحو ثمانين ليرة انكليزية ونصفاً) ثم أبطل المجلس امره
 املاك طاركوينس عليه وهدم قصره ووزع عماراته على الوطنيين المحتاجين
 وقويت شوكة برونوس لما أظهر من القساوة في الحكم على ابنيه ونوطدت
 حكومته لما ابدى من الهمة والنشاط في جميع اعماله اما كولاتينس فاحفره
 الرومانيون وأنفوا منه لسلوكه مسلك الضعف واللين وظنوه خائناً لكونه
 قريب الطاركوينيين وكان برونوس يبغض رفيقه اما لجنوحه الى الملك
 السابق اولتباينها في المشارب والطباع فاغتنم هذه الفرصة وكلم الشعب
 قائلاً يا بني الوطن لو عرفتم طبع كل من القنصلين عند انتخابها واقدتم على
 اختيار رجلين متوافقين في السجايا والاممال لكانت حكومتكم الجديدة بلا
 عيب غير انه يوجد بيني وبين رفيقي فرقٌ عظيم كالفرق بين مبغض الظلم
 ومحب الظالمين لان جنوح كولاتينس الى اقربائهم الاشرار يجعله يعمل كل ما
 هو آيل لارجاعهم الم تروني سفكت دم ابني لصيانة حريتكم حينما كان
 كولاتينس جاهداً في نزعها ألعكم ترجون منه خلاف ذلك وهو الذي قد
 سعى في رد املاك المجائرين واحمال في خلاص المذنبين فيا كولاتينس
 كيف أغفوك وانا الذي لم يغف عن سفك دم ولديه نعم انك رجلٌ
 حاضرٌ معنا ولكن قلبك غائب مع اعدائنا . انت خائن تود وقاية ظالمي
 الوطن وترغب في اردائي لاني اذافع عنه بغيره ونشاط وبناء عليه اعلمك
 انك معزول عن منصبك وانت ايها الرومانيون ستلتزمون فرقاً للمصادقة
 على ما قلته ولكم الخيار في انتخاب كولاتينس او برونوس ولكنكم لا تقدرون
 على انتخابها معاً

واراد كولانينس ان يجيب رفيقته ويبرأ ذاته فلم يستطع لان هيجان الشعب كان عظيماً فرشح لما أمر به واعتزل عن منصبه ومضى الى مدينة لافينيوم وسكن فيها

واتخبط الجمهور فصلاً ورفيقاً لبروتوس بوبليوس فالريوس وكان بوبليوس هذا مشهوراً بثروته وحذقه وفصاحته بحب الزهد والقناعة وبسلك في كل الامور مسلك الحكيم النطين وعنا الفئصالان عن الذين حاز به طاركوينس بشرط ان يرجعوا الى المدينة بمدي عشرين يوماً فارتدوا الى رومية عدداً عديداً من كبرائهم

وبلغ الملك المنفي ما كان فتقدم بالجنود التي جهزها النبون واهل طاركويني واغار على اراضي رومية فالتقاء الفئصالان بالجيوش الرومانية وكان بروتوس يقود فرقة الفرسان فالريوس فرق المشاة وابصر احد اولاد طاركوينس الفئصال بروتوس بتقدم فرقة محاطاً بالجنود والاعوان فصرخ ها هوذا عدونا الالد الذي نقاتل من وطننا واستلب السلطة منا ثم نحس جواده وهجم على بروتوس فبادر اليه هذا بقلب اقصى من الحجر وطعن كل منها قرنة طعنة ذهبت بجناحه فخرّاً بمجده ليدلن بخرطان بدمائها بعد ذلك حملت العساكر على العساكر واشتد القتال بين الفريقين ودام الى المساء ولم يعلم ايها الظافر حتى شاع خبرانه سمع صوت من غابة هناك يعلن النصر للرومانيين فرعب الاعداء من تلك الاشاعة وتركوا معسكرهم وولوا منهزمين

وبكى الجميع بروتوس وحزنوا عليه لانه هو البطل الذي سفك دم ابنه وبذل مهجته فدى الوطن وحرّيته . ونقلت جثته الى رومية ودُفنت في النورم وابنة فالريوس وهو اول روماني ابن ميتاً وحدت النساء عاماً كاملاً حزناً على من انتصر لجنسهن وحى عرضهن من القوم الطعام ووضع فالريوس قوانين عادلة وخفف سلطة القناصل ومنح الجمهور

حقوقاً جديدة فدعاه الرومانيون بوليكلولا اي المحبوب من الشعب وانتخبوا
له رفيقاً بدلاً من برونوس لوكر بيسيوس ابا لوكر بيسيا الذي مات بعد انتحاره
بايام قليلة فانتموا لهذا المنصب العالي ا وراسيوس بلفيلوس

الفصل الثاني

وفي سنة ٥٠٦ ق. م اراد بورسينا ملك مدينة كلوسيوم في بلاد
أتروريا الانتصار لطار كوينس فزحف الى رومية بجيش جرّار وحاصر
قلعة جانكولم واستولى عليها وأخرج منها الرومانيين الذين رجعوا الى الورا
ليدافعوا عن الجسر فتأثرهم بورسينا وتسببت الحرب بين الفريقين وقاتل
الرومانيون في ذلك اليوم قتال الابطال وصبروا على الاهوال الى ان
جرح قائدان من قوادهم العظام فدعروا وولوا منهزمين وكاد الاثروريون
يدخلون المدينة لولا شجاعة ا وراتيوس كوكلس الذي ردّ وحده هجمات
الاعداء. ومكّن القنصلين بفعله هذا من هدم الجسر فوقع بالنهر وهو مدحج
بالسلاح وكانت النبال تسقط عليه كال مطر الا انه نجا منها ساجداً وعمل له
الشعب تمثالاً نحاسياً وُضع في هيكل فولكانس تذكاراً لبسالته وجهاده
بحماية الجمهورية ومنحه اراضي كثيرة ودراهم وافرة جزاءً لفعاله هذه التي
خلدها التاريخ

واشدّ الجوع في المدينة ولما علم بورسينا بذلك أرسل يخبر الرومانيين
انه يعطيهم قوتاً كافياً ان كانوا يقبلون بتسليم طار كوينس عليهم فاجابوه
ان الجوع اقل ضرراً من العبودية والظلم

وكان في رومية فتى شريف اسمه ميسبوس كوردوس فهذا لما رأى
 الحالة التعيسة التي آل امرهم اليها تزيًا نزي الاترورين ووضع مدينة
 تحت ثيابه وخرج من المدينة وبما انه كان يتكلم جيداً اللغة الاترورية لم
 يجد مانعاً من دخوله الى معسكر الاعداء فانسل بين العساكر والقواد
 وتخلل الخيام الى ان وصل الى سرادق الملك فوجئ وكان بورسينا في ذلك
 النهار جالساً مع وزيره يعرض الجيش فظن ميسبوس الوزير انه الملك
 فوثب عليه وطعته طعنة كانت القاضية ثم هم بالهرب فامسكه الحاضرون
 اما بورسينا فتعجب من شجاعة هذا البطل الذي كانت تلوح عليه سمات
 الحق والفهر لانه لم يقتل من كان متعبداً قتله وكأنه اراد ان يقاص نفسه
 على خطيئه فوضع يده في النار التي اعدت لاهلاكه وكان ينظر اليها وهي
 تحترق من غير اظهار ألم او ضجر حيثئذ تحول غضب الملك الى اندهال
 عظيم وخاف خوفاً شديداً لما اعلمه ميسبوس ان ثلث مئة فتى روماني قد
 تعاهدوا باقسام عظيمة ان يقتلوه فعنا عنه واطلقه بعد ما اعطاه المدينة
 التي كان عامراً على اعدائه بهائم عقد مجلساً للاتنار بالوسائل التي يلزم
 اتخاذها لصيانة نفسه من الاخطار المحيطة به وكان اسن أرونس بحب
 الرومانيين لاسمهم وجسارتهم فقال له ان احسن الوسائل الواقية هي ابرام
 صلح مع هذه الامة فاتصح الملك بهذا الكلام وكف عن الحرب والعدوان
 وارسل الرومانيون الى بورسينا رهائن عشر بنات عذارى وعشرة
 صبيان من احسن العائلات وحدث انه بينما كانت اولئك البنات يغتسلن
 في النهر نظرت احدهن المسماة كليليا الى رومية فشاقها منظرها وتذكرت
 وطنها فاخذت تسمع والبنات يتبعنها حتى وصلن جميعاً الى الضفة المقابلة
 ودخلن المدينة سالمات وشاع هذا الخبر حالاً وبلغ بورسينا فزاد عجبته من
 جسارة الرومانيين واعتباره لهم ولما ردت البنات عليه أطلق كليليا ورفيقاتها
 قائلاً ان صدق الامة الرومانية هو خير كفيل للمحافظة على المعاهدة ثم

رحل الى بلاده ناركاً خيام عساكره مملوءة بالمؤونة والزاد
وقد روى بعض المؤرخين ان بورسينا قد استولى على رومية واذاها
حتى انه منع اهلها من استعمال الحديد بغير اشغال الزراعة اما الرواية
الاولى فحكايها لنبوس الذي دأب مدح الرومانيين

وفي هذه الاعصر الخشنة لم يتقن الرومانيون او بالحري لم يعرفوا سوى
فني الزراعة والحرب وكانوا يتقوتون بغلال حقولهم او بما كانوا ينهبونه في
غزواتهم الامم المجاورة وغاراتهم عليها . وكل الاعمال اليدوية ما خلا هذين
الفنين كانت مجهولة في رومية او مخصوصة بالعبيد والغرباء لانهم كانوا
جميعاً فلاحين وكان جميع الفلاحين عساكر ولنا دليل على ذلك ما سنراه
في هذا التاريخ من ان بعض مشاهير قوادهم الذين فتحوا المدائن وحازوا
النصرات العظيمة كانوا ياتون بهم من حقولهم وهم يشتغلون بحربها الى
ساحات القتال ومواقف الضرب والطعان وكان العظماء يعوّدون اولادهم
الاعمال المتعبة والعيشة الخشنة لتقوى ابدانهم ويكونوا اقدر على احتمال
انعاب الحروب

ومن عوائد الرومانيين في ايام ملوكهم انهم كانوا يبيعون نصف
الاراضي التي يغتصبونها قياًماً بالنفقات اللازمة للحرب ويعطون النصف
الباقى للفقراء او ياجرونه لهم باجرة طنيفة غير ان الآباء والشرقاء القابضين
في ايام الجمهورية على عنان الاحكام اهلوا هذه العوائد الحسنة وشرعوا
يسلبون لانفسهم ما امكهم سلبه من تلك الاراضي فزادت ثروتهم وكثر
دخلهم وقلت اموال الخزينة وحرم الجندي الذي خاطر بحياته لتوسيع نطاق
بلاده قطعة ارض صغيرة ياخذها اجره له وجزاء على بسالته

ولما كان الجندي غير مأجور على انعابه وخدماته كان يحتاج احياناً
الى استقراض مال من الشرقاء ورهن قطعة ارضه الصغيرة حتى اذا ما
تكاثرت الدين لسبب الرباء الفاحش بادر الدائن الى القبض عليه واستعباده

أو يبعه

وفي ذلك الحين أشفق المديونون على انفسهم من جور دائنهم فعرضوا أمرهم للمجلس وشكوا عسرهم متظاهرين بقولهم انهم بعد ما ذاقوا غمرات الموت في محاربة الطاركو بينهن والذب عن حرية العموم قد اصبحوا عبيداً للمواطنين فلم يجب المجلس نداهم ولم يصغ الى صوت شكواهم وكان اللاتينيون قد نهضوا سنة ٤٩٧ ق م لقتال الرومانيين انتصاراً لطاركو ينس فابى حينئذ العوام ولا سيما المديونون التجند محتجين انهم قد سئمو الحياة بخدمة موال طمعين وقساء وانهم غير مجبرين على الدفاع عن وطن لا يملكون من ارضه قيد باع بل قد صممو اذ لم يسامحو بما عليهم من الديون ان يغادروا المدينة فراراً من ظلم دائنهم

ورأى المجلس والشرقاء الاخطار المحيطة بهم من كل جانب فادركوا ضرورة تسليم زمام السياسة لرجل واحد يكون مطلق السلطة ليقطع دابر المنسدين ويمنع الشقاق ان يسري بين الوطنيين ويكون وسيلة الى انضمام واجتماع كلمتهم في ازمة الحرب والشدائد واتخبوا لهذا الامر طيطس لارنيوس احد القنصلين الحاليين ولقبوه بالديكتاتور

وكان لهذا الحاكم سلطة مطلقة على حياة واموال جميع الرومانيين وكان اذا مشى يتقدمه اربعة وعشرون شرطياً حاملين أفوساً اما انتخابه فكان في الاوقات العسرة جداً ولمدة ستة اشهر فقط وعدل لارنيوس في احكامه وظهر ثباتاً عظيماً في اجراء كل اعماله حتى أدب العصاة واخمد نار الفتنة واحصى الشعب حسب قوانين الملك سركيوس طلس وجهز جنوداً قسمها الى ثلاث فرق وخرج لقتال اللاتينيين فاستظهر عليهم في الوقعات القليلة التي حدثت ثم هادتهم وانكف راجعاً الى رومية واستعفى من منصبه قبل انقضاء الاجل المسمى

وأغرى طاركو ينس اللاتينيين سنة ٤٩٥ ق م بقتال الرومانيين

ايضاً فنهضوا بعدد عديد من الاطال والنرسان واغاروا على ارض الجمهورية
فرحف الدكتاتور بوستيموس لمحاربهم وعسكر على رابية بالقرب من بحيرة
رجلس واقام القنصل فرجينوس على رابية اخرى تماهه واتى اللاتينيون
وعسكروا بين الراييتين وأمر بوستيموس قائد النرسان ان يذهب في الليل
سرّاً ويتحصن على رابية ثالثة واقعة في الجهة التي يرد منها المدد الى الاعداء
ثم هجم الرومانيون على جيوش اللاتينيين فاندثر هولاء اليهم بعزم تات
وأمل وطيد بالظفر لكونهم اكثر عدداً منهم اما الرومانيون فلم يبالوا
بالاهوال ولم ترعهم كثرة الاعداء بل انقضوا عليهم انقضا الصواعق
واقنعوا صنوفهم كالضراغم فنهضوا معهم الرجال وحندلوا النرسان والاطال
وانجلى تلك المعركة عن قتل اني طاركوينس وارداً كثير من قواد
الفرقيين وأبصر اللاتينيون من سيوف خصومهم الموت الزوام فاركبوا
الى الهزيمة ناجين بانفسهم ودعيت هذه الحرب حرب رجلس نسبة الى
البحيرة المذكورة آنفاً وهي شهيرة بالتاريخ لانها اصعبت اللاتينيين وقوضت
صرح مجدهم فذلوا وخضعوا الرومية وطردوا طاركوينس من بلادهم فذهب
هذا الملك وسكن بكومي ومات فيها

ودخل الدكتاتور الى المدينة بهجة عظيمة محملاً بعصرته واجرى
العباً عمومية وبنى هيكلآ لكستور وبوليكس طلي تروادة لانها نظرا على
ما قيل راكين فرسين ابصين وخائضين عجاج الحرب لاعابة الرومانيين
وقد روى احد المؤرخين ان بوستيموس ورافاقه نظروا في المعركة فارسين
عظيمين كأنهم من الجبار يتقدمان فرقة النرسان ويلقيان الرعب في
قلوب الاعداء وفي المساء بعد ما انهزم اللاتينيون ظهر ذاك النارسان
في رومية وبشرا الشعب بانتصار الرومانيين وتوارى عن الابصار فتأكد
القوم انها كستور وبوليكس اللذان حصرا لنصرتهم

الفصل الثالث

وظن الشرفاء انهم آمنوا بموت طاركوينس حدثان الدهر
 واصبحوا في غنى عن الشعب لذلك عادوا الى جورهم القديم في معاملة المديونين
 ناسين شرائع الانسانية والعدل الآمرة بالمعروف والاحسان فمل العوام
 من الظلم والعذاب وباتوا في قلق عظيم وبينما كانوا ملتجئين في محل
 الاجتماع أقبل عليهم رجل مكبل بالسلاسل ورمى بنفسه بينهم مستجيراً
 وكان هذا الرجل طويل القامة مهزولاً وثيابه كانت وسخة بالية وشعره
 اشعث وطويلاً فعرفته الحاضرون لانهم رأوه مراراً عديدة بخوض عجاج
 الحرب كالاسد الرئيل غير مبال بالصوارم والموت الزوأم الا انهم جهلوا
 أمره وعجبوا من استحالة حاله فقال لهم ذلك الشيخ يا قوم اني قد فقدت
 حريتي وكل ما املكه في سبيل الدفاع عن حرية الوطن وقد وقعت الان
 في يد دائني القاسي الذي لا تاخذه شفقة علي بل قد اودعني وابني السجن
 واسلمني الى عبيده ليوسعوني ضرباً ثم خلع ثيابه ورأى الجمهور ظهره دامياً
 من الجلد وصدرة مخدشاً بطعنات رماح الاعداء وضربات سيوفهم فلم
 يمالك احد عن الغيظ بل علا الصييح وزاد الحنق وتراكم الشعب من
 كل جهة وهو يشتم الشرفاء ويلعنهم كأن روح الثورة قد دبّت في جميع
 الصدور الا ان الفئصل سرفيوس قدر على ازالة هذه الفتنة وصرف التجمعين
 واعداء ايام بمنع الدائنين عن اهانة مديونهم ومطالبتهم الى ان يصدر المجلس
 أمراً بهذا الشأن

ونظر اعداء الرومانيين كالقولسيين والصابنيين انقسامهم وثورة

العوام فنهضوا مراراً لمحاربتهم غير انهم كانوا يرتدون عنهم بالخيانة والنشل لان الشرفاء كانوا عند اقتراب عدو او دنو خطر منهم يتملقون الشعب وبعده وعوداً كاذبة ليحملوه على الحرب والدفاع حتى اذا ما انجلي الخطب وانقضت سمحوا لاختار وبداءوا السياسة صافياً فكثروا عهودهم ونقضوا وعدهم وعادوا الى ما كانوا عليه من اهانته مديونهم وظلمهم

اما الان (سنة ٤٩٢ ق م) وقد تفاقم الخطب وعظم المصائب وعرف العوام دهاء العظماء ومكرهم فاجتمعوا خارج المدينة وجاءوا بالعصيان ثم ذهبوا الى رابية دعوا فيها بعد الجبل المقدس وهي على بعد ثلثة اميال من رومية واقاموا عليها مدة ينتظرون فرجاً من الضيق وخلاصاً من العذاب

ورأى المجلس ما كان فجزع جداً وخشي وقوع الحروب الاهلية وحدوث ما ينجم عن هذه الحروب من المضار فانهذ في الحال عشرة رسل ليرضوا القوم المنتظمين ويرجعوهم الى المدينة ولما وصل الرسل نهض احدهم وهو مينيوس واخبر الحاضر بن ان المجلس قد قرّر الصلح عن ذنوبهم واعفاه المديونين المفلسين من ديونهم واطلاق سبيل من كان منهم مسجوناً وانه سيخبرهم في وضع قانون جديد بشأن القرض والاستقراض وحرصهم جميعاً على الخضوع للمجلس والسير بموجب احكامه مظهرًا ضرورة ذلك بتشبيه المجلس بالمعدة التي تغذي الجسد من الفوت الذي تاخذه هي لنفسها مقدمة لكل عضو منه الغذاء الذي بلائمه ومستنجاً ان بقاء الجسد وقوة متوقفان على حيوة المعدة ثم قال لهم الى م تنهون الاء ايها الرومانيون بانهم قد طردوكم من وطنكم وكيف بخامر فلكم هذا الفكر وهم يجهدون دائماً في منفعتكم ويسالونكم الان الرجوع الى المدينة ليلاقوكم فيها بالترحاب والاكرام

فسر الجمهور الحاضر من كلامه الا انه لم يرجع الى المدينة قبل ان

صمّح له بإقامة وكيلين عن الشعب يتخبران منه في كل سنة ويكون لهما
 الحق في حماية المظلوم ونقض احكام المجلس متى رأياها غير عادلة فانقضت
 الامة الرومانية الى حزبين متباينين احدهما حزب العوام المتفادلاً رأياً
 وسياسة وكيليه والآخر حزب الشرفاء التابع للمجلس والفنصليين
 وجمع الفنصل كومينيوس عساكر سنة ٤٩٢ وزحف لمحاربة الفولسيين
 فكسروهم في واقعتين واستولى على مدينتيهن من مدائنه ثم تقدم لمحاصرة
 كوريولي عاصمة بلادهم فالتقاء الكور يوليون ومنعوا جنوده عن تسور
 الاسوار وكادوا يقتلون به فتكاً ذريعاً لولا الفتى الشريف كايوس مارسيوس
 الذي بادر اليهم كالغصنفر وذاقهم بطعناته المتتابعة وهجمات اعوانه حرباً
 لا تبقى ولا تذر فارتدوا الى الوراء خاشعين وملك الرومانيون مدينتهم
 وضربوا عليهم الذلة وفي الغد جلس الفنصل على سريريه ودعا مرسبيوس امام
 الجند واتى على اعماله ثناءً جميلاً ثم كلله باكليل الانتصار واعطاه عشر
 الاسلاب وجواداً مطهماً واذن له أن يختار من الاسراء عشرة عبيد فابى
 هذا البطل الصنديد قبول ما قدم له ولم ياخذ سوى الحصان وعبد واحد
 اعنفه في الحال لانه كان صديقه ولقب مارسبيوس في ذلك الحين
 بكوريولانس نسبة الى مدينة كوريولي التي استولى عليها بشجاعته وتديره
 وكان هذا الفتى جافي الخلق عبيداً لا يشبه عماروم خطراً او عيد وكان
 اذا خطر في باله امرٌ يسعى لادراكه بهمة ونشاط مستهلاً الصعب وباذلاً
 اذا اقتضت الحال النفس والنفس فاغضب العوام باخلاقه هذه وحلمهم
 على كرهه لانه في المجاعة التي حدثت سنة ٤٩١ ق م حازب الشرفاء مانعاً
 الفقراء ان ياخذوا مجاناً الحنطة المجلوبة من الخارج لاعالهم وراغباً في
 احباط اعمال وكيلى الشعب وابطال سلطتها لتسنى للشرفاء السيادة
 المطلقة فهاج العوام هيجاناً عظيماً وطردوه من المدينة فخرج منها سنة ٤٩٠ ق م
 حاقداً غصوباً ومصماً على الانتقام وبعد ان مكث مدة في اراضيه ذهب الى

انتبوم سنة ٤٨٨ ق م وهي مدينة كبيرة في بلاد الفولسيين ودخل منزل
ايوس طلس فائد جيوشهم وجلس بالقرب من مذبح الآلهة فلم يعرفه احد
لانه كان مبرقعا ولما اتى طلس صاحب المنزل وخاطبه مستخبرا عن امره زاح
النام واجابه بهذه الكلمات

انا كايوس مارسيوس الملقب بكور يولانس قد طردت من رومية
لان الشعب كرهني ظلما والشرفاء لم يستطيعوا حمايتي لسبب جنهم العظيم
فاليك قد لحيئت الان طالبا نصرتك للانتقام من أعدائي وإعدادكم وإسالك
اذا كانت الحكومة لا ترضى عني ولا تقبلني خادما لها ان تسلب بيدك حياة
عدوك القديم القادر على اضرار بلادك اذا لم نأخذ بناصره او نعهد الى
اردائه فحجب طلس من بسالتو وقال له لا تخف يا مارسيوس قد امنت الينا فزت
منا بالامان وانا لنقدرك حق قدرك ونعد وجودك بيننا نعمة كبرى وسنتفع
بخدمتك لان فائدا مثلك شهيرا يحق له كل اكرام ثم خلا معه للبحث عن
الوسائل اللازمة لتجديد الحرب مع الرومانيين

وكان الرومانيون يستعدون وقتئذ لاجراء العاب عمومية عقوب
اهداء هيكلي لجوبيتر فخرج الى رومية للتفرج على تلك الالعاب جموع كثيرة
من الامم المجاورة لا سيما من الفولسيين الذين انتشروا في جميع احياء المدينة
وضواحيها وكان عدد المتفرجين وافرا جدا حتى ان الفنصلين خشيا من
حدوث حادث بعثت براحة الاهلين فاغنم طلس وكور يولانس هذه
الفرصة واذاعا ان الفولسيين عازمون على حرق المدينة فصدق الرومانيون
هذا الخبر واصدر المجلس امرا يحظر عليهم البقاء في رومية ويامرهم بالرحيل
حالا فانصرفوا جميعا الى مدنها صاغرين ولما علم طلس بذلك قال لم
أنصبرون يا قوم على هذه الاهانة ولا تشكون وتنظرون الى صلف
الرومانيين وافعالهم المنكرة ولا تغضبون فلقد تغضوا اليهود ونكثوا الوعود
وجاهروا بالعدوان غير مباليين ولعمري انهم سيشنون الغارة علينا ويغزون

ارضنا وبتكون ديارنا اطلاقاً بالية ينشق فيها اليوم والرخم فابتدروا اذا
 سلاحكم ايها الابطال وانتكلوا على كور يولانس الفارس المغوار الذي شهدتم
 وقعاته واخبرتم بسالته لانه قد لجىء اليه الان لنتصراة من امنوا التي لم
 نقدرة حق قدره ولم ترع مقامه ثم دعا كور يولانس فتقدم هذا امام الحضور
 وحدثهم بحديثه واعرب لهم عن رغبته في اخذ الثار وحثهم على القتال بعبارات
 حماسية وتحجج قوية الى ان ثارت الحمية بالجميع وسرت فيهم روح الانتقام
 وعولوا على الحرب الا انهم ارسلوا بادية بدء رسلاً الى رومية يسألون
 مجلسها رد الاراضي التي اخذها الرومانيون في غاراتهم السابقة على الفولسيين
 وبمعاهداتهم الاجبارية معهم ثلاً بنشب القتال ويكونوا هم المسؤولين بولانهم
 رفضوا الصلح والتسوية حسبما يامر العدل والانصاف فاجابهم القنصل
 بكلام وجيز قائلاً ان الخوف لا يحمل الرومانيين على تسليم ما ملكوه
 بقوتهم وبطشهم وانه اذا كان الفولسيون يتدرون السلاح اولاً فالرومانيون
 لا يستقونهم ابداً الى تركه ولما رجعت الرسل حمل طلّس على اللاتينيين
 ليمنعهم من امداد الرومانيين واغار كور يولانس على اراضي رومية فاسر من
 رجالها عدداً عديداً لانهم كانوا متفرقين في الحقول غير مستعدين للقتال
 واستاق غنائم وبقرًا واخذ حنطة وافرة وانكشف للفناء طلّس ظافراً غانماً
 وابصر الفولسيون انتصاره فاقبلوا على التجدد آملين الكسب والنصر تحت
 لواء قائد شهير شجاع وعاد كور يولانس الى ساحة الضرب والطعان واستولى
 على عدة مدن رومانية ولايتينية ثم زحف الى رومية وحاصرها ولما نظر
 الشعب تقدمه وكثرة انصراته ورأى جيوشه في تلك البطاح تنهوج
 كالبحر الزاخر رعب وخارت قواه واقبل الى الفورم يستجير بروسائه
 ويطلب اليهم بالمحاح ان يبطلوا امر نفي كور يولانس ويسألوه كف
 العدوان فائتمر المجلس ملياً وارسل اليه رسلاً يستعطفونه ويعرضون له
 رغبة الرومانيين في السلام وندمهم على ما جرى فردهم كور يولانس خائنين

لأنه طلب لإبرام الصلح شروطاً قاسية لا يمكن الشعب الروماني قبولها فإرسل
اليه المجلس رسلاً آخرين من اصدقائه واقربائه فلم يجنبهم ولم يصغ
اليهم بل صرفهم بالخيبة والفشل كالاولين فضاقت الجميع ذرعاً وبعثوا اليه
بالكهنه لابسين الملابس الاحفالية ليسترضوه ويحملوه على تلطيف الشروط
فلم يستطع هؤلاء ايضاً تغيير شيء مما صمم عليه ولم يكن حظهم منه باسعد من
حظ السابقين حيث بقيت قامت فانور يا امه وفولومينا امرأته واخذنا ابنيو
وخرجنا من المدينة مع عدة نساء شريفات ونوجهن جميعاً الى
معسكر الفولسيين وحينما ابصر كور يولانس امه وامرأته باكتين نسالانه
السلام وصيانة بلاده من الخراب بعبارات نفنت الاكباد حن وبكى وقال
وقال لامو يا اماه قد غلبتني وانسيتني بكلامك اساءة وطني الي وقد خلصت
رومية بفعلك هذا الا انك اهلكت ابنك وفي الغد جمع جنوده ورحل بهم
الى ارض الفولسيين حيث مات قتلاً كبحرم خائن لانه ارتد عن رومية
بعد ما كاد يستولي عليها وقال ليفيوس ان الفولسيين لم يقتلوه بل عاش
بهم زمناً طويلاً بالحزن والكدر لانه اضاع حياته بلا فائدة اولانه بذل
جهداً في اذلال امته مع انه كان قادراً على نفعها اكثر من غيره

الفصل الرابع

ومرت على رومية بعد حرب كور يولانس مدة ثلاثين سنة لم يسمع فيها
سوى صليل السلاح وصهيل الجياد في قتال الامم المجاورة لاسيما الفولسيين
والاكوبيين والفيين والصابينيين ولم ير في اثناها ايام مهادنة هؤلاء الاعداء

سوى اضطراب داخلي ناشيء عن نزاع وكلاء الشعب الدائم للشرفاء وطمعهم في توسيع نطاق سلطتهم وتخفيض سيادة العظماء وثروتهم وكانوا يذرعون الى نبل ما يتغونه بوسائل تستميل الجمهور من ذلك القانون العقاري الذي اشتدت لاجله الخصومات بين الكبراء والعوام حتى انه في الحرب التي حدثت سنة ٤٧٠ قتل الفصل ايبوس كلوديوس عشر عساكره لانهم رفضوا القتال وولوا منهزمين ومآل هذا القانون توزيع الاراضي المغتنية بين الفقراء اما القانون الترتبوسي فكان عادلاً جداً لان ما آله منع الشرفاء المحاكين عن النظر في الدعاوي كما نقضي اميالم واهواؤهم واجبارهم على حسم المشاكل بموجب دستور بسنة رجال حكمااء ينتخبهم الشعب لهذه الغاية

واغار الاكويون سنة ٤٥٧ ق.م على اراضي امة حليفة الرومانيين ونهبوا منها ما امكنهم نهبه ثم ارتدوا وعسكروا على بعد اثني عشر ميلاً من رومية فارسل اليهم المجلس ثلاثة سفراء يشتكون من فعلهم ويرغبون اليهم ردّ ما اخذوه وكان قائد هذه الجنود جالساً حينئذٍ تحت شجرة يستظل بها فلم يحبّ السفراء عما طلبوه بل قال لهم سلوا هذه الشجرة ما اردتموه لان لي شغلاً شاغلاً بمنعني عن اجابتكم ولما رجعت السفراء الى رومية وعلم المجلس ما حدث وجه احد القنصلين لمحاربته وبعث القنصل الاخر ليغزو ويخرب بلاد الاكويين ونهض الصانيون ايضاً في ذلك الحين لقتال رومية فالتفاهم القنصل نونيوس وكسره ثم هجم على المدن الصابنية ونهبها اما القنصل منوسيوس فلم يستطع رد الاكويين الذين لما رأوا ضعفه بادروا اليه وحصلوه في معسكره آملين ان المجموع يكرهه على التسليم وبلغ الخبر المجلس فهدى الى اقامة رجلٍ شريف يدعى سنسنانس ديكتاتوراً وارسل اليه رسلاً يخبرونه بذلك فلقى الرسل سنسنانس بحرث ارضه بيده وكان العرق اذ ذاك مكثلاً جبهة من عظم التعب وحينما علم هذا الشيخ الشيط ما طرأ

على وطنه واعتماد الجمهور عليه بدليل انتخابه لهذا المنصب الخطير اسرع الى رومية وجهاز من رجالها جيشاً كافياً وخرج منها في الحال واغار على الاعداء فنكل بهم واسر من بقي منهم في قيد الحياة وبعد ان جعلهم يمرون تحت النير دلالة على العبودية خلى سبيلهم جميعاً ما خلا فائدهم وعشرة رجال ابقاهم ليمشوا امامه عند دخوله المدينة واحفالهم بنصرته ثم ارتد الى رومية وولجها ظافراً غائماً واستغنى من منصبه الذي تقلده ستة عشر يوماً فقط ورجع الى بستانه ليحرثه ويعني به راضياً بقره وعيشته الخشنة وموثرًا حالته هذه على السلطة والراحة فاذا نظروا الى طباع الرومانيين واقتناعهم وتاملنا ثباتهم وصبرهم على الاهوال في ساحات القتال وتاليهم لرفع شان بلادهم لا تعجب من ارتفاعهم معارج الفلاح وتسلطهم على ممالك العالم وفي السنة التالية تمكن العوام من زيادة عدد وكلائهم فجعلوهم عشرة يتخبونهم كل عام كما كانوا يتخبون الوكيلين الا انه لم يسمح لاحد ان يتقلد هذه الوظيفة سنتين على التوالي

وفي سنة ٤٥١ ق.م رضي المجلس بالقانون الترتيبي المشار اليه انفاً وارسل الى بلاد اليونان سفراء ليدرسوا الشريعة اليونانية وينسخوا منها ما يرونه موافقاً للجمهورية الرومانية ولما رجع هؤلاء السفراء اقام الشعب باتفاق الاراء عشرة ولاية او دسفير ليتولوا القضاء ويقوموا مقام القضاة والوكلاء الذين ابطلت وظيفتهم في هذا العام ويسنوا القوانين اللازمة للامة فعدل الدسفير باديء بدء ووضعوا شرائع عرفت بشرائع اثني عشر لوحاً لانها كتبت على اثني عشر لوحاً نحاسياً وهاك بيانها بالتفصيل لتلم ببعض عوائد وطباع هذا الشعب الشهير

الملوح الاول

في الدعاوي

المادة الاولى . اذا دعيت الى دار القضاء فاذهب حالاً مع خصك

المادة الثانية . اذا ابى خصك الحضور لدى القاضي فاقم شهوداً عليه

ليمكنك احضاره جبراً

المادة الثالثة . اذا اراد خصك الفرار منك يمكنك القبض عليه

المادة الرابعة . اذا كان خصك مريضاً او شيخاً عاجزاً يلزم ان

تخصر في مركبة وان ابى الامتنال فليست مجبراً على

تقديم مركبة

المادة الخامسة . اذا قدم خصك كفيلاً يلزمك اطلاقه

المادة السادسة . ان كهيل الغني يلزم ان يكون غنياً اما كهيل الفقير

فمقبول مهما كان

المادة السابعة . على القاضي ان يفصل الدعوى حسب اتفاق الخصوم

المادة الثامنة . اذا لم يكن اتفاق بين الفريقين فعلى الحاكم ان يسمع

الدعوى من طلوع الشمس الى الظهر بحضور الخصمين

المادة التاسعة . ان المحكم بالدعوى المشار اليها يكون بعد الظهر بحضور

الخصمين

المادة العاشرة . لا تخاكم ولا قصاء بعد غروب الشمس

المادة الحادية عشرة . اذا اتفق الخصمان على اقامة حكم يفصل لهما الدعوى

فليقدموا كفيلين يكفلان حضورهما ومن يغيب بغرم

بدفع مقدار من الدراهم بصير تعينه ما لم يمنعه عن

المحضور مانع كمرض او ابقاء نذر او اشغال عمومية
فتؤجل رؤية الدعوى الى الغد

المادة الثانية عشرة . من لم يمكنه احضار شهود يشهدون بصحة دعواه
فليذهب الى امام منزل خصمه و يعلن ما يدعيه
بصراح و جلبة

اللولح الثاني

في السرقات

المادة الاولى . من يقتل لصاً بدهمه ليلاً لا يعاقب على قتله

المادة الثانية . اذا قبض على لص وهو يسرق في النهار مجلد ويمسي

عبد الرجل الذي نوى استلاب امتعته و اذا كان هذا

الص عبدًا مجلد و يطرح على راسه من قمة الكايتولينس .

اما اذا كان ولدًا قاصرًا فيعاقب حسبما يرثي الحاكم

و يعوز الرجل المسروق مما فقده

المادة الثالثة . من يقتل لصاً قد اشهر سلاحاً لا يعاقب على قتله

المادة الرابعة . اذا فتنس منزل و وجد فيه امتعة مسلوقة يقاص

صاحبه حالاً كلص ارتكب السرقة علناً

المادة الخامسة . من يسرق خفية يدفع ثمن ما بسرقة مضاعفاً

المادة السادسة . من يعند على غيره و يقطع اشجاره يدفع ٢٥ فصاً

نحاسياً عن كل شجرة يقطعها

المادة السابعة . من يات بستان غير خفية ويدوس زرعه او يحصده

بشئ في ذلك المكان ويكون قتله بمثابة ذبيحة تقدم
لسيرس إله الزراعة ولكن اذا كان الجاني ولدًا قاصرًا
يقاص بما يرثيه المحاكم مناسبًا ويغرم بدفع ثمن ما اتلفه
مضاعفًا

المادة الثامنة . اذا عفا الرجل المسروق منه شيء عن السارق او توافقا
يعاف اللص من كل عقاب

المادة التاسعة . لا يعتبر الزمان على الاطلاق حقًا للملك الامتعة المسلوقة
ولا يحق لغريب ان يملك مال روماني وطني لسبب
ظول مدة استيلائه عليه

المادة العاشرة . اذا خان المؤمن ونصرف بالأمانة يدفع قيمتها
مضاعفة

المادة الحادية عشرة . من وجد ماله عند رجل قد استولى عليه بخيانة
فليشك امره الى القاضي الذي يقيم حكمًا لتحقيق الدعوى
ويغرم المالك غير الشرعي بدفع ضعف قيمة ما اتلفه من
ذلك المال

المادة الثانية عشرة . اذا سرق عبد بامر مولاه شيئًا خفية او اتلفه
يسلم العبد الى الرجل المسروق منه كنعويض ما
خسره

اللوحة الثالث

في القرض والاستفراض وحقوق الدائن على المدينون

المادة الاولى . من ياخذ ربا أكثر من واحد بالمائة يغرم بدفع قيمة

ما اقضه اربع مرار

المادة الثانية . من يقر بدين او يحكم عليه به مهل ثلثين يوماً ليوفيه

واذا لم يستطع بعد ذلك ايفاءه يحضر لدى القاضي

المادة الثالثة . اذا لم يوف المديون دينه ولم يجد كفيلاً يمكن الدائن

ان يجيء به الى منزله ويقيده بسلسلة حديدية لا يزيد

وزنها عن الخمسة عشر رطلاً اوروبياً

المادة الرابعة . اذا ابى المديون المقبوض عليه او لم يقدر ان ينفق من

ماله يقدم له الدائن طعامه

المادة الخامسة . يسجن الدائن المديون ستين يوماً ثم يعرضه في السوق

ثلاثة ايام معلناً قيته دينه

المادة السادسة . اذا كان رجل مديوناً لكثيرين يقطع جسده في اليوم

الثالث من عرضه بالسوق قطعاً يقتسمها الدائنون او

يباع للغرباء الساكنين وراء نهر التبر

اللوح الرابع

في حقوق الآباء على البنين

المادة الاولى . للاب حق ان يربي او يقتل او يبيع بنوه الشرعيين

متى أراد

المادة الثانية . لا سلطة للأب على ولده اذا باعه ثلث مرار

المادة الثالثة . اذا ولد للرجل ولد أشوه فليقتله حالاً

المادة الرابعة . على الولدان يعيل اباه متى افتقر واحتاج واذا كان

الاب قد اهل ترينته ولم يعلمه مهنة فلا يجبر على
اعالته

المادة الخامسة . ابن الزنى غير مجبر أن يشتغل لاعالة ابيه

اللوح الخامس

في الميراث وما يتعلق به

المادة الاولى اذا مات رجل عن اولاد توزع تركته بينهم واذا

كان اولاده قاصر بن يוכל أمرهم الى الوصي الذي عينه

المادة الثانية . اذا مات رجل ولم يكن له عقب ولم يوص بماله لاحد

يرثه اقرب انسابه

المادة الثالثة . اذا مات عبد معتق ولم يكن له اولاد يرثه مولاه

او بنوه

المادة الرابعة . اذا مات مديون يوفى دينه من التركة وما يبقى بعد

ذلك بوزع بين الوراثين

المادة الخامسة . اذا مات رجل عن ولد قاصر ولم يعين له وصياً يتولى

امره اقرب انسابه

المادة السادسة . اذا جن رجل او اصبح مسرماً يتولى ادارة اعماله احد

اقربائه او رجل من عائلته اذا لم يكن له اقرباء

اللوحة السادسة

في البيع والشراء

- المادة الاولى . يلزم ان يكون البيع صريحاً
- المادة الثانية . اذا حرر عبد بشرط ان يدفع مقداراً من النقود ثم يبيع بعد ذلك يعنى منى نقد مولاه الدراهم المفروضة
- المادة الثالثة . لا يحق لاحد ان يملك سلعة لم يدفع ثمنها
- المادة الرابعة . ان مرور الزمان في العقارات عامان وفي الامتعة المنقولة عام واحد
- المادة الخامسة . يرجح في الدعاوى حق المالك وفي الخصومات على الحرية والاستعباد حق طالب الحرية

اللوحة السابعة

في الجنايات والاضرار

- المادة الاولى . اذا اتلفت بهيمة شيئاً في بستان احد ياخذ صاحب البستان تعويضاً او البهيمة
- المادة الثانية . اذا كان لك عمود ووجدته في بيت او كرم رجل اخر فلا تنقض ذلك البيت او تخرب الكرمة ولكن خذ ضعف قيمة الشيء المسلوب
- المادة الثالثة . من يحرق بيت غيره او يشعل قمحه فليسجن ويجلد

وبحرق ولكن اذا كان ما اتاه عن غير عمدٍ فليعط
نعويضاً واذا كان فقيراً يؤدب

المادة الرابعة . يعاقب المجاني بمثل ما جنت يده واذا رضي المضرور
نعويضاً يعفى عنه

المادة الخامسة . من ضرب معتقاً ففك له عظمه من جسده يعطو ثلثائة
رطل نحاساً ولعبد مائة وخمسين

المادة السادسة . من يلطم رجلاً او يشتمه ينقده خمسة وعشرين
قصاً نحاسياً

المادة السابعة . من يذم رجلاً بكلام مهين او ايات تنفضه وتقطل
صينته يجلد

المادة الثامنة . من شهد مرة في دعوى ثم رفض الشهادة يرذل ولا
تقوم شهادته فيما بعد

المادة التاسعة . من شهد بالزور يطرح على راسه من قمة الكايتولينوس

المادة العاشرة . من قتل معتقاً او سحره او سمه بعدم كفانل

المادة الحادية عشرة . من يقتل أباً او أمّاً يوضع في كيس جلد ويطرح في
النهر

المادة الثانية عشرة . اذا أهمل الوصي اشغال القاصر ينبه على اهلاكه واذا
اخذ من شئاً يرد عليه قيمة ما أخذه مضاعفة

المادة الثالثة عشرة . اذا غش الولي تابعه بعد محضراً مردولاً

الملوح الثامن

في الاملاك خارج المدينة

المادة الاولى . يترك بين المنازل مجال عرضه قدما و نصف

- المادة الثانية . يمكن المتعاقدين ان يجرؤا ما يتفقون عليه بشرط الا
بمخالفة الشرائع العمومية
- المادة الثالثة . اذا اختلف جاران على حدود أرضهما يقيم القاضي
حكماً للنظر في ذلك
- المادة الرابعة . اذا كانت شجرة تؤذي بظلها باستاناً آخر تقطع اغصانها
على علو خمس عشر قدماً
- المادة الخامسة . اذا سقطت أثمار شجرة في السستان المجاور فلصاحبها
الحق أن يجمع تلك الاثمار
- المادة السادسة . اذا عمل رجل قناة في سستان لصرف مياه المطر منه
الى الحقل المجاور يقيم القاضي حكماً لتقدير الضرر ومنعه
- المادة السابعة . اذا كانت الطريق مستقيمة يكون عرضها ثمانى
اقدام والافست عشرة قدماً
- المادة الثامنة . اذا كانت الطريق الواقعة بين حقلي ردية يمكن
المسافر ان يمر في الحقل الذي يخناره

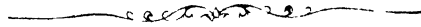
اللوحة التاسع

في حقوق العوام

الجميع في الحقوق سواء

- المادة الاولى .
- المادة الثانية . المديون الذي استعبد واعنق والغرباء الذين
عصوا وثابوا الى الطاعة ينخون حقوقهم القديمة
- المادة الثالثة . القاضي الذي ياخذ الرشوة يعد مجرمًا
- المادة الرابعة . الدعاوى المقامة على رجل روماني وطني سنان
حياته وحرية وحقوقه تعرض في محل الاجتماع

- المادة الخامسة . يقيم الشعب مفتشين لفحص الدعاوى المهمة
- المادة السادسة . الذين يلتزمون ليلاً في المدينة لأجل الفاء الفتن يقتلون
- المادة السابعة . كل من يجرّض غريباً على محاربة رومية او يسلم رجلاً وطنياً الى غريب يقتل
- المادة الثامنة . القوانين التي يضعها الشعب بشأن امر ما تبطل القوانين الموضوعه لذلك قبلاً



اللوح العاشر في الجبازات والمآتم

- المادة الاولى . لا يدفن ميت ولا يحرق داخل المدينة
- المادة الثانية . لا يجوز الاسراف في تجهيز الميت ولا الصراخ والبكاء الشديد عليه
- المادة الثالثة . الخشب الذي يحرق به الميت لا يقطع بمشار ولا يصفل
- المادة الرابعة . لا يلبس الميت أكثر من ثلاثة اثواب موشية بالارجوان ولا يستخدم للاحتفال بجنائزه أكثر من عشرة مزمربين
- المادة الخامسة . لا يجوز للنساء ان يلبطن وجوههن او يشوهن اجسادهن او يصرخن صراخاً فيمناً
- المادة السادسة . لا يجوز أخذ قطعة من جثة الميت للاحتفال بجنائزه مرة أخرى الا اذا مات في الحرب او غريباً

المادة السابعة . لا يجوز تحنيط العبد ولا معاطاة المسكرات في المآتم

ولا تطيب جثث الموتى

المادة الثامنة . لا يجوز احضار اكاليل وقوارير طيب الى المآتم

المادة التاسعة . اذا استحق الميت اكليلًا في الالعب العمومية لمهارته

او لمهاره عبيده او سرعة خيله فليؤنن وليستأذن

اقرباؤه في تكليله مدة الايام السبعة التي يبقى بها في

البيت وحينما يدفن

المادة العاشرة . لا يحفل للميت الا بجنازة واحدة ولا يوسد الا على

فراش واحد

المادة الحادية عشرة . لا يجوز استعمال الذهب في الجنازة الا اذا ربط

حنك الميت بخيط ذهبي فتدفن الجثة مع الخيط

المادة الثانية عشرة . يدفن الميت او يحرق في مكان يبعد عن المنازل

ستين قدماً على الاقل الا اذا رضي صاحب المنزل بمخالفة

ذلك فيجوز

المادة الثالثة عشرة . لا يعتبر مرور الزمان حقاً لملك المدافن

اللوحي الحادي عشر

في عبادة الآلهة

المادة الاولى . على المرء ان ياتي الاجتماعات الدينية بطهارة وورع

واذا لم يفعل ذلك فليتنقم منه الآلهة

المادة الثانية . لا يجوز لاحد ان يعبد سراً آلهة جديدة وغريبة مالم ياذن بذلك اولو الامر

المادة الثالثة . يتمتع كل* بالهياكل التي شادها أجداده والكهوف

المقدسة التي في حقوله والمساجد التي تجتمع فيها أرواح

اسلافه وليجر كل واحد الاحفالات الدينية التي اعنادها

المادة الرابعة . اكرم آلهة السماء والذين ارتقوا بفضلهم الى مصاف

الآلهة نظير أركيلس وباكس وروملس الخ

المادة الخامسة . اعتبر الصفات المحسنة التي ارتقت بها الابطال

الى السماء آلهة نحو النهم والفضيلة والتقوى والامانة واجنـ

لها هياكل ولكن اياك وعبادة الفبايح

المادة السادسة . راع الاحفالات المأمور بها

المادة السابعة . لا تسمع الدعاوي في ايام الاعياد . بلزم العيدين

بمحتفلوا بالاعياد بعد انجاز اشغالهم

المادة الثامنة . يقدم الكهنة للآلهة في ايام معلومة قرايين من اثار

الارض وفي ايام اخرى عسلاً واولاداً اما ذبيحة الاولاد

فتقدم في آخر السنة وتختار حسبما يامر الاله ونقسم

الكهنة الى اقسام مختلفة وتكون خاضعة لاحبار عظام

المادة التاسعة . لا يؤذن للنساء ان يحضرن الذبايح المقدمة ليلاً

ولا ان يعلمن الاسرار الماخوذة عن اليونانيين ولكن

يمكنهن حضور ذبايح الشعب العادية وتعلم اسرار الآلهة

سيرس

المادة العاشرة . من سرق شيئاً للالهة يقتل

المادة الحادية عشرة . من يبحث في يمينه فليتمته الآلهة ولترذله الناس

المادة الثانية عشرة . من يزن بقريبة لا يجل له زواجها يقتل

المادة الثالثة عشرة . يلزم ايفاء النذور غير ان الاشرار محظور عليهم
تقديم قرايين للآلهة

المادة الرابعة عشرة . لا تقف حفلك واقتصد فيما تقدمه قرباناً ومن يقف
شيئاً لغيره يغرم بدفع ضعف القيمة

المادة الخامسة عشرة . احفظ دائماً اعيادك العائلية

المادة السادسة عشرة . من أخطأ فليكرر عن خطاياه ومن لا يفعل
ذلك يعد كافراً

اللوح الثاني عشر

في الزواج وحقوق الرجل

المادة الاولى . اذا سكنت امرأة مع رجل عامماً كاملاً ولم تقب ثلث
ليال تعدّ زوجته

المادة الثانية . اذا زنت امرأة او سكنت يمكن رجلها ان يقتلها ان
رضي بذلك اهلها

المادة الثالثة . اذا طلق رجل امرأة فليأخذ منها مائة منزل ولويلعظها
امتنعها وما احضرته عند عقد النكاح

المادة الرابعة . الولد الذي تلده الثيب بعد موت زوجها بعشرة
أشهر يعدّ شرعياً

المادة الخامسة . لا يجوز للشرفاء ان يتزوجوا من العوام

انتهت

قال سبسون الخطيب الروماني الشهير ان قوانين الاثني عشر لوحاً
 تفصل على جميع كتب الفلاسفة وبالحقيقة اذا تبصرنا فيها معتبرين الزمان
 الذي وضعت بهنجدها مشكاة هدى قد سطعت في ليل ذلك العصر الدامس
 كيف لا وهي الآمرة بالعدل والتساوي والمعاقبة الشريفة القابض على
 ان الاحكام متى اقترفت ذنباً كما تعاقب احقر العوام اذ لا فرق بينها في
 الحقوق ولا امتياز لاحد منها علا مقامه الا انها كانت تميز للدائن الفاسي
 وللاب الوحشي ان يعامل الاول مديونة والثاني ولده معامل بربرية تنفر
 منها الطباع وياباها الذوق السليم وقد اضيف اليها على مر الزمان قوانين
 اخرى كثيرة حتى ائت في عهد الامبراطور جوستنيان بلغ الدستور الذي مجلد فامر
 هذا الملك ان تحصر الشريعة في اسفار قليلة ليتمكن تداولها وإدراكها فتم له
 ما اراده وجمعت الشرائع الجديدة في اربعة مجلدات باقية الى الان وهي
 المعروفة بالقانون الروماني المدني الذي يحسب اساس دستور الممالك
 المتمدنة

ورأى الرومانيون من الدسفير لاسيا من زعيمهم ايبوس كلوديبوس
 ظلم وفواحش الطاركو يبين لانهم بعد ان عدلوا ليغشوا الشعب ويحملوه
 على انتخابهم مرة اخرى أخذوا يرتكبون المنكرات ويحللون المحرمات وكان
 لكل منهم شرط يسعون في اجراء ما يرومونه فللعوام منهم وشمل
 الحيوة لافعالهم الوحشية ولم يكن أحد اذ ذاك يامن على عرضه ولا ماله لان
 كل شيء كان مباحاً لا أولئك العناية ولتابعهم النجار فكانهم قد سنوا الشرائع
 ليغاثوها واعلنوا العدل ليحجروا علناً ويظهروا فيج سيرتهم ولما انقضت السنة
 الثانية ابلوا الاستقالة من مناصبهم وبقوا قابضين على زمام الاحكام بلا انتخاب
 قانوني على رغم الجميع

ونظر أبوس احد الولاة العشرة ذات يوم ابنة عامية بدبعة الحسن
 والجمال اسمها فرجينيا فشغف بها وتيممها وهاو كانت فرجينيا تقيّة فاضلة تحب

العفة والكمال لذلك لم يستطع أيوس اغراءها بتلفه ولم يمكنه صيدها بشرك
وعوده بل ذهب اجتهاده في استمالها واستماله مريبتها ادراج الرياح فعهد حينئذ
الى الحيل والخداع وامر تابعه ان يقبض عليها باية وسيلة يستحسنها ويراها موفقة
لنيل مناه. وكان تابعه هذا أرغ من ثعلب واحيل من ضب مشهورا بمكره
وخبثه فينما كانت فرجينيا راجعة يوما الى منزلها قبض عليها التابع المذكور
وكاد يبلغ ماربته ويبلغ وليه منها مشتبهه لو لم يعترضه الجمهور الذي ابصر دموع
الابنة ونواحها فاشتق منها وسالة عرض دعواه للقاضي ليحكم له او عليه فرفع
التابع شكواه الى أيوس مدعيا ان الابنة امة قد ولدت في بيته وقد سرقت وهي
طفلة وبيعت لامرأة فرجينوس الذي يظنه الناس أباهما وأنه مستعد أن يقدم
شهودا يشهدون بصحة مقالو وبناء على ذلك طلب تسليم الابنة اليه لانه
مولاهما قائلاً انه يحضرها متى أتى فرجينوس وإثبت كونه أباهما الشرعي

وسمع أسيليوس خطيب فرجينيا ما حدث فبادر الى الفورم عدواً
وتخلل الجمهور حتى وصل الى فرجينيا فضها اليه وصرخ قائلاً يا أيوس
لا شيء يفصلني عن حبيتي سوى الموت فاقتلني ان شئت ستر خداعك
ومكرك واعلم اني مستعد ان ادافع عنها الى أن أشرب كأس حنفي العلك
نوليت الاحكام وأبطلت وظيفة وكلاء الشعب ليخلو لك الجو ونهتك
عرض النساء وتفض بكارة العذارى ألم يكفك ما فعلت وما تفعل من
المظالم حتى عمدت الى تدنيس الطهارة ونزع العفة ألم تدر ان فرجينيا هي
خطيبتى واني أروم زواجها طاهرة بلا عيب وانت أيها الشعب الروماني
أسألك حماية امرأتي وانتم أيها المجنود أطلب اليكم صيانة ابنة رفيقكم
فرجينوس مدة غيابي ولا تخشوا بأساً لان الآلهة والناس معنا

فهاج الجمهور جداً عند سماعه كلام أسيليوس وأكره أيوس على ارجاء
الدعوى الى الغد حتى يحضر فرجينوس الذي خرج في ذلك الحين مع
المجنود لهاربة الصابنين والاكوين وفي اليوم الثاني أتى فرجينوس باكراً

لأنه علم بما جرى فاسرع الى رومية ليحامي عن ابنتي ويتناشها من مخالف من
بروم افتراسها وهتك عرضها بين الملا ولما التأم الشعب أقبلت فرجينيا
الى محل الاجتماع والكأبة تلوح على محياها البديع والعبرات تتساقط من
جفونها فوق وجنتيها المحمرتين من الخجل والحزن فشخصت اليها الابصار
وحارت في معاني حسناتها البصائر ورآها أيوس فذاب شوقاً واحسّ ان
الموت أخف وطأة واهون عذاباً من هجر هذه الغزالة الشاردة لذلك
صمّ عن سماع حجج فرجينوس الدامغة وحكم بها في الحال لتابعه الخبيث
المخادم شهوات وليه العاني برداءة ودناءة ولكنما هيئات هيات ان يبلغ ما
ما تمناه وان يحقق امانيه وما نواه اذ فرجينوس حينما أبصر مكر أيوس
وغدره طلب اليه ان يسمح له بوداع ابنته فاذن له فتقدم الى فرجينيا واسئل
مدية وقال لها يا ابنتي هذه هي الطريقة التي بها نجين من العبودية والعار
ثم ضربها بها ضربة سقتها كاس المنون وسحب مديته من صدرها وهي تقطر
دماً وقال لايوس بهذا الدم أسال آلهة المحجيم سلب مهجنتك واخترق على
النور المجموع وولي هارباً على رغم أيوس واعوانه لان الشعب أسعفه على
الهرية فاني المعسكر وحدث الجنود بمجديته ثم رفع يديه الى السماء وقال
اشهدي أيتها الآلهة ان أيوس وحده هو المذنب لانه قد أجبرني بفعاله أن
اجري ما أجريناه وانتم بارفا في احلفكم الا تبعوني عنكم كاذب قاتل سفك
دم ابنتي ظالماً بل اعملوا اني كنت أود فداء حياتها بنفسي لو أمكنها أن
نعيش حرة عفيفة ولكن ذلك الجائر العاني أراد استعبادها ليتسنى له هتك
ستر عفتها فما قساوتي اذا الا شفقة وحنو ولقد آثرت موتها على حياتها
بالفضيحة والذل وآمل انكم تاخذون بيدي لنشأرها والا مت كمدافئارت
الحبيبة بالجنود كافة ولعنوا الدسمفير الناعين ورجعوا الى رومية مصممين
على خلعهم وتنصيب وكلاء للشعب ومن هناك ذهبوا مع من نبعهم الى
المجمل المقدس سنة ٤٤٨ ق م ولم يرجعوا منه قبل ان ابطلت حكومة

العشرة ولاية ورصي المجلس باقامة قنصلين ووكلاء للشعب أما أيوس عاشق
فرجينيا فأت في السجن قبل النظر في دعواه ويظن بعض المؤرخين انه مات
قتلاً وجهاز القنصلان بعد ذلك عساكر وخرجا لقتال الصابيين والاكوبيين
الذين ظلوا مجاهدين بالعدوان فكسراهم وشتنا شملهم ودخلا الى رومية
محفظين بنصرتهما

الفصل الخامس

ان تاريخ الامه الرومانية لحري أن يعدّ تاريخ أخلاق الشر على
اختلاف مراتبهم في معارج التمدن والتلاح لابل هو المرأة التي ترى الانسان
صورة ما خفي عليه من طباعه وفعاله فتظهر له جلياً طمع المرء ان كبيراً او
صغيراً وميله الى الاستبداد والظلم ابتغاء نيل أمر حقير يعظمه له الوهم
فيسعى لادراكه ولو بذل دونه النفس وحمل لاجله من العناء حملاً ثقيلاً
وتبين لدوي الاستبصار ضعف طبيعتنا الجائحة على رغبتنا الى استحسان
الجديد ولو فائتة طلاوة القديم ورغبتنا في تغيير الاحوال متذكرين الماضي
وراجين المستقبل غير متمتعين من الحاضر سوى انعائه وهم ولا نبالا
نستقر على حال اذا الاهواء تنفذنا دائماً بتبارها حتى اذا انقضى وطرّ تجدد
غيره وعليه فالشعب بعد ان أبطل حكومة الدسمنير كما ذكرنا عاد الى
مخاصمة الاعيان بشأن قانون منع الشرفاء أن يتزوجوا من العوام فطال
بين الفريقين اللجاج غير انها اتفقا أخيراً على الغاء تلك المادة لانه لما
كان الزواج لا يتم الا بالرضى والاختيار كان ذلك المنع فاسداً وداعياً
الى اثاره الفتن والبغض بلا فائدة

وأقام الرومانيون سنة ٤٤٤ ق. م. مفتشين بحصيان الشعب حسب ترتيب الملك سرفيوس طلبوس وخولوها الحق باشهار ذنوب المذنبين وإصلاح العوائد ونقسم الجمهور الى فرق ورتب وتسجيل أسماء الفرسان والآباء أعضاء المجلس العالي فكانت سلطنتها عامة وأوامرها نافذة لذلك خافها الجميع واعتبروها ناصري الشرائع وحامي العدل والديانة والعوائد اما انتحابها فكان من المكراً لمدة خمسة اعوام في السنين الاول ولمدة ثمانية عشر شهراً فيما بعد

وعلم العوام ان القوة في الاتحاد والتعاون ورأوا فوزهم بكل ما طلبوه بالحاح ونات فمول تحفيض سلطة الشرفاء وعولوا على مشاركتهم في السيادة ملتبس من المجلس منحهم حق انتخاب احد الفئصلين منهم فابى المجلس بادىء بدء انالهم سؤلهم الا انه لما امتد الخصام وكثرت الفتن بسبب ذلك الغى. صب الفئصلين وقرر سنة ٤٤٤ استبدالها بستة ولاية عسكريين يتخبون من الفريقين فسر الشعب حذراً وعد هذا الامر نصرة على الاعيان الا انه انتخب الولاية المذكورين من القوم الشرفاء فكانه قد ادرك فضل تلك الفئة فاعطى القوس باربهما مرتضياً فقط نبيل حقوق حرما قبلأ

اما العظماء فكانوا يجهدون دائماً في ارجاع الحكومة الاولى واحباط اعمال الجمهور لذلك كان تارة يتولى احكام رومية فنصلان وتارة ولاية عسكريون حسب نجاح وانخزال أحد الحزبين ايام الانتخاب ولما كانت الحروب في هذا الزمان لا تستلزم نفقات عظيمة لان الحيوش كانت عديمة الترتيب لا تعرف سلاحاً غير ما اوجده الاسان من ذلك في ابتداء نظام الهيئات الاجتماعية ولا تدرك حقوقاً للغرباء سوى ما تمليه القوة وتقرره الاطاع كان الرومانيون ومن مجاورهم في قتال دائم وغزوات متتابعة الا ان هذه الحروب لم تكن مهمة او بالاحرى لم نات نتائج مهمة لذلك لم تنصد لذكرها بالتفصيل بل اجتزأنا بالاشارة اليها لضيق المقام وخوفاً من ملل

القارئ هذا وقد رأينا في ما مضى كيف ان الشعب رفض مراراً تجهيز المجنود اللازمة لمقاتلة الاعداء الذين كانوا يهاجمون رومية لان المجندي اذا كان غير ماجور على خدمته العسكرية كان اذا تقدم الى الحرب ولم يخلفه احد في بيته يهمل حرث بستانه ويستدين مالا من المثرين بربا فاحش فيصبح ان طالت الحرب أسيراً في قبضة دائنه متقلباً على فراش الذل والفقر وما ذاك الا لانه خاطر بنفسه دفاعاً عن حرية وطنه ولقد احدث هذا الامر ارتباكاً عظيماً فدفعاً لذلك امر المجلس بنقد المجندي اجرة يومية تكفيو مؤونة العذاب والضنك وتجعله أطوع لاوامر القواد وتمكن اولياء الامور من اطالة مدة الحصار والقتال حتى ينالوا النور على العدى وكانت الجمهورية حين نشأتها في عهد الفنصل بوبليكولا قد اقامت خازنين يحييان المكوس ويدفعان النفقات اللازمة للحكومة مقدمين بذلك حساباً مدققاً فامر المجلس بتنصيب خازنين آخرين يرافقان الجيش وينقدانه اجرتهم والدرهم التي يجناحها وفرض على الوطنيين مكوساً اخرى قياماً بهذه المصاريف ولقد نجح في انفاذ مارته على رغم وكلاء الشعب الذين كانوا يفتنسون كل فرصة لاثارة الفتنة املاً ان يحطوا سلطة الاعيان ويرفعوا شانهم غير مكترئين لصالح الجمهور في أكثر الاحوال

وكانت في أقدم واحسن مدن أتروريا وهي تبعد اثني عشر ميلاً عن رومية وكانت لها قلعة حصينة جداً مبنية على رابية وعرة اما سكانها فكانوا أشد الناس عداوة للرومانيين واعظم الامم المجاورة باساً واكثرها اقداماً ولقد جرت بينهم وبين شعب رومية حروب عديدة اتينا على ذكر بعضها واهلنا البعض الاخر هرباً من الاسهاب الممل الا انه حدث في سنة ٤٧٧ ق م وقعة عظيمة عند نهر كركيرا مات فيها ثلثمائة وستة رجال فايبيين (اسم عائلة رومانية شريفة) واربعة الاف رجل من تابعيهم وهكذا كانت نار الفتنة بين الفريقين تتمد نارة وتشعل اخرى حتى قرر المجلس

سنة ٤٠٥ ق.م محاربة هذه المدينة والاستيلاء عليها فارسل الجنود والفرسان
لحاصرتها فدامت الحرب عشرة أعوام لان فيا كانت حصينة كما قلنا ولم يكن
الرومانيون يملكون او يعرفون حينئذ من آلات الحصار شيئاً ولقد كادوا
يسأمون من الهجوم والقتال ويتركون المدينة وشانها لو لم يقم المجلس
فور يوس كاملس دكتاتوراً فهذا البطل الصنديد المشهور بشجاعته وتديره
احبا بتعيينه قائداً في قلوب الجميع رجاء الغلبة فاسرع الشرفاء والعوام
اليه وتباروا في التجند تحت رايته فتقدم بهم وحارب الفلريين والكابنيين
الذين زحفوا لمساعدة الاعداء فكسروهم وشتت شملهم ثم مشى الى المعسكر
واصلح الحصار بان رتب الجنود وشجعهم وبني مناريس ولما رأى ان الاستيلاء
على المدينة بالهجوم محال عمد الى الحيلة فعمل امراً لم يسبق اليه أحد من
القواد وذلك انه بينما كان يهاجم المحاصرين ليشغلهم بالقتال كان قسم من
عسكره مستغلاً بمخبر قناة تحت الارض نصل الى داخل القلعة وحينئذ تم
العمل أمر الجنود ان نهجم على الاسوار فالتفها النيون بشجاعة وثبات اما
القسم الذي دخل القناة فازال حالاً التراب الذي بقي ساتراً العمل عن
اعين الاعداء وولج القلعة بغتة وفرق في جميع الانحاء فقاتل النيين وفتح
أبواب المدينة فدخلها الرومانيون وقتلوا من لم يستسلم لهم من اهلها وجمع
كاملس الاسلاب ووزعها بين العساكر ثم رجع الى رومية فوجهها محنتاً
بنصرته وذهب الى الكايتولينس في مركبة فاخرة وكبيرة تجرها أربعة أفراس
بيضاء كالثلج وحيث ان الخيول البيضاء لم تستخدم قبل الاجرة مركبة الاله
جوبيتر والشمس غضب الشعب بعد فرحة بانتصار هذا الجبار العظيم ونفرت
القلوب منه وقسم المجلس اراضي في بين الرومانيين فنال كل رجل حصة
منهم سبعة فدادين

وفي سنة ٢٩٢ خرج كاملس بالجيوش لقتال الفالريين وكان
عازماً على اطالة الحرب ليشغل العوام ويمنعهم من اثاره الفتن كما هو دأبهم

في زمن السلام منذ انشاء الجمهورية الا ان شهامة والحوادث قضت بخلاف
 ما نوي لان الفالريين بعد ما قاتلوا قتال الابطال لم يمكنهم الثبات امام
 عدوهم المغوار وجنوده الضراغم فانكفوا الى المدينة وعولوا على الدفاع او
 يموتوا جميعاً فدى الحرية والوطن وكان في المدينة مدرس يعلم اولاد الاغنياء
 والاعيان ويهذبهم وكان معتاداً ان يخرج بهم كل يوم خارج الاسوار قصد
 التنزه فاتفق انه تقدم مرة الى معسكر الرومانيين وخلا مع كاملس وقال
 له ابشر فقد بلغت المراد ونلت الظفر الحلو بلا عناء لاني قد أحضرت لك
 هولاء الاولاد رهائن نقبض عليهم ولا تسلمهم الا بتسلم المدينة قال هذا وهو
 برجو جزاء على فعله الذميم غير عالم انه من يخاطبه رجل أبله بانف من
 الخيانة والدناءة وعند الموت أهون من العار وبناء عليه غضب كاملس
 وأمر الشرط بتقييده واعطى الاولاد عصياً ليضربوه فساقوه امامهم كالبعير
 حتى دخلوا ابواب المدينة سالمين وبلغ الخبر الكبراء فاستعظموه وزاد
 اعتبارهم للقائد الروماني وصمموا على مهادنته فرضي كاملس باجابة طلبهم
 بشرط ان ينفقوه مقداراً من الدراهم فلبوا امره طائعين فعقد معهم صلحاً
 ورجع الى رومية ظافراً

ومعلوم ان الحسد داء كمين في صدور ذوي البصائر الضعيفة الذين
 لا يستطيعون نيل ما فاز به محسودهم فيسعون في احباط اعماله واذلاله
 بالاراجيف والنسيمة نابذين صالح الوطن وما تقتضيه الانسانية ويعكم به
 العدل كأنهم وهم ضمن هيئة اجتماعية تائهون في بوادي الظلم وقنار المكر
 وهكذا نرى أعداء المرء تزداد دائماً بازدياد شهرته وفضله ونجد كاملس
 بعد ظفرو العظم هدفاً لسهام الوقعة ونهم الحاسدين الذين طلبوا
 محاكمته مدعين انه اخلس اموالاً للجمهور عند افتتاح في اما هو
 فابي الاحتجاج والمرافعة وقبل ان تحكم القضاة عليه بالابعاد غادر المدينة
 ورحل الى اردبا قبل انه سأل الآلهة عند خروجه من رومية انتقاماً

من مواطنيه ان تجعلهم يأسفون على فقده ويحتاجون اليه عن قليل
 وكان في كلوزيوم وهي مدينة أثرورية رجلٌ وجهٌ يدعى أرونس
 ربي ولدًا يتيماً بديع الحسن والجمال وغنياً جداً اسمه لوكونو فهذا الغلام
 لما ترعرع وبلغ أشدهُ أحب امرأةً وصيه التي هامت به كهياموها وحيث ان
 نظرات الحب لا تخفى ظهر امرها سريعا فخطف لوكونو اذ ذاك محبوبته من
 منزل بعلمها وعاش معها رغداً ولم يستطع أرونس ان يسترد امرأته لان
 الغلام رشا القضاة فجاز به ولم يصغوا لشكوى خصمه وانعم على الكلوزيين
 فصادقوه وغضوا الطرف عن فجوره وحيثما رأى أرونس ظلم المحكام خرج
 من المدينة ولجى الى المغالين الساونيين الفاطنين في الاراضي الواقعة الى
 الجباب الجنوبي الغربي من مدينة باريس الفرنسية وحثهم على محاربة
 كلوزيوم واصفاً لهم جمال البلاد ووفرة غلالها وسقام خمرها اتي بها من هناك
 فاستطابوها وعولوا على غزو الاراضي المشار اليها ليتمتعوا بطيباتها وبرشفلوا
 من صهبائها فاجتاز جنودهم جبال الالب وتوغلوا في البلاد مدة ستة اعوام
 وهم ينهبون اموال السكان ويتنعمون بما رزقوا الى ان قصدوا اخيراً
 محاربة كلوزيوم ارضاء لارونس دليلهم فانوها وحاصروها سنة ٢٩٠ ق م
 ولما طال الحصار على الكلوزيين بعثوا برسلاً الى الرومانيين يطلبون
 منهم امداداً فارسل المجلس العالي الى المغالين ثلاثة سفراء اولاد فايوس
 أمبستوس يامرونهم بكف العدوان فسخر منهم برنس رئيس المغالين وردم
 خائنين فمحقوا جداً وانضبوا الى جيش الكلوزيين وحدث ان أحدهم وهو
 كونتوس فايوس قتل قائداً غالياً شهيراً بين قومو ولما علم برنس بذلك
 غضب وعول على قتال الرومانيين لان سفراءهم قد خالفوا القوانين المرعية
 بين الامم وانتصروا للكلوزيين فرفع الحصار في الحال وتقدم الى رومية
 سنة ٢٨٩ ق م وبلغ ذلك الرومانيين فالتفؤ عند نهر اليا على بعد احد
 عشر ميلاً من مدينتهم بجيش جهزوه عجلًا الا انهم لم يستطيعوا الثبات

طويلاً امام اعدائهم لضعف قوادهم اولانهم خافوا من بسالة الغاليين
وصباحهم الشبيه بعواء الذئاب فنفروا في تلك الارض منهزمين ثم اتوا
رومية فدخلوها مذعورين والتجأوا الى قلعة الكايتولينوس وتمكنوا من
نقل الزاد والسلاح اليها لان برنس لم يتأثرهم بل تخلف ثلثة ايام ليوزع
بين عساكره الاسلاب التي اغتنمها فنجت رومية بهذه المدة من الحراب التام
لانها قدرت على الاستعداد ولما كانت القلعة لا تسع جميع الرومانيين
خرجت جماعة من العوام وتفرقت في البلاد وبقي الشيوخ في منازلهم فقتلهم
الغاليون وحرقوا المدينة وادخلوا صعوبة الاستيلاء على قلعة الكايتولينوس
وان ذلك يستلزم زمناً طويلاً أرسلوا قسماً من العساكر ليغزو الامم المجاورة
وياتي بالقوت الكافي

وبلغ كاملس خبر المصائب التي طرأت على وطنه فاسف غاية الاسف
ونسى لدى تلك التوازل المجلى ما أوصله اليه قومه من الاضرار وبات
حائراً فيما يفعل ليفرج كربة مواطنيه حتى درى برباد فرقة من الغاليين
في البلاد طلباً للمعاش فنهض اذ ذاك نهضة اسير حل عقالة وسال والي
المدينة المنفي اليها ان ياذن له في تجهيز جيش يقطع به دابر المفسدين
ويستقم لاهوايه من اقوام اذاقوهم النكال وانزلوا بهم ما لم يكن لهم بحسبان
فاولاه الوالي ما طلبه حينئذ زحف كاملس بمن تبعه الى حيث حل الغاليون
وصبر قليلاً حتى ادلم الليل فانقض وعساكره على الاعداء وهم نيام انتفاض
الصواعق واعمل بهم السيف البتار الى مطلع الفجر فارداهم جميعاً
وذاع خبر هذه المعركة في تلك الاصقاع وكان الرومانيون الذين غادروا
المدينة والذين انكسروا امام الغاليين عند نهر ألبا قد لعبت بهم أيدي سبا
فلما علموا بفوز كاملس غير المنتظر بادروا اليه مسرعين واقبلوا عليه متجندين
تحت لوائه كأن النصر الذي فارقه حيناً من الزمان لفراق كاملس قد عاودهم
لعود هذا البطل اليهم

ولم يرد كاملس نولي قيادة الجيش قبل ان يعينه المجلس في الكايتولينيوس
غير انه دون الوصول الى المجلس وابلاغ اوامره غصص المنون اذ جنود
الاعداء كانت محيطة بتلك الراية احاطة الاسورة بالمعاصم ولقد كاد يذهب
انتصاره الاخير سدى ويمسي امل العساكر المتجمعة حوله فشلاً لولا جسارة
وغيرة رجل روماني اسمه كومينيوس الذي ارتقى الى تلك الراية في الليل
سرّاً وبعد ان أخذ الاوامر اللازمة بتعيين كاملس دكتاتوراً رجع الى
معسكره من حيث جاء.

وابصر المحاصرون في اليوم الثاني آثار رجل يدي كومينيوس عند
ارتفاعه الراية فعملوا امكان الصعود الى القلعة من ذلك المكان ولما جنّ
الظلام ومالت أعناق الرومانيين من خمر الكرى شرع بعض الغالين
يتسلقون تلك الصخور والشعاب حتى وصلوا بعد الجهد والعناء الى اسفل
السور ولم يحس بقدومهم احد سوى الاوز المخصصة بالالهة جونو فاخذت
تبتقي وتصفق باجتماعها فاستيقظت لذلك عساكر تلك الجهة وكان اول
من نهض واسرع الى الدفاع عن السور الشريف مانليوس فوجد عليه
رجلين غالين فابتدر أحدهما بضربة قطع بها يده ودفع الثاني بترسه فسقط
الى اسفل وهوّ بسقطته من كان وراءه وفي اثناء ذلك اتى قسم من الجنود
الرومانية لاسعاف مانليوس فقتل الباقيين بالسهام والمحجاة

وبينما كان كاملس جاهداً في جمع الجنود وترتيبها وعاملاً ففكره
في كيفية قتل الاعداء لينسني له النصر المبين كان الجوع قد أخذ بالرومانيين
المحاصرين في القلعة كل ماخذ فخابروا الغالين في الصلح فرضي هولاء باجابة
طلبهم بشرط ان ينفدوهم الف زنة ذهباً (٤٥٠٠٠ ليرة أنكليزية) حكى
المؤرخون ان برنس قائد الغالين اتى بعبارات مغشوشة فتظلم الرومانيون
من فعله هذا فما كان جوابه الا ان طرح حسامه في الميزان فوق العبارة
وقال الويل للغلوبين حينئذ ظهر كاملس بجنوده بغتة وامر قومه ان

يستردوا ما لهم فائلاً أن الرومانيين ينفذون وطمع بالسيف لا بالذهب
ثم هجم على الأعداء هجمة الرئبال فدحرم وانتدرت اليهم جوده واحاطت
بهم من كل جانب فافترسهم افتراس الذئاب للغنم واردتهم جميعاً اما الشعب
فلقب الدكتاتور بعد هذه النصرة بمخلص الوطن ومجدد بناء رومية ولقب
مانليوس بالكايتولينس لكونه اول من بادر لدفع الأعداء عن اسوار
الراية المذكورة كما تقدم المقال الا انه قتل فيما بعد مطروحاً من قمتها الى
أسفل لان الشرفاء خوفاً منه والاسباب اخرى انه من باغراء الشعب
بتنصيبه ملكاً وحكموا عليه بالموت

الباب الثالث

من حين تجديد بناء رومية سنة ٢٨٨ ق م

بعد ما حرقها الغاليون الى

الحرب القرطجية الاولى سنة ٢٦٤

او

من سنة ٢٦٥ الى سنة ٢٨٩ ب م

الفصل الاول

ترى قضي على الامة الرومانية الا نستريح من الحرب كان القتال روح
جسم تلك المدينة وحيوة اهلها نعم هذه هي الحقيقة وما الداعي الى ذلك سوى
تنازع البقاء لانه لما كانت رومية ضيقة باهلها كان دأب الرومانيين شن
الغارة على الامم المجاورة لتحصيل ما يعذرهم وما تعجز اراضيهم عن تقديمه لهم
وكانت الشعوب المغلوبة تنهض دائماً في طلب الحرية واذلال سيدتها حينما
نسخ لها الفرصة او تنوسم فيها ضعفاً وعليه ففي سنة ٢٨٧ ق م حينما ظهرت

ام المدائن من رماد خرابها بادراعداً وها المجاوروها الى محاربها ومحي
اسمها ان امكن من عالم الوجود قبل ان نفوى شوكتها وترجع الى ما كانت
عليه سابقاً ولكن كيف يقدررون على نيل ما رجوه وكاملس البطل راضٍ
عنها ورايضٌ في احيائها فانه جمع في الحال الرجال الرومانيين وقسمهم
الى ثلث فرق ترك فرقة منها عند أسوار رومية للدفاع عنها وفرقة اخرى
في مدينة في لمراقبة حركات الاتروورين وزحف بالفرقة الباقية الى قتال
الاعداء فانتصر على النولسيين والاكوبيين والاتروورين انتصاراً تاماً
وعاد من ساحة الحرب بالاسراء والغنائم الوفرة وبعد سنتين او ثلث قاتل
اللاتينيين والجليليين والارنيسيين واخصمهم

وفي سنة ٢٦٦ ق. م بلغ الحكومة ان فرقاً من الغاليين الساكنين عند
بحر الادر ياتيك قادمة الى رومية قصد نهبها فخامر قلوب الرومانيين كافة
خوف شديد وتذكروا حملة الغاليين السابقة والنكبات التي المت بهم من
جراً ذلك فاجتمعوا جميعاً على تعيين كاملس دكتاتوراً واقبلوا يتجندون
بغيره ونشاطاً ان ما حدث قبلاً اصبح لهم ما حيوا تبصرة وذكرى ولما كان
الصبر متوقفاً في اكثر الاحوال على تدبير القائد وذكاه لا على كثرة الجنود
ووفرة العدد راي كاملس ان قوة البرابرة قائمة بطول سيوفهم التي يضربون
بها الرؤوس والمناكب بلا مهارة ولا تدريب فامر بعمل مغافر حديدية
تكون مصفولة من الخارج حتى اذا ما وقع عليها الحسام يكسر او يمر فوقها
بلا ضرر وجعل للبحان الخشبية دائرة من حديد لتقي حاملها ضربات
الصوارم الشديدة ثم زحف بجوده ونازل الغاليين في أراضي البافظن
بهم وبدد شملهم وحينما عاد الى رومية احتفل بنصرته جرياً على العادة
وفي هذا العام الغيت مناصب الولاة العسكريين واستبدلوا بقنصلين
يتفخنان من الاعيان والعوام ولا حاجة للقول ان هذا الامر نقرر بعد
نزاع عظيم اذ الخصام على ما يرى ضربة لازب لا حداث ادني تغيير في

الحكومة لان الشرفاء بكرهون كل ما يرغب فيه العوام والعكس بالعكس ولا بدع فان الانسان مائلٌ بالطبع الى المحافظة على الامتيازات التي يخولها اياها العموم ولو كانت تلك الامتيازات مبنية على اسباب وهمة

وحيث ان الفصلين هما راس الحكومة وعليهما مدار كل الاعمال المدنية والعسكرية لم يكونا يستطيعان في سائر الاحوال ان يقوما بععبء ما فوض اليهما امره فارتأى القوم اقامة رجل يتولى القضاء دعوه برينور وقرروا انتخابه من الشرفاء لتعويض هذه الفئة مما خسرت في منح العوام حق انتخاب احد الفصلين منهم وعين ايضا سنة ٢٦٥ ق. م رجلان من الشرفاء والعوام لملاحظة الهياكل والشوارع والاسوار وادارة الالاعاب العمومية وسموها ادبل كور يلس (لنظة كور يلس مشتقة من كوروس اي مركبة لان الادبل المذكور كان يجلس في بادية الامر على كرسي عاج وكان هذا الكرسي يوضع في مركبة) وفشا في هذا الاثناء وبأ بالمدينة واشتدت وطائنة على الاهلين لانه دام مدة ثلاثة أعوام ومات بسببه كامل السائل القائد الشهير وعدد عديد من العظماء والعوام فاجرى الشعب لازالة امورا كثيرة خرافية لم تجدهم على ما أظن نفعاً لان هذا الداء الخفيف يلزمه علاج آخر فالطبيب قد اخطأ الغرض والويل للمريض

ومن الحوادث الغريبة التي نحكيها استطراداً ولا نشفعها بالتصديق هو انه في سنة ٢٦١ ق. م فتحت الارض فاها في محلة الفورم وظهرت هوة عظيمة كانت تزداد بالتدريج عمقا وانساعا فنذر الشعب فرقا ثم اقل بطرح في هذه الهوة ترابا لعله يستطيع ردمها ولما رأى استحالة ذلك هرع الى السحرة مستشيراً اياهم فاجابوه هولاء ان الارض المفتوحة لا نستوي الا اذا قدم لها ما يحوي قوة الشعب الروماني وان هذه التقدمة تجعل السلطة الرومانية ابدية فلم ينهم الجمهور مغزى الوحي وبات حائراً في امره متردداً فيما يجب ان يعمل وكان في المدينة فتى شريف اسمه كورتيوس فهذا أول

عبارة السحرة بان الآلهة تعني بقوة الرومانيين الشجاعة والسلاح وبناءً عليه امتطى جواداً مطهاً ولبس عدة جلاده وتقدم الى النورم على مرأى من الشعب والقي بنفسه الى الهوة فانطبنت حلاً ورجعت الارض كما كانت كأنه لم يحدث شيء قبلاً

واغار الغاليون السيزاليون على أراضي رومية سنة ٢٦٠ ق.م فالتفاهم الدكتاتور بنس بمجوشه على بعد ثلثة أميال من المدينة بالقرب من جسر على نهر أنيو فعسكر الفريقان في ذلك المكان ولم يتلاحما لان النهر كان فاصلاً بينهما فكانا يقضيان النهار بمشاهدة مبارزة الفرسان وقواد المحشين على الجسر ورزذات يوم من صفوف الغاليين رجل طويل القامة وكبير الجثة وطلب نزال الابطال فهال الرومانيين منظره واجتنب الجميع مبارزته ولما طال أمد انتظاره وكاد الرومانيون يلبسون من الخوف لباس العار تقدم فتى شجاع اسمه مانليوس واستاذن الدكتاتور في قتاله فاذن له فتقلد مانليوس حساماً قصيراً وخرج لمحاربة ذلك الجبار فالتقاء الغالي بسيفه الطويل وهم بضربه به فمر مانليوس تحت ذلك السيف بسرعة عظيمة وابتدرة بضربة سقته كاس حنقه ولما رأى الغاليون بطلم قتيلاً ولوا منهزمين وتشتتوا في تلك البلاد وحدثت بعد ذلك عدة حروب أثارها على رومية الغاليون والام المجاورة وكان الظفر في جميعها للرومانيين وفي سنة ٢٤٧ ق.م حالفت قرطجة رومية وعقدت معها معاهدة لحفظ السلم والصداقة وهي اول معاهدة عقدت بين هاتين الامتين حسب رأي جلة الرواة المورخين وفي سنة ٢٤٢ ق.م غزا السمينيون بلاد السيديسنيين وفككوا بهم فككاً ذريعاً فاستجار هولاء بالكابنيين وسألوهم امداداً وكانت كامبانيا شديدة الخصب وكثيرة المال لنشاط اهلها واعتمادهم على التجارة ينبوع الغنى ولما كانت التجارة والثروة تذهبان بالمرء الى حب السلام والتنع وكلاهما يفقد الانسان العاني بهما الشجاعة والاقدام على الحروب لا سيما في تلك الاعصر

حيث المخشونة صفة لا بد منها للفارس المغوار كان الكامينيون غير قادرين على قتال السمينيين الا بطلال الا انهم كانوا مجبرين لصوالحهم الذاتية على مساعدة السيديسيين واذلال اعدائهم لذلك أشهروا العدوان وبادروا الى ساحة الوغى فلم يشتوا فيها طويلاً بل انهزموا الى كابوا عاصمة بلادهم فلحق بهم السمينيون وانزلوا بهم رهقاً فضاقت الجميع ذرعاً وارسل الولاة سفراء الى الرومية ليبثوا لاهلها شكواهم ويطلبوا نصرتهم فحجاء السفراء وعرضوا للمجلس ما عرضه الى ان قالوا اذا لم ينتصر لنا حلفاء ونا سريعا نسقط في يد اعدائنا الذين سيسوموننا بلاشك المحسف وعذاب الهون فالبدار البدار ايها الرومانيون لمساعدة قوم يكونون لكم حلفاء امناء ويعدونكم ما حيوا مخلصي بلادهم ويحلونكم كما يحلون الالهة - اجابهم المجلس انه يود مساعدتهم لو لم يكن السمينيون حلفاء الرومانيين مع ذلك وعدم بارسال وفد يسال السمينيين كف العدوان فلما سمع السفراء هذا الكلام الناشيء عن الرغبة في المحافظة على الصداقة او الطمع للحصول على ما يقابل الانعاب التي سينجشها الشعب في هذه الحرب قالوا ايها الرومانيون اذا ايتم مساعدتنا كحلفائكم فلا نظنكم تابون للدفاع عنا كرعيتكم لان اهل كامينيا ومدينة كابوا وارضينا وهياكلنا وكل ما نملكه هو من الان لكم ثم جنوا في ذلك النادي ورفعوا ايديهم الى الفنصليين مستجيرين وباكين فاشفق عليهم من كان حاضراً وعوّل المجلس على مساعدتهم لا بل على حماية بلاد ملكها بلا حرب ولا يتم له التمتع بطبيعتها الا بالضرب والطعان على انه ارسل اولاً رسلاً الى السمينيين يسالونهم كف القتال فابى هؤلاء الاذعان لم فتجهز الفنصلان وخرجوا بالجنود لمحاربتهم فظفروا بهم في مواقع كثيرة وشتنا شملهم فطار خبر هذه النصرات في الآفاق وبادر الاتروربون الى الخضوع التام لرومية وارسل الفرطنجيون رسلاً يهثون المجلس ويقدمون تاجاً ذهبياً للإله جوبيتر كايثوليتوس شكراً له على فوز الرومانيين العظيم

وظن اللاتينيون سنة ٢٢٩ ق.م انهم يستطيعون الاستقلال وخلق
 نير ، ومية عنهم وعلموا ان دون ذلك حرباً عواناً فاستعدوا لها لكنهم لم
 يباشروها قبل استعمال الوسائل السلمية كي لا يتهملوا بالاعداء او لكونهم لم
 يكونوا خاضعين لرومية خضوعاً تاماً فانفوا من القول انهم نهضوا في طلب
 الحرية كأنهم كانوا عبيداً وعليه أرادوا ان يعاملوا الرومانيين معاملة
 نظير فوجهم اليهم سفراً . يعلنون رغبتهم في دول السلام وتقوية عرى
 الاتحاد بشرط ان يؤلف مجلس رومية من اعضاء رومانيين ولاتينييين
 وان يكون أحد الفئصلين لاتينياً اما المجلس فغضب جداً عند سماعه هذا
 الكلام وأمر الفئصلين بجمع الجنود اللازمة لتأديب هؤلاء الاقوام الذين
 ابطروهم النعمة فعصوا فجهز الفئصلان مانليوس ودسيوس العساكر وزحفا
 الى كابوا حيث حل اللاتينيون وحلفواؤهم

وفي ذلك الليل ترأى لكل من الفئصلين في الحلم رجلٌ جبارٌ طويل
 القامة ومهيّب قال لها ان النصر يعطى لاحد الجيشين الذي يقدم قائده
 نفسه ضحية لآلهة انجيم ولما اخبر كل قائد رفيقه ما ترأى له في الحلم عجا
 جداً من انها حلما حلماً واحداً وعلموا ان ذلك وحىٌ ينبتها عما يجب فعله
 لاحتراز نعم الآلهة فذبها الذبائح وقدموا القرابين كفارة عن الذنوب واتفقا
 ان الفئصل الذي يرى فرقته مدحورة يجب عليه ان يخوض وحده عجاج
 الحرب ويهجم على صفوف الاعداء حتى يخترق قبلاً باسيافهم ويموت فدى
 الوطن ورجاله

ولم يكن اللاتينيون يباينون الرومانيين بشيء البتة بل كان الفريقان
 يتكلمان لغة واحدة وكانت عوائد الامتين وطريقة قتالهما متشابهة لانها
 شعب واحد وقد عاشتا زمناً طويلاً بالالفة والاتحاد فحذر الفئصلان
 في هذه الحرب كل الحذر وامرا القواد والجنود ان يراعوا الترتيب والابقانل
 لحد منهم خارج صنو وحدث ذات يوم ان الثنى مانليوس ابن الفئصل لقي

قائدَ اللاتينياً فطلب هذا مبارزته فلم يرفض مانليوس التزال كأنه قد نسي
 الأوامر الصادرة بهذا الشأن وانقض عليه بسيفه البتار وخداف مهجنة ثم
 جمع أسلابه ونقدم الى سرادق أبيه وقال له يا أبت قد اقتديت بشجاعتك
 وأظهرت ذاتي اهلاً لأن أكون ابنك فان قائدَ اللاتينياً قد طلب نزالي
 فبارزته وأسقيته بحسامي كأس حنفيه وهذا هي أسلابه أضعها عند أقدامك
 أما أبوه فجمع العساكر حالاً وإجابة قائلاً ياطيطس مانليوس قد خالفت
 أوامري وأقدمت على محاربة العدو فابطلت بفعلك هذا الترتيب العسكري
 الذي نعدّه عماد سلطة وقوة الشعب الروماني فاحوجني الى احد امرين
 إما ان انسى حاساني الابوية فاقتلك او اهل صلح العموم فاستحييك
 ولكن فليكن موتك مثلاً للرومانيين يردعهم عن مخالفة القوانين ويعلمهم
 اذا ارتكبوا هذا الامر المنكر كيف يكفرون عن ذنبهم ثم امر شرطياً بضرب
 عنقه ففعل

ثم تلاحم الجيشان واشتد القتال وكان القنصل دسبوس متولياً قيادة
 الجناح اليسر فظهر في ذلك النهار فعلاً تحير الابطال الا ان عساكره لم تستطع
 الثبات بل رجعت الى الوراء فتذكر القنصل وقتئذ حيلة وهجم على صفوف
 اللاتينيين مقدماً ذاته والاعداء ضحية لأكمة الهجوم فسقط في الحال قتيلاً ولما
 رآه قومه قد مات شجعوا واقتحموا الأهوال فاذا قوا خصومهم حرباً لا تنبي
 ولا تذر حتى نفروا في مجاهل تلك الارض بعدما قتل منهم اناس كثيرون
 وحدثت معامع اخرى استظهر فيها الرومانيون فدخلوا المدن اللاتينية
 واستولوا عليها وعاملوا اهلها بالرفق والاحسان لانهم لم يخذلواهم بذنبهم بل
 طردوا مسبي الثورة ومنحوا الباقيين حقوقاً كاهل رومية وحسبهم في عداد
 الوطنيين

الفصل الثاني

طالما راينا رومية واهلها هدفاً لسهام النزاع الداخلي الناجم عن حب
الرياسة والمحافظة على بعض امتيازات احدثها الوهم وجهد في اثباتها قوم
طمعون لا يدركون حقوق الانسانية وواجبات المرء لابناء جنسوا ما
الان وقد اشتد ساعد العوام وقدروا على مشاركة الاعيان في سائر المناصب
العالية فاصبح سكان هذه المدينة العظيمة شعباً بالحقيقة واحداً يصرف همه
في التعاون واحراز ما يعود بالمجد والعظمة على الامة الرومانية وعرف
المجتمع ان التقدم بالفضل الشخصي لا يشرف الآباء والاجداد فنشطوا الى
الاعمال الخطيرة وولوا التوالي والانقسام صفحة الاعراض

ويظهر ان الرومانيين أدخلوا في هذا الزمان اصلاحاً في نظام المجندية
بان جعلوا مدة التجند تدوم ما دامت الحرب نائرة خلافاً لما اعتادوه قبلاً
من ان القائد المعين لانهاى حرب باشرها قائد آخر يجب عليه جمع عساكر
جديدة كان المجندي غير مجبر على الخدمة اذا مات قائده او عزل عن

منصبه

وفي هذا الاوان كانت رومية تزداد يوماً فيوماً عظمت وراساً لانها كانت
سائرة على قدم النجاح فاخضعت عدة مدن ابطالية واصبحت قوية ومرهوبة
الجانب في تلك الاصقاع ومن عوائدها الحسنة التي تذكر فتشكر والتي
حولتها قوة عظيمة ووطدت سلطتها في المدن الخاضعة لها منحها سكان تلك
المدن حقوقاً كالرومانيين واعتبارهم وطنيين ليجدوا في تقديمها وارسالها
فئة من فقراء العوام ليسكنوا بين الشعوب المغلوبة ويكونوا بمثابة جيش
روماني يحمل تلك البلاد ويمنع اهلها من المجاهرة بالعصيان

وما يجعل ذكره ويَهْلِلُ له وجه الانسانية بشرًا هو الامر الذي اصدرة
المجلس سنة ٢٢٥ ق م بمنع الدائن عن استعباد مدينوه مصرحًا ان املاك
المدينون فقط مرهونة لوفاء دينه اما شخصه فحرًا أبدًا

وقاتل السمينيون شعب رومية مرارًا بعد حربهم الاولى غير انهم كانوا
يزندون دائمًا بالذل والفشل ودامت الحال هكذا الى ان كانت سنة ٢٢٠
ق م وقد انتصر الرومانيون عليهم نصرات عظيمة وغشوا البلاد بمحوشهم
الحجارة فبادروا الى طلب السلام صاغرين جريًا على عادتهم متى المت بهم
ملات فاي الرومانيون اجابة طلبهم استكبارًا وعولوا على مداومة القتال
ليذيقوم ثمر العصيان واليهتان ويجعلوا لهم هذه الحرب خاتمة الحروب ولما
ضاق السمينيون ذرعًا عمد قائدهم بونتيوس الى الحيل انتقامًا من اعدائهم
فتسنى له ما امل وقدر على حصرهم في مضيق بالقرب من مدينة كوديبوم
دُعي من ذلك المحين شوك كوديبوم وسببه ان العساكر الرومانية ولجنة
آمنة لزعما ان العدو قد رحل وان هذا المضيق اقرب الطرق الموصلة
اليه وكان بونتيوس قد اذاع خبر رحيله وهو كامن بالقرب من ذلك
المكان فلما علم بتصديق اعدائه ما اختلفه واحتلهم المضيق فرح واستبشر
وتقدم بجنوده ونظر الرومانيين واذا هم في قبضته لا يستطيعون فرارًا ولو
اتخذوا لهم اجنحة

اما السمينيون فباتوا حائرين فيما يجب فعله ليخمدوا نفعًا من هذا
الفوز الممين ولما كانوا مترددين في الامر لا يستقرون على رأي استشار
بونتيوس اباه بهذا الشأن فاجابه ابوه وهو شيخ جليل قد حنكته الايام
انه يجب اجلال الرومانيين واطلاق سيلهم فلم يحل رايه محل القول ثم
استشير مرة اخرى فاجاب انه يجب قتلهم جميعًا ولقد نطق هذا الشيخ
بالصواب لانهم ان عملوا بموجب الراي الاول صادقوا الرومانيين وقلدوهم
من المنة اطواقًا وان تصرفوا حسب الراي الثاني اضعفوه وجعلوهم غير

قادرين على القتال مدة مديدة الا ان بوتنيوس لم يصدع بامر ايؤ ولم يرضخ لمشورته الحكيمة بل عزم وإعوانه على تخليته سبيل الرومانيين بعد ان يعاملهم معاملة عدو مقهور

وكان الرومانيون قد ذهلوا وخافوا خوفاً شديداً حينما أبصروا الاخطار المحيطة بهم من كل جانب فارسلوا رسلاً يسألون اعداءهم السلام فاجابهم بوتنيوس الى ذلك بشرط ان يسلموا سلاحهم ويمروا تحت النهر وان يغادر الرومانيون المدن السمينية الساكنون فيها والتي سلبوها اهل البلاد فرضوا بما امر كرهه و مروا تحت النهر على مرأى من السمينيين الذين زادوا مصابهم مصاباً بان اوسعهم اهانة وشتاً فخرجوا من ذلك المضيق وقد ضاق بهم الفضاء وتمنوا لو تنفع الارض فاها وتبتلعهم لينجوا من الضيقة والعار وانفوا لذلك من الدخول الى رومية نهراً لثلاث ينظروا الشعب فولوجوها ليلاً واسرعوا الى منازلهم واخباها فيها

وأن الجميع هذه الحادثة المحزنة انين التكلي وخلعوا عنهم ثياب الزينة والتنعم ايذاناً بحزهم الشديد على فقد المجد الذي رفلوا به زماناً طويلاً فله در هذا الشعب الجبار الذي لم ينفه أحد على وجه البسيطة في حب وطنه كان الوطن الهة فلا يناف من بذل النفس والنفس ضحية له أمثلة يُعادي او يذل يجعله يمر تحت النهر ولكن حب الانتقام اذا تمكن من قلب الانسان اعى بصيرته وبصره فيصبح كالباحث عن حنفه بظلفه اذ هيئات ان يدرك ان الانتقام كل الانتقام من الرجل الكريم في الصغ عنه اذا أخطأ وفي أكرامه اذا قدر على اذلاله

ولم يسكن روع الاهلين الا بانتخاب قنصلين جديدين شهر بن بالشجاعة واللباس فاحضرا في الحال الى المجلس سلمهما ليستخبراها عن الهدية التي امضياها للسمنيين فاعلن بوسنيوس احد القنصلين السابقين ان الهدية المذكورة فاسدة لا توجب على الجمهورية امراً لانها تمت بغير علمها ورضاها

ولا تستلزم سوى تسليم القواد الذين وقعوا ليستقم منهم السمينتيون شفآء
 لغلبهم فوقع هذا الكلام عند الجميع موقعاً حسناً وصدقوا عليه ثم بادر
 الرومانيون الى القتال تطوعاً ورحلوا من المدينة بالخيال والرجل ولما قربوا
 من معسكر الاعداء بعثوا اليهم بالقواد المذكورين مفقدين وبسفير يخبرهم
 ما نواؤا فمثلوا بين يدي بونتيوس وفاه الرسول قائلاً حيث ان هؤلاء الرجال
 قد هادنوك وعاهدوك ولم يكونوا ما ذونين في ذلك فقد اقترفوا ذنباً عظيماً
 وعليه فنحن نسلم اليكم لنكون برآء ما جنوه اما بونتيوس فلكي يلقى
 الفتنة ويجعل الحرب ضربة لازب رفس السفير وقال له انا الان سمينتي وانت
 سفير روماني ولقد اعديت عليك وخالفت الشرائع المرعية بين الامم
 فاشهر الحرب صيانة لحرية ومجد امك وعلم بونتيوس ان ورآء الاكمة ما
 ورآءها فاجاب السفير ان رام الرومانيون مراعاة العدل وحفظ شرفهم
 فليعملوا بموجب العهدة التي امضوها او فليرجعوا جنودهم الى مضيق كودبوم
 ثم اشار الى بونتيوس وقال له اتريد ان تخدع الآلهة بمكرك وهل تظنهم
 يحسبونك سمينتياً ليعدوا فعلك اهانة صادرة منا للشعب الروماني اهكذا
 تحقر الدين والعهود ولكن هذه الاعمال لا تليق بفنصل يتولى الاحكام ولا
 بامة عظيمة ثم امر الشرط بفك رباط الاسراء واطلاقهم

وعلم الرومانيون بما كان فاستسروا واستعدوا للقتال ولما التقى الجيشان
 اراد القائد الروماني ان يحرص جنوده على الثبات فلم يستطع لانهم حالما
 أبصروا الاعداء هجموا عليهم وهم مشهرون سيوفهم هجوم اللبوة على من رام
 خدع اشبالها وصدموهم صدمة الجأثم الى الفرار فانقصوا عليهم واعملوا بهم
 السيف البتار حتى اردوا منهم عدداً عديداً

وجرى بعد بضعة ايام وقعة اخرى اظهر فيها الرومانيون ما أظفروه
 في الوقعة الاولى من الحمية وحب الانتقام ولقد كادوا يفتنون الجيش
 السمينتي لولم يوقفهم الفنصل ويستحي من بقي منه وكان عددهم سبعة الاف

رجل فروا تحت النير وفي مقدمتهم بوتيتوس سبب هذا البلاء
وكان السمينيتيون اقدر واشجع امة في تلك البلاد يانفون من الخضوع
للغرباء ويفدون الحرية بالارواح فلم تكن الحروب التي حدثت كافية
لاذلالهم بل ثابروا على القتال مدة تسعة واربعين عاماً وكانوا تارة ينفردون
في حرب الرومانيين وتارة يتحدون مع بعض امم كانت تنهض
لانتصارهم خوفاً من رومية التي امتدت سلطتها حينئذ على كثير من مدن
تلك الانحاء غير ان الظفر كان خاضعاً للوائها فداست جنودها ارض
الاعداء وقتلت منهم اناساً كثيرين حتى كادت انفس السمينيتيين تزهق
فارسلوا سنة ٢٩٠ ق م رسلاً يسألونها السلام فرضي المجلس بذلك وفوض
انعام هذا الامر الى القنصل كوريوس الذي خرب بلادهم واستولى على
مدائنهم العامرة

وكان كوريوس هذا متصوفاً فلما حضر اليه سفراء السمينيتيين ليعقدوا
معهُ شروط الصلح وجدوه جالساً على كرسي خشب بالقرب من النار
يطبخ غذاءه فقدموا له دراهم ليسترضوه ويحملوه على معاملتهم بالرفق
والاحسان فنظر اليهم شراً وقال لهم لا جرم انكم رايتم فقري فرجوت ان
نستبيلوني بالنصار ولكن اعملوا لي اود التسلط على ذوي الاموال لا ان
اكون متمولاً فخذوا ما اتيتكم به واخبروا من ارسلكم انني لا اطلب بالمال
والسلاح فوجد السمينيتيون ان لا راحة لهم الا في الخضوع التام لاعدائهم
فطرحوا عنهم الكبر والخيلاء ورضوا بكل ما شاء كوريوس ان يامرهم به
واَبوا الى ارضهم آمنين تحت ظل العلم الروماني وخضع ايضاً في ذلك المحين
لرومية الصابنيون بعد ان كانوا حلفاءها زمناً طويلاً فعملوا معاملة
حسنة لصدقاتهم القديمة وحسبوا في عداد الرومانيين

الفصل الثالث

قد قويت الآن شوكة رومية وعلا مقامها بين الملأ فاحدقت بها ابصار مجاورها وتنبت افكارهم الى سطوتها وعرفوا رغبتها في الحروب وثباتها فيها ليتسنى لها اخضاع من يمكنها اخضاعه فخرج بعضهم اليها مستعجراً ليأمن بوائق الدهر وغدره وحاول بعض التخلص من ربة سلطتها فسامته خسفاً واذاقته عذاباً اليماً وكان في جنوب ايطاليا مدينة عظيمة اسمها ترنتوم قد استعمرتها فئة يونانية من اهالي مبرنا المشهورين بالتقشف والبسالة فحازت منذ نشأتها مالا وافراً وسلطاناً عظيماً ولما نادى بها الزمان انغمست في الملذات والترف فاضاعت في التمتع حبها للقتال وضعت سلطتها ونظر الترتيون عظمة رومية وانضمام من يجاورها اليها فاشفقوا على انفسهم منها والقول الفتنة بينها وبين كثير من اعدائها القدماء لاسيما الاتروبيين والغاليين السانويين فنشب القتال واحدمت نار الحرب غير ان تلك المعامع انحلت عن فوز الرومانيين باخضاع الاولين وابادة الاخرين عقاباً لهم على ما جناه آباؤهم اما الترتيون فكانوا جاهدين في المحافظة على الحيادة كأن لا علم لهم بما جرى

واتفق ان فالربوس احد اميري المراكب الرومانية دخل مرفأ ترنتوم بعشر سفن وكان اهلها اخذين حينئذ في اجراء ألعاب عمومية بملعب تجاه البحر فوهوا ان الرومانيين آتون بسفهم للتجسس اولشن الغارة عليهم لان المناق الواشي لا يأمن احداً او كيف يأمن احداً وهو عدو الجميع فابطلوا الالعب وبادروا في الحال الى المرفأ فاغرقوا سفينة وقبضوا على اربع والجأ والخمس الباقيات الى الفرار وعلم الرومانيون بما لحق بهم من الاهانة

فارسلموا الى ترنتوم سفراء يطلبون ارضاء ونعوبضاً فسخر الترتيون منهم
وردوهم خائبين فكان ذلك كما لا يخفى ضعفاً على ابالة

وكان الترتيين قد صعدوا من غفلتهم وانتهوا الى سوء عاقبة ما فعلوه
ونظروا الى من يجاورهم فلم يروا احداً قادراً على مساعدتهم فاستجاروا
بييرس ملك أيرس وهو اشجع ابطال اليونانيين وقتلهم ولما كان فخوراً
ومولعاً بالحروب والانتصار ليشتهر وبجاي اسكندر المقدوني الكبير
المعروف بذئ القرنين لى دعوة الترتيين واخذ في الاستعداد

وكان لهذا الملك الجبار وزير نسالي اسمه سنياس قد قرأ على ديمستينوس
الخطيب اليوناني العلم ولزمه فنشأ خطيباً كاستاذة بليغاً يفتن الالباب بسحر
بيانه ويستميل القلوب بدرر الكلام والحكم فيجج في كل ما فوضه اليه مولاه
حتى ان بيرس كان يقول ان ما اغنمته بفصاحة وتدير سنياس
لاكثر جدّاً مما حزنه بقوة ذراعي وبطشي وحدث ان هذا الوزير قال
لبيرس ذات يوم يا مولاي من المعلوم ان الرومانيين قوم اشداء وينسلطون
على امم كثيرة مشهورة بالشجاعة فما الذي فعلته بعد ان تغلبهم
— اجابه بيرس متى غلبنا الرومانيين لا يبقى لنا منازع في تلك البلاد

فناخذ مدائننا ونستولي على اموالها

ماذا نعمل بعد ان نستولي على ايطاليا

— نخضع جزيرة صقلية (سيسيلى) لانها وان كانت كثيرة المال
والسكان لا نستطيع قتالنا من جرأ الفتن الاهلية التي اوهمت قواها

— حسن ولكن هل نقف عند هذا الحد

— كلا بل نجتاز الى افريقية وقرطجة ونستولي على جميع ما هناك ثم

نسترد مكدونيا ونخضع كل بلاد اليونان

— اكيد ولكن ماذا نعمل بعد ذلك

— فضحك بيرس واجابه حينئذ نعيش عيشة راضية لاننا نقضي ايامنا

بالولائم ونعاطي المدام ومنادمة الخلان

— قال له سنياس ما الذي يمنعنا الان يا مولاي من نيل هذه السعادة التي نود الحصول عليها بعد هذه الاخطار العظيمة

ان ما فاه به هذا الوزير الفيلسوف لحري ان يكتب بآء الذهب وان يجعل للناس ما حيول نبصرة وذكرى لينتبهوا الى الاسباب الحقيقية التي تخولم الراحة والسعادة لئلا تحملهم الاطاع على ارتكاب الاخطار وتحشم مشقات تجرهم غالباً كاس الهلكة فما اجهل الانسان وما اغفلة عن الحقائق كأنه يحسب التعب امرًا محنومًا عليه فلا يبرخ كاسف البال زائد الليلال متوسداً فراش الهموم والغموم حتى يقع في رائن الموت ويدركه الفناء وكمن الاغنياء الذين لورضوا بما يملكون لعاشولهم ومن يلدون أحناباً عديدة بالراحة والهناء ولكنهم كلما ازدادوا مالاً زادوا طبعاً وحرصاً حتى يسقطوا عاجلاً ام آجلاً فيما كانوا منه بمحاذرون

ولما كاف بيرس لا يبلغ بغير الحرب والغارات لم يتصح بكلام وزيره الحكيم بل اعاره اذناً صماء وارسله على الفور الى ترنتوم ليهدي سبيله هناك وييسر الترتينين بقرب وصوله اليهم ثم جمع جيشاً جرّاراً وفيلة سنة ٢٧٩ ق . م وركب بهم البحر وما زالت سفنه مآخرة حتى وصلت الى ترنتوم فاحتلها وجنوده بالعز والاكرام واخذ في الاستعداد لقتال الرومانيين فكانت قصصهم بما معناه من بيرس الى لافينيوس سلام قد علمت انك آت بجيش لمحاربة الترتينين فاصرفه بلا مهل ونعال اليّ واعرض لي شكواك لانني متى سمعت دعوى الفريقين ساصدر في هذا الامر حكماً يجب على كل مراعاته اذ الويل لمن يخالفني فاجابه لافينيوس — اعلم يا بيرس اننا لا رضاك حكماً ولا نخشى غضبك واني لا عجب كيف تدعي ان لك الحق بالحكم لنا او علينا وانت قد اهتمنا باحتلالك هذه البلاد اما الحكم الوحيد الذي رفع اليه الشكوى فهو المريح ابو الرومانيين وحامي جنودهم اذا الخيل باللبات

يوماً تعثرت

حيث نفض ييرس مجنوده وتقدم الى نهر سيرس حيث كان الرومانيون معسكرين ونظر اليهم فاعجبه ترتيبهم وحركاتهم العسكرية فالتفت الى احد اعوانه وقال له ان نظام هولاء البرابرة ليس ببربرياً (كما ان العرب يدعون اعجم كل من يخالفهم جنساً ومحمداً كذلك اليونانيون كانوا يطلقون اسم البرابرة على كل امم الارض ما خلاهم) وبظهرانه خافهم فاراد اجتناب المعامع العظيمة لتطول الحرب ويتسنى له الحصول على امداد محالفيه غير ان الرومانيين لم يمكنهم الاضطراب فعبروا النهر واندفعوا على الايريين بشجاعة وثبات فالتفاهم هولاء بالخيول والرجل وشبت الحرب واشتد القتال ولقد اظهر الملك ييرس في تلك المعركة تدبير قائد محمك خبير وبسالة مقاتل شهير وكان اذ ذاك لباساً فاخراً وسلاحاً بديعاً فاصبح مطعماً لابصار اعدائه وهدفاً لضربانهم ولقد كاد يفقد حياته ذلك النهار لان فارساً ابطلها نعمة دون سائر الجيش وطعنه طعنة اصابته جواده فسقط على الارض سالماً ومات ذلك الفارس بسبوف اعوان الملك

وحارب الرومانيون في ذلك النهار حرباً نشيبت الاطفال وثبتوا جميعاً ثبات الابطال لدى هجمات اعدائهم المتتابعة حتى انهم كادوا ينظفرون عليهم ويفتككون بهم فتكناً ذريعاً لولا البيلة التي اطلقها ييرس والتي القت في قلوبهم الرعب لانهم لم ينظروها قط ولم يعرفوا ما هي فرجعوا الى الوراء مدحورين ثم ولوا منهزمين فراراً من الموت وخوفاً من الافيال وتركوا معسكرهم غنيمة للايريين واسر ييرس منهم في هذه الواقعة ألفاً وثمانمائة رجل عاملهم معاملة حسنة واعتمرهم غاية الاعتبار لاسيما حينما رفضوا ان يجازبوه ويدخلوا في خدمته

وطار خبر هذه النصر في الآفاق وعدها الناس من خوارق العادة لانه وان يكن ييرس مشهوراً وقد تغلب على امم كثيرة فانكسار الرومانيين

وفصلهم وتركهم معسكرهم غنيمة للاعداء لا مرعظيم غير منتظر قد حبر
 الافكار وفتح باباً لثمانية المبعضين والنضل في ذلك لنيلة الامير اليوناني
 لا لرجالو كما روت ثقات المؤرخين مع ذلك لم يكن بيرس فرحاً بنصرته لانه لما
 جاء اليه الترتينيون بهشونه قال لهم نصره اخرى كهذه نخفنا ولم يجزع الرومانيون
 ولا المجلس من هذا الانكسار بل جهزوا جيشاً جديداً وسلموا قيادته الى
 الفئصل لافينيوس الذي زحف به واعترض بيرس عند رجوعه الى ترنتوم
 فابي الملك محاربتة وانكف راجعاً الى المدينة

واي ترنتوم رسل رومانيون يرأسهم فابريسيوس البطل الشهير بشجاعته
 وصدقه وامانتو وطلبوا مقابلة الملك ليخبروه بشأن تخليه سبيل الامراء
 فظنهم بيرس بادىء بدء آتين لكف العدوان وطلب السلام ففرح
 واستبشر غير انه لما علم امرهم خلا بفابريسيوس وقال له قد سمعت وتاكدت
 انك رجل فاضل كريم ويسوءني جداً ان اراك فقيراً فاود ان انمخ
 مالا وافراً لتحاكي اشرف الرومانيين غنى واقنداراً ولست اسألك مقابلة
 انذلك سوى ان تجهد في عقد الصلح وكف القتال لانه لا يليق بي الرحيل
 من هذه الديار قل ان اعقد للترتينيين واليونانيين القاطنين في ايطاليا
 صلحاً موافقاً لهم ولا نعجب من رغبتني في السلام لان لي شغلاً شاغلاً يستلزم
 حضوري عاجلاً الى بلادتي واذا رأيت مجلسكم لم يركن اليّ لكوني ملكاً
 وكون ملوك كثيرين قد نقضوا العهود غير مباينين فالتمس منك ان تكون
 كفيلي لدي واذا رمت ان تأتي ابرس بعد ذلك فلك مني ما تريد لاني
 مفتقر الى رجل فاضل وصديق صدوق وانت محتاج الى ملك كريم بقدرك
 حق قدرك وبممكنك من اظهار فضلك في انهاء اعماله العظيمة التي سينفوها
 اليك فلنتعاهد اذا على الصداقة الصادقة المائدة على كئينا بالخير والسعادة
 أجابة فبرسيوس انا فقير كما قلت لاني لا املك سوى بيت حفير
 وقطعة ارض احرثها بيدي واعيش من غلتها أما فقري فلا يحبط مقام

بين مواطني الذين يقدروني حق قدري ويعتبروني من الكبراء الواجب
أكرامهم كيف لا ورومية لا تعتد بالمرء اذا لم يكن فاضلاً ونشيطاً وقد
نقلت عدة مناصب عالية واحزرت فخراً عظيماً فالذي تخالة سبباً للاهانة
هو عندنا عين الفخار ولو كنت أرغب في الثروة وأحب حشد الاموال
لا مكنتي ذلك عند فتحي المدائن وقهري الابطال والجيوش ولكنني لا ابالي
باللجين والنصار وارى المجد كل المجد في انمام واجباتي لا كون طاهر الذيل
واسع الشهرة

واراد بيرس ان يخبر شجاعة فابريسيوس فدعاه الى مكان للخبايرة
وامر احد رجاله ان يأتي بأكبر الافيال وبطلقة عليه حين حضوره فلجأه
وجلس هم القبل عليه بغتة ومد خرطومهُ فوق رأسه فلم ينزع البتة بل
التفت الى الملك وقال له وهو يتبسم اني لا ابالي بذهبك ولا باعظم افيالك
وحدث عند المساء انهم خاضوا في حديث علماء الادب وفلاسفة
اليونانيين فاخذ سنياس يتكلم عن أبيقورس ويشرح قواعد فلسفته قائلاً
ان الآلهة لا تحب ولا تبغض ولا نشفق ولا تغضب ولا تنالي بالبشر على
الاطلاق لا بهمها شغل ولا تشغلها عناية بل هي منهمكة ابدًا بالمسرات
وعليه فالانشراح هو اعظم نعمة يجرزها الاسان والحكيم من نبد الفخار
والعظمة ظهرياً لان كل ذلك يذهب بالسعادة الحقيقية فصرخ فابريسيوس
حينئذ وقال ايها الآلهة فلنكن هكذا نعاليم اعدائنا حتى نتنصر عليهم
واخفق مسعى الملك في اقناع فابريسيوس ان يتوسط له الصلح فارسل وزيره
سنياس الى رومية ليخبر المجلس بذلك واصحبه بالتخف الثمينة للصكبراء ولما
كان سنياس كما تقدم المقال طلق اللسان بليغاً امكناً استرضاه كثير من
الآباء وكاد يفوز بالمنى لولا ايبوس الشيخ الذي على رغم اسقامه ووهن
قواه اتى دار الندوة محمولاً على كرسي وخطب خطاباً انيقاً اعرب فيه عما
يجب فعله انقاء للحدثان وصيانة لشرف الرومانيين وكان لخطابه هذا وقع

عظيم في قلوب المحاضرين فاجمعوا جميعاً على رد الوزير اليوناني وعدم انالته
سؤلة بقولهم اننا لانخاطر بيريوس بصلح ولا نعاهده بعهد طالما هو محتل
ايطاليا ولكننا سنبدل الجهد في مداومة حربه ولو انتصر على الف قائد
مثل لفينيوس فغادر سنياس في ذلك النهار رومية ورجع الى ترنتوم قيل
ان بيريوس سألته عند رجوعه كيف رأيت مدينة الرومانيين ومجلسهم اجابة
ان رومية نظير هيكل ومجلسها كموثر ملوك

وفي سنة ٢٧٧ ق . م كان فابريسيوس قنصلاً وقائداً للجيوش فارسل
اليه رئيس اطباء بيريوس كتاباً يعرض فيه رغبته في سم الملك لانهاء الحرب
واراحة العباد من شره اذا كان الرومانيون يجيزونه على ذلك فانف
من دناءة ورداءة هذا الطبيب الخائن اللئيم وكتب في الحال الى الامير
اليوناني ما ياتي من فابريسيوس واميلبيوس القنصلين الى الملك بيريوس سلام
قد اخطأت ايها الملك في انتقاء اصدقائك واعداك لانك متى قرأت
الكتاب المرسل اليك من احد اعوانك تعلم انك تقايل اناساً امناء فاضلين
وتأمن رجالاً طغماً خائنين واننا قد بادرننا الى اعلانك الخطر المحيط بك
لا رغبة في صيانتك او التزلف منك ولكن فراراً من قول قائل اننا لم
نستطع قهرك علناً فعدنا الى الخبث والخيانة حكى بعضهم ان بيريوس حينما
بلغه ذلك قال ان تغيير سير الشمس في قبة الملك لأيسر من افساد اخلاق
فابريسيوس الشهم العادل

وكان السبيليون قد خضعوا من مدة للقرطجيين فكهروا حكم الاجبي
وسلطة الغريب وطلبوا الى بيريوس ان ياتي بلادهم ليعينهم على طردهم منها
فلم يبرس دعوة الداعين واقبل اليهم بجيوشه الجرارة واقباله وقايل
القرطجيين قتالاً لا يبغي ولا يذر فالجأهم الى ترك الجزيرة فراراً من بطشه
وبأسه ولما خلا له الجو وصفا الزمان عمد الى ارتشاف كووس الهناء والمسررات
مجرعاً الاهلين من فعاله مرارة العلم فستهمول منه وملوا الحياة لظلمه وانقسموا

احزاباً دعا كل منها بعضاً من الغرباء لانتاذهم فاسرع اليهم الفرطنجيون
بجنودهم وعملوا معهم على نكايته وتنكيله وحدث في ذلك الوقت ان الترتينين
ومحالهم بانوا من حرب الرومانيين بعد رحيل الامير اليوناني في ضيق
الحناق فارسلوا اليه رسلاً يسالونه امداداً فحضر اليهم على جناح السرعة
لانه أصبح في سبيلها محنوقاً بالعناء والاضطراب . حكى المؤرخون انه قال
عند تركه الجريفة ما أعظم هذا المكان الذي تركته ساحة لقنال الرومانيين
والفرطنجيين

واحباً يبرس بقدميه روح الشجاعة في قلوب الترتينين فنشطوا الى
القنال وخرجوا معه للكر والكفاح وكان الرومانيون قد اقاموا قبصلاً
كوربوس الشهير في الزهد والبسالة وسلموا اليه قيادة الجنود فالتقى الجيشان
بالقرب من مدينة بنيفنتوم فنشبت الحرب وكانت مهولة وبلوح ان
الرومانيين قد اعادوا منظر الافيال فلم ترعهم البتة بل كانوا يقطعون
خراطيمها بسيفهم او يرمونها بسهام مشتعلة فكانت تنفرد عورة وترتد الى
الوراء فتدوس الايريين . ولم يستطع يبرس الثبات في ذلك النهار امام
اعدائهم بل ولّى هارباً وترك معسكره غنيمة للرومانيين وبعد ان أقام بضعة
ايام في ترنتوم غادرها ورحل سنة ٢٧٤ ق . م الى آيرس ولما كان هذا الملك
لا يرتاح الى السلام ولا يعرف راحة بغير الحروب والانعاب بادر سنة
٢٧١ ق . م الى محاصرة ارغوس في بلاد اليونان وكاد يستولي عليها لو لم يجر
صريعاً بمجر رمته بو احدى النساء من سطح بينها

واخضع الرومانيون ترنتوم سنة ٢٧١ ق . م وجاروا الامم الباقية
التي حازت يبرس او جاهرت بالعدوان فاذلوا واستولوا على مدائنهم
وهكذا امتدت سلطنتهم على شعوب ايطاليا كافة واصبحت رومية ام المدائن
حقيقة وعاصمة تلك البلاد

الباب الرابع

من ابتداء الحرب القرطجية الاولى سنة ٢٦٤
الى انتهاء الحرب الثانية سنة ٢٠١ ق.م
او
من سنة ٤٨٩ الى سنة ٥٥٢ ب.م

توطئة

ان ما فاه بويرس عند رحيله من سيسيليا سينم قريباً لان هذه الجزيرة
ستصبح عن قليل ساحة لقتال الرومانيين والقرطجيين وتحدث فيها حروب
مهولة وشهيرة في تاريخ الانسان اما الامير الايري فلم يقل ما قاله
بوحى والهام ولكنه رأى هاتين الامتين آخذتين في افتتاح المدائن والبلدان
بسرعة عظيمة وشتقار بان كل سنة اكثر فاكثر فلم يعسر عليه المجزم انها
ستنعاد بان ولما كان موقناً ان الرومانيين سيخضعون ايطاليا قبل ان ينسنى
للقرطجيين الاستيلاء على سيسيليا علم ان الجزيرة المذكورة ستكون داعياً
الى النزاع وشوب نار حرب لا تهدد الا باذلال احد الفريقين واننا نذكر
فيما ياتي من الكلام سبب هذه الفتنة الكبرى الناتج بلا ريب عن انقسام
الجزريين وتضعف احوالهم مع الالماع الى تاريخ عدوة رومية فكاهة للقرآء
وتمة للفائدة فنقول ان اغاثوكلس ملك سيراكوزا استاجر ايام ملكو عددًا
عديداً من السكابينيين الذين دُعوا مامرتيين واستخدمهم عساكر واعواناً
له ولما مات هذا الامير لم يحفل السيراكوزيون بالممامرتيين المذكورين بل

ساموهم خسفًا فرحل هؤلاء الى مسينيا وحلوا فيها ضيقًا مكرمين الا انهم
خانوا الاهلين فذبحوا قسما منهم وطردوا الباقين واستولوا على املاكهم وزنوا
بنسائهم وحينما اتى بيرس ايطاليا واجس سكان ريجيوم خوفاً منه واشفقوا
على انفسهم من القرطجيين فطلبوا الى مجلس رومية ان يمد لهم بالجنود فارسل
اليهم المجلس جيشاً جهزاً من كامبيا فمضى هؤلاء الكامبيون بادية بدء على
سنن العدل والانصاف طائعين وأمر قوادهم غير انهم لم يلبثوا زمناً طويلاً
حتى فسدت اخلاقهم لكثرة ملاهي المدينة ووفرة اسباب التمتع والترف
فابطرتهم النعمة وعاملوا سكان ريجيوم بقساوة بربرية كما عامل اخوانهم
المامرنتيون اهالي مسينيا

ولم يقدر الرومانيون حينئذ ان يفاصلوا هذه الفئة العاصية الطاغية
جزاء لها على ما جنته من سوء النعال وشر المساوىء لاشتغالهم بحرب بيرس
وحلفائه فلما خلا لهم الجو ورحل بيرس من البلاد مدحوراً ارسلوا كتيبة الى
ريجيوم وحاصروها واستولوا عليها عنوة وقتلوا من قتلوه من اولئك العصاة
وقادوا الباقين الى رومية مكبلين بالسلاسل وبعد ان جلدوهم جلدًا عنيفاً
ادعى منهم الابدان ضربوا اعناقهم وارجعوا سكان ريجيوم الاولين الى وطنهم
وردوا عليهم عقابهم وما فقدوه

واغار أبرون ملك سيراكوزا بعد ستة اعوام على المامرنتيين فاذاقهم
حرباً تشيب الاطفال فولوا منهزمين الى مدينهم مذعورين وباتوا بها
حائرين في امرهم لا يدرون ما يفعلون فاستصرخ بعضهم القرطجيين
وسلم اليهم القلعة وارسل بعضهم سفراء الى رومية يطلب امداداً فنظر
الرومانيون الى هذا الامر نظرة عادل حكيم لانهم عرفوا ما دون اسعاف
هؤلاء الطغام من الاهانة والعار كيف لا وهم الاولى قد امانوا عساكرهم
الكامبيين الذين اعتدوا على اهل ريجيوم شرميتة وجعلوهم عبدة للبشر
ليتأدب الطاغية ويعدل القوم الظالمون لكنهم راوا القرطجيين قد ملكوا

قسماً كبيراً مخصصاً من افريقيا واستولوا على جزء من اسبانيا وفتحوا سردينيا
وجزرا ايطاليا وامتدت سلطتهم على مدن كثيرة في سيسيليا فعملوا علم اليقين
انهم ان لم يبادروا الى قتالهم يملكون قريباً مسينيا وسيراكوزا وسائر مدن
هذه الجزيرة العظيمة فتصبح ايطاليا وسكانها في خطر عظيم منهم فقرّر
المجلس ارسال الجيش لمحاربهم وسلم قيادته الى القنصل ايوس . قيل ان
ايوس هذا الذي يجسس احوال الاعداء ويكون على بصيرة في قتالهم ذهب
الى مسينيا وحده وتولى قيادة الجيش المامرتيني وحارب القرطجين واكرمهم
على تسليم القلعة ثم رجع الى ايطاليا واخذ في الاستعداد ليحتمل وجنوده الى
سيسيليا كما سيأتي بيان ذلك في الفصل الاول من هذا الباب

قرطجة

قال المؤرخون ان اليسا الامينة الصورية المعروفة بديدو
تزوجت خالها او عمها اسرباس المشهور وقتئذ بالثروة في تلك البلاد
وكان اخوها بينغاليون ملك صور طمعاً بجيلاً فقتل اسرباس ليستولي على
أمواله الوافرة اما ديدو فلم تتمكن من ذلك بل جمعت تلك الاموال ورحلت
مع كثيرين من اصدقائها وتابعتها الى ساحل افريقيا بين تونس وانتيكا (الان
ابوشاطر) وابتاعت قطعة ارض من الوطنيين وبنت فيها دسكرة دعنها
يهرسا سكنت بها هي ومن تبعها ثم بنت بعد ذلك مدينة قرطجة المدعوة
قرطادو باللسان الفنيقي اي المدينة الجديدة وكان القرطجينيون الاولون
يحبون السلام ولا يميلون لغير التجارة وحشد الاموال وكانوا ينفقون
الوطنيين كل سنة مقداراً معلوماً من الدراهم كجزية او اجرة الاراضي التي
اخذوها منهم الا انه لما قويت شوكتهم وكثر ما لهم انفقوا من ذلك ورفضوا

دفع الجزية المفروضة عليهم فحاربوا الوطنيين واخضعوا كثيرين منهم ثم
سرت فيهم روح الافتتاح ومحبة الغزوات فاستولوا على الجزر القريبة منهم
وفعلوا مالمطة وغيرها وارسلوا من مدينتهم أقواماً يستعمرون سواحل افريقية
من اعمدة اركيلس (بوغاز جبل طارق) الى جون سيرنس الكبير (في
اراضي طرابلس الغرب) وما زالوا ناجحين في اعمالهم آمنين حتى دهمهم
الرومانيون في سيسيليا ونشبت الحرب القرطاجية الاولى التي اضرم نارها الحسد
والطمع

الفصل الاول

وعلم القرطاجيون باستيلاء اعدائهم على قلعة مسينيا فغضبوا وهاجوا
هيجاناً عظيماً وامروا في الحال بصلب القائد وارسال جيوش جديدة واسطول
منيع ليحاصروا مسينيا براً وبحراً وحالفهم في ذلك المحين أبرون ملك
سيراكوزا وزحف بجنوده لمساعدتهم ومحاربة المامرتنيين شفاءً لغليله وانتقاماً
من هذه الفئة العاتية الطاغية

وإني اذ ذاك أبوس القائد الروماني بعساكره واحتل مدينة رجيوم
ليجتاز منها الى مسينيا ويتصرف لاهلها غير انه رأى دون ذلك خطر
الفتاد كيف لا وسفن القرطاجيين قائمة له بالمرصاد لتزقب حركاته وتفتك
بومتى ركب البحر واصبح في قبضتهم لانهم كانوا ملوك البحار لا يغلبون ولا
يجارون في ميدانها فارتد الى الوراء كأنه راجع الى رومية فاغتر القرطاجيون
بجملته وابتعدوا عن ذلك المكان فتربص أبوس قليلاً حتى اذا كانت ليلة
حالكة الادم ركب ومن معه السفن التي أعدها لم الترتيون وغيرهم واحتلوا
مسينيا آمنين

ولم ترع أيوس كثرة عدد الأعداء ووفرة عددهم بل خرج بجنوده
وقاتل أبرون ملك سيراكوزا فكسره وبدد شمل عساكره وجمع الأسلاب
ورجع الى المدينة غامًا ظافرًا وكان أبرون قد فطن الى ارتكابه الشطط
بمساعده الفرطنجيين على اهل بلاده وتهدده بذلك لم سبل اخضاعه واذلال
السياسيليين كافة فارتد الى مدينته واقام فيها صابرًا ليرى ما يكون

ونشط أيوس بعد هذه النصرة الى الكر والكمناح فتقدم حالًا الى
معسكر الفرطنجيين وداهمهم بغتة ففتك بهم فتكًا ذريعًا والمجأهم الى الفرار ثم
جال في البلاد وغزا مدينتها واتى سيراكوزا والقى عليها الحصار وامتد
الرومانيون اذ ذاك جنودهم في سيسياليا بفرق جديدة فتعززت شوكتهم
وزادت قوتهم هناك ففتحت لهم مدن كثيرة ابوابها وسلمت اليهم حصونهم رغبة في
محالفتهم ورأى أبرون ان محالفة الرومانيين اجدى له نفعًا من محالفة
الفرطنجيين فمخبرهم في ذلك وعاهداهم عهدًا صادقًا لم يحل عنه حتى المات
وكان هذا الملك محبًا لرعاياه وراغبًا في نفعهم فعاش محبوبًا ومكرمًا من
الجميع

وجرت بعد ذلك بين الفرطنجيين والرومانيين عدة معامع لا سيما بالقرب
من مدينة أكرجنتوم حيث كان الفرطنجيون متجمعين وكان الظفر خاضعًا للواء
الامة الرومانية فانتصرت على أعدائهم واستولت سنة ٢٦١ ق م على مدينة
أكرجنتوم المذكورة فاذا لت أهلها وسلمتهم اموالهم

ولما كانت قرطجة سلطنة البحار لم يمكن الرومانيين الاستيلاء على
جميع سيسياليا لان المدن البحرية أبت الخضوع لم خوفًا من أعدائهم
الفرطنجيين وعلمت رومية انه لا يستنب لها الامر الا ببناء سفن حربية
لتحاكي عدوتها وتنعج هجماتها على سواحلها متى سخطت لها الفرصة ولكن أثنى
لها ذلك وهي لا تعرف من تلك الفنون الدقيقة شيئًا

وحدث ان سفينة قرطجية صغيرة قدفتها الامواج الى البر فاخذها

الرومانيون مثلاً لبناء سفنهم الحربية واقتلوا على العمل بمحاذقة وثبات
ونشاط فانجزوا في مدى شهرين مائة وعشرين سفينة التي وإن تكن بطيئة
الحركة في سيرها للجهل او عدم خبرة صانعيها فهي تشهد بذلك هذه الامة
وعلو مداركها وتظهر لنا جلياً ما للاجتهاد والثبات من المنفعة في اعمال
البشر

ولما كان الرومانيون لا يمكنهم مجازاة اعدائهم بمراكبهم هذه استنبطوا
آلة يدعوها الغراب وهي اشبه بحسر يلقونه في سفن القرطجيين ويمرون عليه
ليكافحهم وينزلوهم في مراكبهم كأنهم وهم فوق الحجج البحار خائفون عجاج
الحرب في سهل عظيم ولقد افادهم هذا الاستنباط فوق ما كانوا ياملون لان
القرطجيين لم يبالوا بهم ولم يعملوا بما دبروه فهمجملو عليهم سنة ٢٥٩ ق م
باحترار وبلا ترتيب فبادر اليهم الرومانيون بالآتهم وامسكهم بها كي لا
يمكنهم الفرار ثم انقضوا عليهم انقضاض الصواعق فقتلوا منهم عدداً عديداً
واستولوا على بعض سفنهم واغرقوا البعض ولم يفلت من ايديهم سوى نزر
رأى العرة في غيره فاعتبر وولى هارباً فراراً من الموت الزؤام اما دويليوس
امير المراكب الرومانية فاحتفل بنصرته هذه ببهجة لم يرق قط مثلها في الا عصر
السالفه ومخ حقيقاً وحاز انعامات لم ينلها قط قائد قبلاً واقبل له في الفورم
تذكارة الغلتو عمود رخامي ابيض نقش عليه صورة مقدم سفينة وكتابات
اخرى فكان كل ذلك دليلاً بيناً على سرورهم العظيم بانتصارهم لم يكن ما مولاً
واستولوا بعد هذا على جزيرتي كورسيكا وسردينيا وقهرروا القرطجيين في
عدة مواقع بحرية وكان الظفر تابعاً للوائهم حينما ذهبوا وابنا حلوا

وفي سنة ٢٥٥ ق م كان رغولس احد القنصلين قائداً للجيش
البرية والبحرية فبعد ان انتصر مراراً على القرطجيين أمر بالذهاب الى
افريقيا لمحاربتهم في بلادهم. قيل ان القنصل لما بلغه هذا الامر تذكر جداً
وكتب الى المجلس يقول انه عند وفاة مزارعو قد فوض امر قطعة ارضه

الصغيرة الى أجبر بظنه استلب آلات الزراعة والبذار وعليه فحضوره واجب لينظر في أمر القيام باود امرأته واولاده فقرر المجلس حينئذ تعويضه ما خسر والاعثناء بارضه وتقديم النفقات اللازمة لعائلته من الخزينة العمومية فاطمأن لذلك باله وذهب الى البلاد الافريقية فاستولى على مدن كثيرة منها وكسر الجيوش القرطجية بالقرب من مدينة قادس ثم زحف الى تونس وملكها واخذ بضايق القرطجيين

روي ان رغولس اذ كان سائرا في البلاد الافريقية اتى وعسكر على ضفات نهر باغرداس (الان نهر المجردة) الذي يصب في البحر بالقرب من قرطجة فلقى ثعباناً طوله مائة وعشرون قدماً كان يتلع الرجال عند مجيئهم الى النهر ليستقلوا وكانت حراشف هذا الثعبان ثخينة جداً حتى ان السهام لم تكن تؤثر فيها فنبش الحواجز والمناربس وشرعوا في محاربتهم كأنهم يحاصرون حصناً حصيناً فقتلوه وبعثوا بجلده الى رومية ولقد اسهب بعضهم في الكلام عنه وحكى نوادر يصعب تصديقها والمظنون ان هذا الحيوان تمساح عظيم جداً وحيث ان الرومانيين لم يعرفوا وقتئذ التماسيح ولم يروها قط حسبوه ثعباناً وبالغوا في وصفه لغرابته

ونظر القرطجيون الى انكسارهم وضعفهم ونضعض احوالهم فارسلوا رسلاً الى رغولس يسألونه السلام وكان رغولس قد ابطه الانتصار فاحتقر اعداءه وطلب لعقد الصلح شروطاً تذلهم وتذهب بهم الى دركات الضعة والخيول وقال لهم من الواجب على الانسان ان يقهر عدوه او يخضع لاحكامه بطاعة عمياء فانف القرطجيون من ذلك الطلب وعولوا على ركوب متن الاخطار واقتحام الاهوال لانهم رأوا شرب كأس الحمام في ساحة القتال أهون من الذل بعد الافتخار

وأحصر القرطجيون في ذلك الاوان عساكر يونانية من سرطا وكان كراتيس قائد هذه العساكر رجلاً خبيراً بالفنون الحربية فعلم القرطجيون

نظاماً جديداً وخرج بهم ، بجيشه لمحاربة الرومانيين فنشب القتال وكان
 رغولس قد احتقر الاعداء فلم يكثر لهم وهم عليهم برجاله مطمئناً كساع
 لادراك المفاز والمضى فانكسر امامهم ووقع أسيراً في يدهم وقتل الفرطنجيون
 في ذلك النهار من جنوده عدداً عديداً فسقوط رغولس يعلمنا الانضاع
 وجوب الاحتراس أبان النجاح من غدر الدهر وصروف الزمان لئلا يذهب
 بنا الصلف الى حيث لا نرغب وبجاء الفرطنجيين يظهر لنا صحة ما قاله احد
 الحكماء ان رجلاً عاقلاً افضل من جهال كثيرين وان الفائدة الخبير اذا لم
 يجترس من الدهر يصح كواقف على شفا جرف هار ويكون سقوطه لا
 محالة قريب

ومضت سنوات لم يحدث فيها سوى وقعتين مهمتين نال الرومانيين
 في كليهما الظفر احدهما وقعة بحرية جرت سنة ٢٥٩ ق . م بالقرب من
 راس مركوري (الان راس الدار) خسر فيها الفرطنجيون مائة واربع عشرة
 سفينة والاخرى جرت سنة ٢٤٩ ق . م في اراضي بانورمس (الان بالرمو)
 قتل فيها قسم عظيم من الجنود الفرطنجية في سيسيليا وأسر منها أيضاً رجال
 كثيرين فعادت لذلك روح الشجاعة والحمية الى صدور الرومانيين
 وعولوا على تجهيز جيوش جديدة لانهاء حرب دموية قد شب سعيها من
 زمان طويل

وفي سنة ٢٤٩ ق . م ارسل الفرطنجيون الى رومية أرغولس ليتوسط لهم
 الصلح او مبادلة الاسراء وحلفوه يميناً ان يعود الى قرطجة اذا اخفق مسعاه
 لدى المجلس الروماني واصحبوه بسفراء ليلفوا هذه الرسالة ويكونوا شهوداً
 على صدق مخبراته ولما وصلوا الى رومية ابى رغولس ان يدخل اليها قائلاً
 انه خسر حقوقه الوطنية لكونه عبد دولاً أجنبية وانه لم يأت ليخالف قوانين
 وعوائد بلاده المانعة المجلس عن مواجهة الغرباء داخل الاسوار وجاءت
 اليه امرأته وولاده ليشاهدوه فلم يحفل بهم ولم ينظر اليهم بل أطرق اطراق

مستحي من عبوديتهم وغير اهل للاكرام فاجتمع الاء خارج المدينة وامرو
الرسل بعرض حاجتهم ثم نذاكروا ملأ وسألوا رغولس عن رأيه في هذا
الامر فاجابهم ايها الاء انني عبد قرطجني قد أرسلني موالي لاخبركم بشأن
الصلح او مبادلة الاسراء فالح عليه المجلس بان يقول بحرية ما يرتئيه فاجابهم
أيها الرومانيون انني موقن بملككم من هذه الحرب التي نجشتم لاجلها مشقات
عظيمة فاعتصموا بالثبات لان الثبات واجب لدى التوازل الجلى واعلموا
ان القرطجنيين في ضيق عظيم اذ شتان بين حالتكم وحالتهم فالنصر كان في
الغالب معقودا بلوائكم وجزيرة سيسيليا ما خلا مدينتين منها هي ملك لكم
وسفنكم العديدة تخرب البحار وتلقي الرعب في قلوب من ناواكم وان أمركم لمطاع
حيثما تملكون وحلفاءكم يتبارون في خدمتكم متفاخرين اما قرطجنة فقد نفذ
مالها ولا نا من حلفاءها كثيرا واذا نظرتم الى جيوشكم ترونها مؤلفة من
رجال امة واحدة تربطها عرى المحبة والوطنية اما جيوش قرطجنة فمؤلفة من
رجال غرباء قد تجندوا طمعا في المال وبناء عليهم لا وافقكم البتة في مهادنة
اعدائنا ولا اري مبادلتم الاسراء رأيا سديدا لانه يوجد عندكم في الاسر
ثلاثة عشر قائدا فتيا قادرون على محاربتكم متى سنحت الفرصة أما هم فلم
ياسروا قائدا غيري وانني الان قد شخت فلانا ملوا مني نفعا والاسراء
القرطجنيون الباقون لاكثر جدا من اسرائنا فاذا بادلناهم نكون نحن
المخاسرين

فقرر المجلس ما ارناة هذا الشجع ورد رسل القرطجنيين خائنين
الاء انه سمح لرغولس ان يبقى في رومية اذا اراد لان يمينه فاسدة لكونه اكره
على حلفها اما هو فلم يبال او بالحري لم يرد ان يبالي بتوسلات اصدقائه
وينحيب امرأته واولاده بل رجع الى قرطجنة غير جاهل العذاب المعد له
هناك وهكذا آثر هذا البطل العظيم ان يتجرع الموت الزؤام على ان يحث
هيسنو ولما وصل الى قرطجنة وعلم القرطجنيون بما قال وفعل في رومية حكموا

عليه بعدايات تفشعر منها الابدان ثم امانوه صلباً
واهاج موت رغولس دواعي البغض والشحناء في قلوب الرومانيين
فثاروا على القرطجيين في الجهة الغربية من سيسيليا حرباً عواناً دامت
تسعة اعوام قُهروا فيها مراراً الا انهم انتصروا اخيراً على اعدائهم واستولوا
على مدينة ليلسيوم (الان مارسالا) وهي أحصن مدينة في تلك البلاد
وحطمو سفنهم الحربية سنة ٢٤١ ق . م بالقرب من جزر أغانس واكروههم
على طلب السلام فعقد الصلح سنة ٢٤٠ ق . م وبناء عليه تكون مدة الحرب
القرطجية الاولى اربعاً وعشرين سنة اما الشروط التي اتفقت عليها الامتان
فهي هذه

اولاً يجب على القرطجيين ان يخلو كل بلاد سيسيليا والبحر
المجاورة لها

ثانياً يلزمهم تسليم الاسراء الرومانيين بلا فداء
ثالثاً ينفدون الرومانيين بمدى عشر سنوات ثلثة آلاف زنة فضة
رابعاً لا يمكنهم محاربة الملك أبرون ولا احداً من حلفاء رومية ولا
يمكن الرومانيين ايضاً الاعتداء على حلفاء قرطجة
خامساً لا يمكن احد الفريقين المتعاهدين بناء حصن في اراضي
الآخر ولا تجهيز عسكر من البلاد الخاضعة له

سادساً لا يمكن احداً منها ايضاً ان يتحد مع حلفاء الآخر
وجعلت جزيرة سيسيليا ما عدا سيراكوزا ولاية رومانية اي انه يحكمها
وال روماني بغير في كل سنة وتكون خاضعة لقوانين وشرائع رومية وأرسل
اليها خازن لجباية المكوس التي فرضت على الاهلين وكانت هذه المكوس
على نوعين اما مفررة وهي مقدار معين من الدراهم ينفدونه للخزينة كل عام
نظير جزية وغير مفررة وهي عشور الفلال والرسوم المأخوذة على البضائع
الصادرة والواردة

الفصل الثاني

ان بجمل وطمع القرطبيين الذين اعتادوا تنصيل الدراهم على كل شيء في العالم أثارا عليهم فتنة كبرى وحرباً عواناً ذاقوا من هولها عذاب السعير وذلك انهم رفضوا نأدية اجرة الجنود التي استأجرها لمحاربة الرومانيين او بالحري ارادوا تخفيض تلك الاجرة غير عالمين ان دون ذلك خرط القنادل لانه كيف يمكن رجالاً غرباء قد اقدموا على سفك دماهم للانتصار لهم رغبة في المال يتصرفون عنهم بسلام اذا لم يتقدوا اجرهم المعينة بالنام واي انسان عادل يستحل صرف جنود قد خاطرت بحياتها في خدمته ولا يعطيها مكافاة على تلك الخدمات او من ياترى يستطيع ان يهنضم حقوق قوم لا يمكنه قتالهم ولقد ارتكب القرطبيون في هذا الامر غلطاً فادحاً بان سمحوا لاولئك الغرباء في الاجتماع خارج المدينة وبارسال اولادهم ونسائهم اليهم لانه كان أجدر بهم ان يفرقوهم ليضعفهم وان يقبضوا على اولادهم ونسائهم كرهائن لا كراهم على الطاعة والانقياد لا وامرهم وان تكن ظالمة ولما رأى هؤلاء الغرباء ما آل امرهم اليه هجموا على المدينة وحاربوها ونهض لمساعدتهم النوميديون (سكان جزائر الغرب) الذين ثاروا وقتئذ في طلب الحرية فدامت الحرب ثلث سنوات واربعة اشهر ولم تنته الا على يد أملاكار القائد القرطبي الذي احاط بالاعداء احاطة الاسورة بالمعاصم فنع القوات والامداد من الوصول اليهم فمات بعضهم جوعاً وبعضهم قتلًا وأسر الباقون وصلبوا ودعيت هذه الحرب الحرب غير المغفرة لسبب الفظائع التي جرت والفساوة البربرية التي أظهرها الفريقان المتحاربان ويلوح ان الرومانيين لم يفرحوا بضيق اهالي قرطجة من جراء هذه

الفننة ولم يسعوا في زيادة ضعف هذه المدينة الشهيرة ليعلموا بخرابها صرح
مجدهم بل حافظوا على شروط العهدة وساعدوها مراراً كاصدقاء وخلصوا
سبيل رجالها الذين اسروهم في الحرب السيسيلية وسحبوا للتجار الرومانيين
ان يمدوها بما يعوزها وقطعوا صلاتهم الحمية والتجارية مع اعدائها وحدث
ان شعب اتيكيا (اي شاطر) عصى القرطجيين وطلب تسليم المدينة الى
الرومانيين فرفض هؤلاء الاستيلاء عليها وكان العساكر المستأجرون في
جزيرة سردينيا قد ثاروا على الحكومة المحلية وارادوا ان يملكوها الرومانيين
فابوا ذلك مراعاة للعهدة وخوفاً من الخيانة على اننا اذا تأملنا في افعال
الرومانيين بعد هذا الحادثه نرى وراء ما اظهروه من الصداقة حكمة
واطماعاً لانهم نظروا الى قرطجنة نظرة عاقل بصير وعلموا ان هذه الدولة
العظيمة متوقفة نجاحها وخرابها على قائدها أملكار الفريد الذي لو سقط
في ايدي العصاة لاصبحت بلاده في موقف حرج والجهتها الاحوال الى
الخضوع لرومية فراراً من شرمحاربها الطعام فتربصوا قليلاً ليرى ما يكون
ويكتسبوا محبة القرطجيين باللفظ والاحسان اليهم الا أنه لما انتهى القتال
وخرجت قرطجنة منه ظافرة وعمدت الى استرجاع سردينيا زاحت رومية
برقع الصداقة وارسلت احد قنصلها ليستولي على الجزيرة المذكورة وبجارب
القرطجيين محجة انهم اخذون في الاستعداد لقنالها فنالت ما رغبت فيه
وتركت عدوتها حاقدة عليها ابداً ولم تنصرف عنها الا بعد ان اخذت منها
الفأ ومائتين زنة فضة قبل ان ذلك كان من اعظم الاسباب التي اثارت
الحرب القرطجية الثانية وولدت في قلب أنيبال بغض الرومانيين ورغبته
في الانتقام منهم

وكان ملك البلاد الابرية الواقعة الى الجهة الغربية من مكديونية
ولداً قاصراً فتولت امه تونيا الاحكام بالنيابة عنه وكانت هذه المرأة عاتية
جاهلة فلم تصرف همها في تحسين ادارة مملكتها بل جهدت في تعليم شعبها

السرقه وكانت مراكبها تجول في البحر لتعتدي على المسافرين وتنهب ما يمكنها
 نهبه فاغناظ الرومانيون من هذه الافعال وارسلوا اليها سفيرين يسألانها
 نأديب القرصان ومنع رعاياها عن اجراء تلك الاعمال المنكرة فاجابتها
 انها سنبذل ما في وسعها لاجتناب الاضرار التي تلحق الرومانيين ولكنها لا
 نستطيع ان نحظر على قومها الجولان في البحار للكسب وطلب المعاش فقال
 لها احد السفيرين ان الرومانيين قد اعنادوا الانقام من اية امة كانت
 لذنب يقترفه بعض رجالها وسيحكم بحول الآلهة ان يؤدوا المعتدين وان
 يصلحوا هذا الخلل فحنفت الملكة من كلامه وامرت بذج الرسولين عند
 رجوعها الى الاوطان ولما بلغ رومية خبر قتلها هاج الشعب هيجاناً عظيماً
 وجهز المجلس مائتي سفينة حربية وعشرين الف جندي لمحاربة الايلريين
 وخرب السواحل اليونانية فسار القنصلان بالمراكب والحجش واحتلوا مدينة
 كبيرة اسمها ابولونيا وهي مفتاح البلاد الايلرية من جهة مكيدونية ثم قدما
 وافتتحا عدة مدن اخرى بعد ما قبضا على القرصان وادبوا المعتدين سنة ٢٢٨ ق
 م. واربما صلحا مع الملكة بشروط منها انها تنقد الرومانيين جزية
 معلومة في كل سنة وانها تسلم اليهم كل البلاد ما خلا بعض مدن تنقي للملك
 القاصر الذي اقيم وصياً عليه القائد ديمتريوس من جزيرة فاروس في بحر
 الادرياتيكي

وكانت رومية منهمكة بعد ذلك في محاربة الغاليين كما ستعلم فظن
 ديمتريوس ان الاوان قد آن للخلع نير هذه الامة وتوسيع نطاق المملكة
 فنقض العهود واعندى على حلفاء الرومانيين وجهز سفناً ارسلها لغزو
 جزائر الارخبيل وحصن مدينة ديمالوم في ايليريا وجمع جنوداً عديدة في
 جزيرة فاروس فحاربة القنصلان ليفيوس واميليوس سنة ٢١٨ ق م واستوليا
 على ديمالوم بعد حصار سبعة ايام ثم قدما الى فاروس وافتتحاها بحيلة فخنضعت
 لها جميع البلاد الا انها لم يضيفها الى املاك الجمهورية شفقة على الملك

الفاصر لان ما حدث اولاً وثانياً كان ناتجاً عن اطاع وجهل وصيه
وقبل انتهاء الحرب الابلرية الاولى سنة ٢٢٦ اخذ الغاليون الفاطنون
بالقرب من نهر بويتقدمون الى اراضي الجمهورية فجزع الرومانيون من
هولاء الاقوام الذين خربوا بلادهم سابقاً وكادوا يجعلونهم في عداد الامم
البائدة وكان الشعب يزعم في ذلك الحين ان الغاليين واليونانيين سيستولون
يوماً على رومية كما انأت بذلك السحرة فاعلن الكهنة ان النبوة تم بدفن
رجل وامرأة غاليين ورجل وامرأة يونانيين احياء في شوارع المدينة
فعل الجمهور هذا الفعل البربري الشنيع واطمان لظنهم ان الغاليين
اليونانيين قد افتتحوا بهذا الامر حقيقة اراضي رومية كما اشارت كتب
المشعوذين فتمت النبوة التي كان يخشاها ولم يمسه ضرر البتة فلا ريب ان
الجهل دأب عصاال وسم قاتل للانسان يستعبده لسلطان الخرافات ويقوده
بسلاسل الاوهام

وجهر الفصلان سنة ٢٢٥ ق.م عساكر وفرساناً من الرومانيين
والامم الخاضعة لهم ونقدما لمحاربة الغاليين فلقياهم عند راس تلامون على
بعد ثلاثة ايام من رومية فشبه القتال وكان مهولاً اما الجنود الرومانية
فاستظفرت أخيراً على اعدائها لسبب نظامها المتقن وسلاحها الماضي
وقتل منهم اربعين الف رجل واستولى الرومانيون على جميع البلاد
الواقعة الى جهة الغربية من بوثم عبروا هذا النهر واحتلوا مدينة ميلان
عاصمة الاسبريين سنة ٢٢٢ ق.م وفي سنة ٢٢٢ ق.م غلب الفصل
مارساوس الغاليين انقاطنين جبال الالب فامتدت سلطة الجمهورية على
جميع ايطاليا الشمالية

المفصل الثالث

في الحرب القرطاجنية الثانية

او حرب انيبال

قد مرت الان على قرطجة مدة اثنين وعشرين عاماً بعد خضوعها
 لاحكام الجمهورية الرومانية ونوقيعها على اثر الحرب الاولى عهدة سلبت
 حقوقها واذلتها بين الملا فاورثها ذلك حقداً لا يربله سوى الانتقام وولد
 في قلبها داء لا دواء له الا سفك دم عدونها القادرة ونفويض صرح مجدها
 الشاهق وكان فائدها اميلكار الشهير يود دوام الحرب ليخوض عجاج
 القتال وبشر بكاس المات او يرجع غائماً ظافراً غير انه حال دون بغيته
 احوال الجأنة الى الاذعان لينفذ جنوده من الهلاك فرشح لاحكام الغالبين
 وعاد الى وطنه لاهجاً باخذ النار وفاكراً بالوسائل اللازمة للنجاح وعلم ان
 هذا الامر لا يتم الا بتقوية شوكة القرطاجيين فسعى في الاستيلاء على اسبانيا
 وهي بلاد كثيرة المعادن ومحصنة جداً ففتح قسماً منها ونظم من اهلها جيوشاً
 يمكنها لقاء الايطاليين في ساحات الحرب والطعان وما يدلنا على بغض
 اميلكار الشديد للرومانيين وارتياحه للانتقام منهم هو انه قبل ذهابه
 لاسبانيا ذبح ذبيحة لجوبيتر وخلا مع ابنه أنيبال الذي كان عمره وقتئذ
 تسع سنوات وقال له انه يرغب ان يستصحبه في هذه الحملة فسر الولد
 جداً وطلب اليه بالحاح الا يحول عن هذا الوعد ثم قاد اميلكار ابنه الى
 المنبج ووضع يده عليه وحلفه ان يبغض الرومانيين ويجهد في اخذ النار
 مادام حياً

ومات اميلكار باسبانيا سنة ٢٢٩ ق. م وخلفه في قيادة الجيش اسدر بال

امير المراكب البحرية فمدّ هذا القائد الحكيم سلطة القرطبيين في تلك البلاد وبنى مدينة قرطجنة الجديدة التي جعلها لسبب مركزها الحسن محلاً لاذخار السلاح والمهمات الحربية وموطناً للجيوش الصادرة من افريقيا الواردة اليها

وهج تقدم القائد القرطجي في صدور الرومانيين عوامل الخوف والحسد الا انهم لم يبدوا حراكاً لاشتغالهم بمقاتلة الغاليين فارسلموا اليه سفراً يتملقونه ليجملوه على عقد عهدة معهم يحضرون بها عليه شن الغارة على الشعوب الفاطنة وراء الايبرس (الان نهر الأورو) وما ذاك الا سبب يتذرعون به لمقاتلة القرطبيين فيما بعد لان رفض اسدر بال اجابة طلبهم او اجائنة طلبهم ونفضة العهد يكون عذراً كافياً لاثارة الفتن وشوب نار حرب عظيمة ولم يكن اسدر بال اقل عداوة لهم من اميلكار ولكنه رأى بعد الحدود التي عينوها فلم يجد مانعاً من معاهدتهم ليخلو له الجو ويتمكن من توطيد سلطته هاك على ان هذه العهدة قد اشتهرت اسم الرومانيين في ذلك القطر ومهدت لهم سبل نكابة اعدائهم لان الاسبانيين علموا بها علم اليقين ان الجمهورية الافريقية التي تحاربهم حراً عولاً لتستولي على بلادهم تخشى قوة وناس شعب آخر قادر فاستجار بعضهم به وسعى في محالفتوه وفي سنة ٢٢١ ق م قتل اسدر بال رجل عالي فخلفه في الرئاسة وقيادة الجيش أنيبال بن اميلكار البطل الشهير

ولما استتب الامر لانيبال واصبح الأمر النهائي تقدم لمحاربة اولسكديين فظفر بهم ثم جمع الاسلاب وسار الى مدينة قرطجنة الجديدة حيث صرف فصل الشتاء في التمرينات الحربية وتدريب المجنود والانعام عليهم فاجبة الجميع واراد كل القتال تحت رايته والخضوع لاوامره بطاعة عمياء ولو اذافه ذلك الخضوع عذاباً بالاً وجرعة كاس الحمام . ولم يزل أنيبال مغالباً غالباً حتى أخضع كل البلاد الواقعة وراء نهر ايبرس وهم بالاعداء على

بعض الشعوب المحالفة رومية كالساغونتيين الساكنين في الجهة الجنوبية من النهر فارسل اليه الرومانيون سفراء يذكرونه بالعهد الذي وقعها اسدربال ثلثا بقاتل احداً من حلفائهم او يعبر النهر فلم يكثرث أنيبال لهم ولم يبال بتهديداتهم واجابهم قائلاً ان الفتنة التي حدثت قبلاً في ساغونتوم لم يفصلها الرومانيون بانصاف بل قتلوا بعض الروساء ظلماً وبناءً عليه اعلن انه يريد ان ينتصر للمظلومين ويعاقب الظالمين ثم صرف السفراء فذهبوا الى قرطجنة ولم يفوزوا من مجلسها بطائل

وكان أنيبال باذلاً جهده في الاستيلاء على ساغونتوم لان خضوع هذه المدينة له يضعف امل الرومانيين بالنجاح في محاربة القرطجيين بالديار الاسبانية ويزيد خوف سكان تلك البلاد منه فيامن شرهم ويستطيع مداومة الحرب وشن الغارات غير مبال باحد فتقدم بجيوشه وحاصرها ثمانية اشهر وافتتحها عنوة وقتل اهلها بحد السيف وترك العبيد والامتنعة التي فيها غنيمة لعساكره اما الاموال والاشياء الثمينة فجمعها واتخذها عدة لحوادث الدهر

وبلغ رومية خبر خراب هذه المدينة العظيمة فهاج الشعب وحرث حزناً شديداً واخذ في الاستعداد للقتال كأن الحرب على الابواب فجهر الفصل سمبر ونيوس عشرين الف راجل والنين ومائة فارس وعول على الذهاب الى سيسيليا ومنها الى افريقية لمحاربة اعداء الرومانيين في بلادهم وجهر الفصل كورنيليوس سيبو اربعة عشر الف راجل والفا وستائة فارس وهم بالتقدم الى حدود اسبانيا ليحارب أنيبال ويمنع من الدخول الى ايطاليا

ولسنا ننكر على الرومانيين خوفهم من هذه الحرب كما يدل على ذلك استعدادهم وتجهيزاتهم لان القرطجيين قد قويت شوكتهم بعد الذل والفشل وحازوا نصرات كثيرة وفخول مدائن عديدة وزادت جيوشهم تجند الاسبانيين

الشجعان ولم يكن للجمهورية الرومانية قائد كانيبال خير بضروب القتال
وعلم بالفنون الحربية والخداع صبور على معظم الخطب لا يبالي بالاهوال
والمات قد نشأ في ساحات الوغى وشاهد معامع نشيب الاطفال فشب
بطلاً مغواراً وفارساً جسوراً لا يجارى في مضمار النصر والفخار وكانت
جيوشه مثلاً للشجاعة والافئاد تحسب الظفر معقوداً بلولاً قائدها فتقدم
على القتال بوجه طلق وقلب لا يعرف الجزع وتعود منه بالنفوز والمنى

وقبل ان يجاهر الرومانيون بالعدوان ارسلوا سفراء الى قرطجة يسألون
مجلسها تسليم أنيبال واعوانه اليهم وامروهم باشهار الحرب ان ابى القرطجيون
اجابتهم الى ما طلبوه فاتي هولاء الرسل عاصمة الجمهورية الافريقية وعرضوا
للمجلس ما يستغنون فاستغرب القرطجيون طلبهم وانكروا عليهم تلك الحقوق
فرفع فايوس رئيس السفراء توتة وقال لهم قد اتيناكم طي هذا الثوب
بالسلام والقتال فاخثاروا منها ما نشاءون اجابوه جميعاً اننا بما تخنار
راضون قال اني اطلب الحرب فكونوا لها مستعدين

وذهب السفراء بعد ذلك الى اسبانيا ليحالفوا امراء الولايات الواقعة
الى الجهة الشمالية من نهر الابرس اوليغروم بان لا يساعدوا القرطجيين
فعاهدوا بعضاً منهم اما الباقيون فاجابوه قائلين كيف يمكننا محالفتكم وقد
رأينا ما حل بالناسغونتين الذين خنتهم باهالكم ايام وان ما جرى لهم
سيكون لا محالة انذاراً الساكني هذه الديار الا يصادقكم ولا يغتروا بما
نعدون فارتدوا من تلك الانحاء خائبين وذهبوا الى غاليا وسالوا رؤساءها
الا يدعوا القرطجيين يمدون في بلادهم ليدخلوا اراضي ايطاليا فسخروا منهم
واستغروا لانه كيف يدعون ديارهم عرضة للخراب وساحة للقتال ليصنوا
بلاداً ناس غرباء وما زال السفراء الرومانيون يتنقلون من مكان الى
آخرهم لا ينالون سوى الخيبة والفشل حتى وصلوا مرسيليا وعلموا هناك
ان أنيبال قد حاله الغاليون وغيرهم بالذهب الزنان فرجعوا حيث ذكروا الى

رومية مزودين بهذه الاخبار المذكورة

وكان أنيبال في هذه الاثناء مشغولاً باصلاح احوال البلاد وتديير ما يلزم لينال فوزاً مبنياً على العدى فسمح لعساكره الاسبانية ان تذهب الى منازلها وتقضي فصل الشتاء بالتنزه والسرور وان ترجع اليو في ابتداء الربيع وارسل الى افريقية لحمايتها جنوداً اسبانية واحضر الى اسبانيا جنوداً افريقية لاستنباب السلام فيها ومنع الاهلين من العصيان واقام اخاه اسدربال قائداً لهذه الجيوش والياً مدة غيابيه

وفي ابتداء الربيع من سنة ٢١٧ ق م جمع أنيبال جيوشاً جرارة وزحف بها من قرطجة الجديدة الى نهر الايبيرس فعبه وأخضع بعد معامع كثيرة الشعوب الساكنة بين النهر و جبال اليرينه ثم اجناز هذه الجبال ودخل غالبا فاراد بعض الغاليين مقاتلته فصادقهم بالهدايا والاموال وما زال سائراً بسلام وأمان حتى وصل الى ضفت نهر الرون فابتاع من سكان الضفة الغربية قوارب عديدة لنقل المهات والجنود اما اهالي الجهة الاخرى فنجعوا واستعدوا للقتال ليمنعوه من دخول بلادهم فصرف ثلثة ايام في محاربتهم ونقلهم ليصادقوه غير ان اجتهاده في هذا الامر ذهب ادراج الرياح فارسل اخيراً احد فواده سرّاً بفرقة من العساكر وامره ان يعبر النهر من مكان لا يراه منه الغاليون ففعل وهجم على خيام الاعداء وحرقها وابصر هولاء الخطر المحيط بهم من كل جانب فولوا منهزمين الى قراهم والساكر

ولما بلغ الرومانيون ان أنيبال قد عبر نهر الايبيرس ركب القنصل كورنيليوس سيبو البحر واحتل مع جنوده مدينة مرسيليا فأخبر هناك ان القائد القرطجي قد اجناز جبال اليرينه فزحف اذ ذاك الى مصب الرون واقام ينتظر اعداءه في تلك الناحية وارسل ثلثائة فارس ليتجسسوا الاخبار فلقيت هذه السرية خمسمائة فارس نويميدي بعث بهم انيبال ليستطلعوا احوال

العدى فنشبت الحرب بين الفريقين وكانت علواناً وانتصر الرومانيون في ذلك النهار وكسروا اقرانهم ولحقوا بهم الى معسكرهم فراوا راى العين ما كانوا راغبين في معرفته ورجعوا الى الفئصل واخبروه بكل ما نظروا وسمعوا وحينما وصل المنهزمون الى أنيبال واعلموه ما حدث امر هذا القائد جنوده بالرحيل حالاً لانه لم يرد مقاتلة الرومانيين خارج ايطاليا فمضى شمالاً ووصل بعد مسير اربعة ايام الى ارض اسمها الجزيرة لان نهر الرون ونهراً آخر بصان فيو يحيطان بها من جهتين ويجعلانها تشبه وادي النيل ولا فرق بينها الا ان هذه يحدها من الجهة الثالثة جبال شامخة وحدود تلك البحر . ووجد أنيبال هناك اخوين يتنازعا الملك فاسعف احدهما وملكه على البلاد ولا يخفى ما في علمه هذا من الحكمة والفائدة لان الملك الغالي الجديد شكره على احسانه اليه وقدم له زاداً وسلاحاً وثياباً ورافقه رجاله الى المكان الذي اراد ان يرتقي جبال الالب منه

أما ما كان من سيميو القائد الروماني فحين رجوع السرية وعلمه بالمكان الذي عسكر فيه الفرطنجيون أنزل عساكره من السفن واسرع للقاءهم غير انه لم يصل الى هناك الا بعد رحيل أنيبال ورجاله بثلاثة ايام فعاد الى مراكبه وامر اخاه كنيوس بالذهاب مع قسم عظيم من الجنود لاثارة الحرب في الديار الاسبانية وقفل هو راجعاً الى ايطاليا ومرّ في بلاد أتروريا ليقاتل الاعداء عند سنج جبال الالب

وابصر الجليليون الفرطنجيين يرتقون الهضاب فتجمعوا في الاماكن العالية الوعرة واستعدوا للقاءهم بالسيف والرمح ورمهم عن بعد بالسهم والحجارة فقتل أنيبال وترى قليلاً ليرى ما يكون فاخبره الادلاء الغاليون ان هؤلاء الاقوام لا يبيتون في مراكزهم هذه بل يغادرونها ليلاً ويذهبون الى مدينة قريبة . ففرح الفرطنجي ولاحت له اوجه المنى ولما ادلم الظلام نهض بفرقة من الجنود واسرع بالصعود الى قم تلك الجبال وتحصن فيها آمناً وعند

الصباح عاد اولئك البرابرة جرياً على عادتهم فنظروهم معسكراً ومناً هباً
للكفاح فذهلوا وانكفوا راجعين ليفتكوا بالباقيين الذين كانوا وقتئذٍ
سائرين بالمضيقي فجهلوا عليهم كالضراغم وقتلوا منهم اناساً كثيرين لان
خيلهم كانت متى جفلت او جرحت تثير فتدفع من تصادفها في المهاوي التي
على جانب الطريق وبظر ذلك أنيبال فانقض على الجلبيلين انقضا
الصواعق وفتك بهم فتكاً ذريعاً ولم ينج منهم سوى نرر امكنة الفرار فافلت
من الموت الرقام ثم سار الى مدينتهم واستولى عليها عنوة واسترد الخيول
والبهائم التي سلبوها اياها واخذ حنطة واغناماً تكفي جيشه يومين او ثلاثة

وما زال الفرطنجيون سائرين بين الروابي والاكمام مدة ثلاثة ايام الى
ان وصلوا الى مكان صمم سكانه على الفتك بهم اغتيالاً طعماً بالغنيمة فانهم
حاملين اغصان الزيتون دليل السلام وقالوا لهم ادا عالمون بقوتكم وسالتكم
وجئنا اليكم طالبين الامان فصدق أنيبال كلامهم واخذ منهم ادلاء ليفودوا
جنوده في تلك المسالك العسرة فشئ اولئك الادلاء امام الجند حتى وصلوا
الى وادٍ عميق تكثفه الصخور والشعاب من كل جانب فارتدوا على العساكر
وظهرت ارفاقهم بغتة واحاطوا بالفرطنجيين احاطة الاسورة بالمعاصم فقاتل
أنيبال ورجاله في ذلك اليوم قتالاً لا يقي ولا يذرفد الاعداء ومكن جيشه
من العبور وبعد بضعة ايام وصل الى قم حبال الالب ومكث هناك يومين
لاراحة الجنود الذين اضعفهم التعب ثم جمعهم وقال لهم ايها الابطال انظروا
الى هذه الاقطار الواسعة والمخسة واعلموا ان سكانها الغاليين هم اصدقاؤنا
ويودون الانتصار لنا . قد ذللنا بهمتنا المصاعب ونسورنا بارقاء هذه الجبال
الشائخة اسوار ابطاليا لابل اسوار رومية نفسها واننا بعد معبدة واحدة او
معمتين سنستولي على عاصمة ابطاليا وما تحوي

وبعد اتعاب كثيرة واخطار مهولة قدر الفرطنجيون على النزول من
تلك الجبال الى السهول المجاورة بلاد انسبريا وكان عدد جيوش انيبال

حيما عبر نهر الرون ثمانية وثلاثين الف راجل وثمانية آلاف فارس ما خلا
 الغاليين وغيرهم الذين حاربوه ونفطوا لاعتوا انتقاماً من اهل رومية
 وذاع امر دخول انيبال البلاد الابطالية بسرعة عظيمة كان ذلك
 الخبر المحيف قد نقل الى الرومانيين على اجنحة الرياح العواصف او على متن
 البروق الخواطف فوقفوا ذاهلين حائرين ولقد استعظموا هذا الخطب
 وحق لهم ان يستعظموه فارسلوا على الفور رسلاً يدعون القنصل سمبرونيوس
 الى العود حالاً من جزيرة سيسيليا فلبى هذا القائد دعوة الداعين واقبل
 مسرعاً لحماية وطنه وانقاذه من ايدي اعدائه الباسلين

وكان القنصل سيبو قد رجع من مرسليليا كما ذكرنا لقتال القرطاجيين
 بالقرب من جبال الالب اذا اجتازوها وارادوا الدخول الى البلاد
 الابطالية فالتقى الفريقان عند نهر تيسينوس (الان تيسينو وهو نهر يصب في
 البو بالقرب من مدينة بافيا في لومارديا) وقبل انتشاب القتال اخذ كل
 قائد يشجع جيشه بالكلام والخطب الحماسية ويستنهض همة بذكر حروب
 ونصراؤه السابقة قيل ان انيبال وعد عساكره ان يعطي كلاً منهم اموالاً
 واراضي في افريقيا واسبانيا او ابطاليا واخذ حجراً وخرقاً ورفع عينيه الى
 السماء وقال يا جونتير العظيم ويا ايها الالهة اقتلوني كما اقتل هذا الخروف
 اذا لم اوف ما وعدت به ثم شج راس الخروف بالبحر الذي يده فشجعت
 رجالة وشطت للكر والكنفاح

وحدث ان سيبو نهض بفرسانه وبعض المشاة ليعول في تلك الانحاء
 ويستطلع احوال الاعداء فلقية انيبال الذي خرج لمثل هذه الغاية فحملت
 حينئذ الابطال على الابطال واشتد القتال واظهر القائد الروماني في هذه
 المعركة من الشجاعة والتدبير ما يشهد له بالفروسة والذكاء غير انه جرح
 جرحاً بليغاً فسقط على الارض وكاد يمضي لسيلولة ابنه الشجاع الذي
 بادرا اليه وخلصه من برائن الموت ولم يستطع الرومانيون الثبات لديه

اعدائهم في ذلك النهار بل ولولا منهزمين يطلبون النجاة
ورحل سيبو من ذلك المكان تحت حجب الظلام فعبهر نهر البو واتى
وعسكر بالقرب من مدينة بلاشتر يا (الان ييا نشتر يا) وعلم ذلك القرطجيون
فلحقوا به وارادوا قتاله فاجتنب القنصل القتال ما امكن واسرع بالذهاب
الى نهر تريبيا والتحصن ورآه منظرًا ووصول رفيقه سمبرونيوس ومعالجًا
جراحه ليشفى ويستطيع خوض عجاج الحرب ومنازلة الفرسان واتى انيبال
وعسكر تجاه الرومانيين على بعد خمسة اميال منهم فنادر الغاليون لاعتاقه
ونقدم ما يحتاج اليه من السلاح والقوت

ووصل في هذا الحين سمبرونيوس وجنوده الى نهر تريبيا واخذوا في
الاستعداد للكر والكفاح فاحبوا بقدمهم روح الشجاعة والاقدام في قلوب
اصحابهم المعسكرين هناك وكان سمبرونيوس حديد الطبع فخورًا فاراد قتال
الاعداء حالاً فنصح له سيبو الا يفعل ذلك وان بصرف همه في تمرين
الجوش وتعليمهم اثناء فصل الشتاء وان يجتنب المعامع العظيمة ما امكن فلم
ينتصح هذا القائد بكلام رفيقه الخبير بل حارب القرطجيين وانكسر كسرة
مشومة اهلكت قسماً من عساكره وشنت الناقين اما سيبو فنفض رجاله
ولجئ الى مدينة بلاشتر يا

وبلغت الرومانيين هذه الاخبار المكدرة فذهلوا وزاد خوفهم من
انيبال وامر المجلس في الحال بجمع جنود جديدة من الوطنيين والحلفاء
وارسل عساكر الى سبيليا وسردينيا وترتوم ليقبها من اعداء القرطجيين
وبعث بقوت ومهمات الى بلاد ارمينيوم واروريا وجهز ستين سفينة حربية
كبيرة لصيانة السواحل الايطالية ومنع الاعداء من الهجوم على البلاد بجزراً
وبالجمل لم يهمل شيئاً رآه ضرورياً للمداومة الحرب بقوة وثبات

اما الجنود الرومانية في اسبابها فكانت منتصرة انتصاراً عظيماً لانها
استظهرت على أنو القائد القرطجي واخضعت أكثر الشعوب القاطنة بين

نهر ايريس وجبال اليرينه

واحضر أنيبال الاسراء الذين اخذهم من الامم المحالفة الرومانيين وقال لهم انه لم يأت ايطاليا ليحاربهم بل ليسعفهم على استرجاع حريتهم واسفلاتهم القديم وحرصهم ان ينتصروا له ويخبروا بذلك مواطنهم وصرفهم بلا فداء ثم زحف بجنوده واجناز جبال الالبيين ودخل بلاد اتروريا من طريق رديئة جدا بين الوسول والمستنقعات فاضر ذلك العساكر واهلك بعضاً منهم لكثرة الرطوبة والانعاب وطول السهاد حتي ان أنيبال ذاته فقد احدى عينيه

وكان فلامينيوس القنصل الذي انتخبه الرومانيون سنة ٢١٦ ق م أكثر من سميرونيوس خيلاً وجهلاً فاغتر بجذاع انيبال الذي علم طبع ومعرفة خصمه فاراد ان يقوده الى مكان يسهل فيه للفرطجيين الانتصار فزحف بعساكره واخذ يحرب حقول اتروريا المحصنة فهاج ذلك فلامينيوس وعقد مجلساً حربياً للاتئام فاشار عليه القواد ان يبني في معسكره الى حين وصول رفيقه وان يرسل شرمات فقط لمنع الاعداء من ائتلاف الغلال وتخريب الحقول فخرج من المجلس حانقاً غضوباً وامر الجنود بالرحيل فاغتم القواد من فعله وخشوا عاقبة الطيش والجهل وكان انيبال ماشياً الى رومية على جانب بحيرة نرازمينوس (الان لاغودي بروجيا) حينما بلغه ان القنصل متأثره فاني وادياً يمد من البحيرة المشار اليها الى هضبة وعرة تكتنفها الروابي والاكمام فرتب جيوشه على هذه الجبال واقام كامناً ينتظر الرومانيين فاني القنصل باكراً في اليوم الثاني وولج الوادي وكانت ضباباً كثيفة منتشرة اذ ذاك فوق تلك الارحاء فلم ينظر الرومانيون اعداءهم الذين هجموا عليهم من كل جهة هجمة الاسد الرئبال وقتلوا منهم خمسة عشر الفا من جملتهم القنصل فلامينيوس وسقط كثيرون في البحيرة وماتوا غرقاً ولم ينج من ذلك الجيش المجرار سوى سنة آلاف راجل خرقوا صفوف الفرطجيين وزحفوا الى

قمة رابية وابصروا منها لما انشعبت السحب والضباب اصحابهم مجدلين على
الصصححان رزقاً لوحوش الفلا وطيور السماء ونظرهم انيبال فارسل اليهم
احد قواده ليحاربهم فاستسلموا له ونبعوه وهم مكبلون بالسلاسل والقيود
وعلم الشعب الروماني ما اصاب القنصل والمجنود فهرع الى الفورم
بسأل المحكام عن جليلة الامر فنهض احد القضاة واجابة بهذه الكلمات قد
غلبننا في معمة عظيمة ولقد زاد هذا المصاب مصاباً خبرانا ان القنصل
سرفيلوس سمع باقدام فلامينيوس على محاربة انيبال فامده باربعة آلاف
فارس وصلوا بعد انتهاء المعمة التي مر ذكرها فارسل القائد القرطجي
ماهر بال احد اعوانه لمحاربتهم فقتل منهم الفين واسر الباقين
ورأى المجلس ضرورة اقامة رئيس ذي سلطة مطلقة وحيث ان القنصل
وحده له الحق بتعيين ديكتاتور وكان القنصل وقتئذ غائباً أقام الشعب
فايوس ماكسيموس حاكماً مطلقاً ودعاه بروديكتاتوراً وكان فايوس هذا
رجلاً هادئاً متأنياً في جميع الامور فاصحح حصون المدينة وهدم الجسور
وارسل بأمر سكان البلاد التي ظن انيبال يربها ان يحرقوا منازلهم ويتلفوا
اثمار اراضيهم ويقبوا في الاماكن المحصنة. ثم جمع جيشاً جديداً اضاف اليه
جنود القنصل سرفيلوس الذي بعثه الى اوسنيا ليجهز سفناً ويتولى قيادة
المراكب الحربية وحراسة السواحل الايطالية من القرطجيين ومشي فايوس
بعد ذلك الفاء انيبال وكان لا يقدم على عمل قبل الاثمار والتروية ولا
يسلك طريقاً قبل فحصها ومعرفة ما تحوي

وما زال انيبال سائراً في البلاد يخرب ما يراه ويقتل من يصادفه
من الرومانيين حتى لقي فايوس في ابوليا معسكراً على رابية بالقرب من
مدينة أنشي فزحف اليه ليقاّله فلم يبد الروديكتاتور حراكاً وبقي في معسكره
غير مبالي بكلام القائد القرطجي الذي قفل من ذلك المكان يشتم الرومانيين
وينهمهم بالخبث والحمول وكان فايوس يتأثر القرطجيين عن بعد ويرسل

اليهم شروعات توقع بهم متى سخطت الفرصة ولا يخفى ان هذه هي الطريقة
 الوحيدة لاهلاك ابيال ورجالهم لانهم في ارض غريبة يعوزهم بها كل شيء
 واذا مات احدهم لا يمكنهم تعوضه بسهولة لبعدهم الاوطان وانقطاع الصلات
 وبعد ان غزا القرطاجيون سامنيوم زحفوا الى كامانيا (الان تيرا دي
 لافورو) وهي بلاد جميلة جداً بقل نظيرها في الدنيا فدخلوها وعسكروا
 عند نهر فولترنوس (الان نهر فولترنو) فذهل فايوس من جسامتهم واتي
 واحمل راية تجاههم ونظر الرومانيون اعداءهم يجمعون الغلال والاثار في
 تلك الحقول المخصبة فحتموا وشجروا من صر رئيسهم وتمنعوا عن القتال وظنوا
 فطة هذا ناتجاً عن ضعف وجبانة فقال له بعضهم لعلنا اتينا هذا المكان
 لنشاهد بامان خراب ايطاليا اولئك رأيت الارض لا تصلح لذلك فوددت
 ان تضرب خيامك في الجحور وتلتحف بالسحب أجابهم فايوس انني لا اخشى
 عاراً في عمل ما يؤول الى صيانة بلادنا وان الانسان الذي يخاف عدل
 الجاهلين ويخضع لاهولاء من هم ادنى منه ليس اهلاً لان يتسلط على الناس
 وفي هذا القائد الحكيم متبعاً لما في والحذر غير مبال بل جيشه ولوم الشعب
 ولما قرب فصل الشتاء اراد ابيال الخروج من كامانيا من مضيق
 لا يبعد عن كليكولا حيث كان الرومانيون معسكرين فارسل فايوس اربعة
 آلاف رجل يخلون المضيق وفرقة الى مدينة كاسيلينيوم الواقعة على ضفة
 نهر فولترنوس واقام هومع الجنود الناقية على قمة الراية فاصبح القرطاجيون
 كأنهم محصورون فاتي ابيال بالني ثور وربط بقرونها خطباً يابساً وفي اول
 الليل أطلق الثيران بالقرب من المضيق وامر الرعاة ان يشعلوا الحطب
 ويسوقوا هذه البهائم ان امكن الى قمة الراية واتع الرعاة فرقة من الفرسان
 ونظر الرومانيون المخلون المضيق الانوار وسمعوا الجلبة فظنوا ان القرطاجيين
 قد اجنازوا المجل من تلك الناحية فتركوا مراكزهم بسرعة وذهبوا كما زعموا
 لقتالهم ولما دنوا من الثيران وابصروها هائجة ورؤوسها مشتعلة ذهلوا وخافوا

خوفاً شديداً اما فاييوس فعلم ان هذه حيلة او شرك نصبه له الاعداء فبقى
في مركزه صابراً ليرى ما يكون وفي اثناء ذلك عبر انيبال وجيوشه المضيق
وخرج من كامبانيا سالماً

وحدث ان الشعب الروماني تكدر من سلوك فاييوس وحذره وظنه
خائناً فعين رفيقاً له رجلاً اسمه منيسوس كان لا يفر عن الطعن عليه
والسخر من حكمته ونأنيوه ولم يتفق القائدان لاختلافهما في المشارب والطباع
فعمدا الى قسم الجيش ليتولى كل منهما نصفه ولم يلبث منيسوس زمناً طويلاً
حتى نازل القرطجيين آملاً نيل الظفر وحرار الفخار فابتدر اليه انيبال
بجنوده وفرسانه وكسره كسرة مشومة وكاد يستقيبه وجنوده كاس الهلاك لولا
فاييوس الذي اسرع كالبرق لاعتاقه فجمع عساكره المشتتة وانقض على
القرطجيين فاجاهم الى الرجوع حكي ان انيبال قال لاعدائه في ذلك المحين
ألم انبئكم ان هذه السحابة المحائمة فوق رؤوس الجبال ستسقط فوقنا وإبلاً
منهملاً

وجمع منيسوس جنوده بعد ذلك وأعلن لهم خطاه وقال انه من
الواجب عليّ وعليكم ان تطيع فاييوس بكل ما يأمرهم قادم الى حضرة
البروديكتانور وصرح له بما يحتاج ضميره من حاسات الشكر له والثناء عليه
واستغنى من منصبه فتلقاء فاييوس بالبشاشة والاكرام وسرت الجنود جداً
حتى ان كل واحد كان يقبل رفيقه من شدة الفرح

وفي سنة ٢١٥ جهر المجلس الروماني جنوداً وفرساناً وإقام أميلوس
وفرو قنصلين الذين اسرعا للقاء أنيبال بالقرب من قرية كانت في ابوليا
وكان القنصل أميلوس رجلاً عاقلاً وفطناً قد اشتهر في الحروب التي
اثارها بالبلاد الابيرية فجمع العساكر وحرضهم على الشجاعة والثبات في القتال
معلنين ان فوز الاعداء بالوقائع الماضية كان ناتجاً عن اسباب جديدة بالاعتبار
اهمها عدم ترتيب الجنود الرومانية كما يجب وجهها قوة وبطش قائد شهير

كانيبال وإن الذين حاربوه في وقعة تريبيا كان التعب قد اعيام فلم
يستطيعوا الكفاح وإن في معمة ترازيمينوس قد حال بين الرومانيين
والفرطجيين ضباب كثيفة فلم ينظروا الخطر المحيط بهم بل كانوا كالباحث
عن حنفه بظلفه إلى أن قال قد تغيرت تلك الأحوال واصبحنا عالمين بقوة
وخداع عدونا الألد وأنني لا أعجب أيها الجنود كيف أمكننا الانتصار عليه
بالوقائع الصغيرة ونبأ من النجاح والظفر إذا كانت الحرب واسعة المجال
بخوض عجاجها جميع الفرسان والابطال وإلى نخاف جيوش العدى ونحن
أكثر منهم عددًا ونعلم علم اليقين أن صيانة بلادنا وشرفنا متوقف علينا
اليوم فلنصبر على الأهوال ولنبادر إلى الفرطجيين بقلب ناست لا يعرف
المجرع

وكان الفريقان معسكرين في فلاة واسعة الأطراف يمكن فرسان
أنيبال الأفريقيين المجولان بها وهؤلاء الفرسان كانوا حاذقين جدًا بركوب
الخيل وشبهين في الأزمنة القديمة بالشجاعة والحاسة فيشبهون العرب العرباء
في الكر والكفاح ولا غرو فانهم نظيرهم يسكنون البوادي والفنار ويعتادون
وهم صغار الفراسة وشن الغارات وعلم اميلوس صعوبة مركزه وما لديه
من الاخطار فاراد أن يخرج من تلك الطاح قبل أن تنفاجئه خيل
انيبال وتوقع بعساكره اما فروالذي كان متوليًا قيادة الجيش في ذلك
النهار فلم ينسبه إلى آراء رفيقه المحكيم بل زحف لقتال الفرطجيين وعاد
بالخسارة والفشل وحدث بعد ذلك أنه كان متوليًا أيضًا قيادة الجنود
فاغتر بمجداع أنيبال ونازله في مركز رديه جدًا لأن الشمس كانت فجاء
الرومانيين وكاست الرياح عاصفة تهب في وجوههم فتعني ابصارهم بالغبار
على أنهم قاتلوا قتال من استمات وشتول ثبات من لا يخاف الحمام ولم ينج
منهم سوى اربعائة فارس وثلاثة الاف راجل نشنتوا في البلاد واسر الفرطجيون
التي فارس وثمانية الاف راجل وقتلوا الباقيين الذين يبلغ عددهم كما قيل

نحو سبعين الف رجل اما خسارة أنيبال فكانت اربعة الاف غالي واسباني
والفا وخمسمائة افريقي ومائتي فارس

ترى بذل الشعب الروماني بعد هذه الواقعة العظيمة وبقر بسيادة
القرطجيين نعم انه بات خائفاً حائراً لان ذلك الجيش العرمرم الجرار الذي
خرّ صريعاً للجهل فائده الاحقر الخور قد هدم منه الاركان ولكنه لم يفقه
تلك الحماسة والشجاعة التي باضل بهما ام الارض فيفضلهم لدى حلول
الرزايا فاقبل لذلك على تخمين المدينة واتخاذ الوسائل الواقية بهمة ونشاط
آملاً ان يحوج بحصاره وفكته ما لحق به من الذل والعار فكان في يوم موسى
او مصلح احدى الممالك الحديثة الذي قال قد قهرنا عدونا ليعلمنا كيف
يقهره وعلى كل حال ان ما حدث كان كافياً ليظهر للشرقاء والعوام فضل
فايوس العاقل الذي قدر ان يعرف دهاء انيبال وبمعة الفوز والنجاح
من غير ان يتصدى لقتاله بمكان يخشى فيه خطراً

واقام الرومانيون في ذلك الحين ديكتاتوراً بويوس برا ليصلح الخل
ويكون وسيلة لاجتماع كلمة الشعب فبادر الجميع الى التجند بغيرة وحمية
مقدمين اختياراً للحكومة ما يلزمها من النفود

وزحف انيبال بعد انتصاره في كانه الى بلاد سامنيوم وقسم هناك
جيشه الى قسمين ولي قيادة قسم منه اخاه ماغو ومشى هو بالباقي الى مدينة
نابولي ليستولي عليها ويصبح قادراً على مراسلة القرطجيين بحراً على انه لم
يستطع محاصرتها لحصانتها فارتد عنها راجعاً واتى مدينة كانوا التي فتحت
له ابوابها وسرت بمحالفته وسبب هذا الامر ان شعبها وحاكمها كانا يبغضان
المجلس لاسباب سياسية اولان الجمهور يكره في الغالب الروساء وان
كانوا عادلين لم ياتوا امراً يستوجب البغض فسعى الحاكم في تسليم المدينة
الى أنيبال وجمع لذلك اعضاء المجلس بالهيكل وقال لهم قد حلف الشعب
بمنا ان يخضع لانيبال بعد ان يقتلكم جميعاً فرعبوا جداً وطلبوا اليه بالاحاح

ان يشفق عليهم وينقذهم من هذا البلاء فوعدهم بذلك وذهب وجمع قومه
واخبرهم ان اعضاء المجلس في قبضة يده الان وانه يمكنه ان يسلمهم اليهم
لينقلوا بهم ما يشاءون جزاء لهم على محازبتهم الرومانيين ثم قال لهم انه لما
كان لكل مجتمع بشري عوائد وامور اوجدتها الضرورة واثبتها الزمان
كان من الواجب ان ارادوا الفتك بهؤلاء ان ينتخبوا اعضاء اخرين
يخلفونهم في الرئاسة وتدير الاحوال فرضي الشعب ترك القدم على قدمه
وعنا عن اولئك النساء الاولى لا ذنب عليهم سوى صدقهم في خدمة
الوطن ومصادقهم اهل رومية اذ علموا علم اليقين ان لا راحة لهم ولا نجاح
الا بسلوهم هذا المسلك

اما الان وقد صبح المحاكم مطلق التسلط لخضوع الشعب والمجلس له
فخابر أنبيال وحالفة ثم فتح له ابواب المدينة فدخلها القرطجي بالعز والاكرام
ومخ الاهلين الحرية والاستقلال

وفي ذلك الاوان بعث أنبيال اخاه ماغو الى قرطجة ليخبر مجلسها
نصراته العظيمة على الشعب الروماني الذي راعت حروبه امم الارضين
وخفقت اعلام مجده فوق الروابي والبحار وبطلب اليوان يده بالرجال
والمال فعهد المجلس الى اعانتهم ولكنه لم يقدم على الامر بسرعة ونشاط كما
كان واجبا عليهم ان يفعل

وكان ماهر بال احد قواد الجيش القرطجي ينصح لانبيال ان يزحف
حالا الى رومية فابى هذا ان يتصحه فاجابه ذلك القائد انت نستطيع
الاتصار ولكنك تجهل طرق الانتفاع منه والحق يقال ان انبيال لو زحف
حالا الى رومية بعد وقعة كانه لاستولى عليها عنوة واخضع شعبها او جعله
في عداد الامم المائدة

وصرف انبيال فصل الشتاء في كابو والمدائن الاخرى التي حازتها
واخذ وجنوده في ارشاف كووس الصفو والانشراح كأن نصراته المتتابعة

وأعماله العظيمة قد انعبته فاراد الاستراحة في سبل الظفر فكان ذلك داعياً الى فوز الرومانيين الذين جدوا في الاستعداد لمحاربة عساكر قد ذلوا للملذات فنسوا شجاعته التي اكسبهم فخرًا اتخذوه صحف التاريخ ويبقى مثلاً يقندي بفرسان الارض وابطالها

وكان الترتيون يبغيضون الرومانيين وبرغبون في التخلص من ربة الخضوع لهم فخابروا انيبال بتسليم المدينة اليه بشرط ان يكونوا احراراً لا يدفعون جزية ولا يحنل ارضهم جيش قرطجني فرضي انيبال بما طلبوا ودخل المدينة بحيلة وقتل قسماً من العساكر الرومانية اما الباقيون فلحقوا مع قائدهم لفيوس الى القلعة وتمصنوا فيها فحفر القرطجنيون امام تلك القلعة خندقين وبنوا وراء كل خندق سوراً ليامن الترتيون شر العدى ويستطيعوا الدفاع متى رحل انيبال بمجيئهم

ولما كانت القلعة مبنية بالقرب من مدخل المرفأ اراد انيبال مع المدد من الوصول الى الرومانيين وفتح طريق البحر للترتيين فنقل السفن الكثيرة الموجودة في ميناء المدينة سرّاً على عجالات صنعت هذه الغاية وانزلها في البحر من ناحية اخرى فانت ورسد تجاه القلعة التي اصبحت محصورة من كل الجهات

وفي سنة ٢١١ ق م زحف القنصلان بالعساكر لمحاربة كاسوا والاستيلاء عليها فعلم ذلك انيبال واسرع كالبرق المناطف لاعانة الكابوين فحارب الرومانيين وهاجمهم سراراً ولكن بلا فائدة لانه لم يستطع خرق صفوفهم ليدخل المدينة التي اصبحت في ضيق عظيم من الحرب والجوع فارتد راجعاً وشى الى رومية ليحمل القنصلين على رفع الحصار وتأثره فلم يغتر الرومانيون بخداعهم بل بقول مشددين الحصار الى ان دخلوا المدينة قسراً او بخيانة الرعاع

وحدث انه لما خاب امل الكابوين من استطاعة الدفاع زمناً طويلاً

جمع فيوس فريوس احد زعماء العصاة اصحابه وابان لم بغض الرومانيين
 لم وحقد هم عليهم الى ان قال لانجاة لنا ايها الاصدقاء الا بالموت فما قد
 اعددت في منزلي وليمة فاخرة ادعوكم اليها لنستمتع من طيبات هذه الدنيا
 ونشرب بعدها رحيق الحمام من كأس يطوف علينا به احد السفاة فمن
 منكم قد انعبته الحيرة او مل منها فليتبني لان ميتة مجيدة تكسب الميت فخراً
 وتجعله اهلاً لاعتبار الاعداء والخلان فقبل دعوته سبعة وعشرون رجلاً
 قضا نحبهم جميعاً بتجمع سم زعاف اُدبر عليهم بكاس الراح كما تدار الصهباء
 بالا فراح فغادروا هوم الدنيا واحزانها وهم غارقون ببحار الملذات والسرور
 ولما دخل الرومانيون المدينة هدموا اسوارها ودكوا حصونها وقتلوا
 كثيرين من كبرائها الذين لم يتحروا ونهبوا سبعين زنة ذهب وثلاثة الاف
 ومائتي زنة فضة وحرملوا الاهلين امتيارهم القديمة ليظهروا للعالم ان شعب
 رومية كرم يعامل اصدقاءه ومحالفيه بالرفق والاحسان وحفود ينتقم
 من اعدائه ولا يصح عنهم ابداً ليوذّب الطاغين ويوطد اركان سلطنته في
 في البلاد الخاضعة له

واي البروقنصل فولبيوس رجل شجاع اسمه يوبليوس توربا بعد ما
 اصدر مجلس رومية امراً بكف القتل واعطاء الامان وكان البروقنصل
 قد تم بالانصراف فقال له مريقتلي يافولبيوس واختر ما دمت حياً بارداً
 بطل يعوقك بالشجاعة والبأس اجابه الروماني حبذا ما تطلب لولا اعطائي
 الامان فصرخ يوبليوس واسأله هل عشت الى الان لارى مواطني عبيداً
 وهل بعد ذبحي امرأتى واولادي لاصونهم من الاهانة والعار احرم لذة
 القتل ليمتزج دمي بدم اصدقائي ومواطني ولكن اذا رفض العدى قتلي
 فاني افوز براحتي بالاتحار قال هذا واستل مدينة طمن بها صدره وخر
 قتيلاً يخطب بدماه

وفي سنة ٢١٦ ق.م مات ابرون ملك سيراكوزا وخلته حنيدة

أرونيوس فخالف هذا الملك الفتي وصية جده ونقض عهود صداقته
للرومانيين وأرسل رسلاً الى قرطجة يخالفون مجلسها ويعقدون معه
عهدة مفادها اقتسام جزيرة سبسيليا بينهما بعد اتحادها لافتتاحها ولكنه
ندم بعد ذلك وطلب اليو فقط ان يخالفه ليشهر الحرب على الرومانيين
اذا مست الحاجة فسر القرطجنيون بما حدث ورضوا بما طلب الملك لانه
حليف قوي يمكنه اعانتهم وإحباط اعمال اعدائهم بالجزيرة المذكورة

وفي سنة ١٤٠٠ ق.م اقدم القنصل مارسيلوس على محاربة السيراكوزيين فحاصر
مدينتهم براً وبحراً وكان في تلك المدينة عالم شهير اسمه ارخميدس قدر
وحده على لقاء جنود الرومانيين وقهرهم مراراً لانه كان مسلحاً باختراعاته
العجيبة ومتحصناً وراء اسوار علمه وافكاره الناقبة فعزل آلات كانت ترمي
المحاصرين بالحجارة الى مسافة بعيدة فتردى من نصيبه وتحطم السفن وعمل
ايضاً آلات اخرى كانت تمسك المراكب الرومانية وترفعها ثم تقذفها على
الصخور فتتكسر ويغرق من فيها فابتعد مارسيلوس عن الاسوار وحل
بمكان لا يصل اليو به ضرر من آلات ارخميدس آملاً ان الجوع سيفتح له
مدينة لم يمكنه الاستيلاء عليها بالسلاح والجيش

ودام حصار سيراكوزا ثلث سنوات الى ان كان ذات يوم عيد عظيم
اهل فيه الاهلون حراسة الاسوار واقبلوا على الافراح والولائم ناسين ان
العدو على الابواب فاغتم مارسيلوس هذه الفرصة وأرسل فرقة من جنوده
تسورت الجدران والحصون ودخلت المدينة وملكت قسماً منها وبعد بضعة
ايام استولت على الاقسام الباقية فنهبت ما نهبت وقتلت كثيرين من جملتهم
ارخميدس العالم الذي لم يكتثر لدخول الاعداء المدينة بل كان منهمكاً
في بعض مسائل علمية اورسوم هندسية فمات وهو قابض على قلمه سبب
شهوته وهلاكه لانه لو ترك شغلته ولجى الى معسكر الرومانيين نجى
محالة

وكان سيبو الذي حارب أنيبال بالقرب من نهر تيسينيوس متولياً مع اخيه كيبوس قيادة الجيش الروماني في اسبانيا فانصر الاخوان مراراً كثيرة على القرطجيين وكادا يستوليان على جميع البلاد لو لم يقسم جيشهما الى قسمين ويفترقان فحارب كلاهما اسدربال أخو أنيبال وكسره فحسر الرومانيون ما كسبوه قبلاً في معامع كثيرة واسنوا جداً لموت ذينك القائدين الذين خربا صريعين في ساحة القتال

ولما بلغت هذه الاخبار رومية حزن الشعب وئس من النجاح باسبانيا وعد استرجاع ما فقد فيها من الامور المستغيلة ودليل ذلك انه لم يرض احد من الرومانيين تولي قيادة الجيوش هناك الا بلبوس سيبو ابن المتوفى وكان شاماً عمره اربع وعشرون سنة شهيراً بالذكاء والتدبير ومحبوباً من الجميع فعين على الفور برو قنصلاً وقائداً عاماً للعساكر الرومانية في تلك الديار فادرا الى الرينيل حالاً واتي البلاد الاسبانية وقاد جيشه لمحاصرة قرطجة الجديدة فاستولى عليها في يوم واحد ثم حارب الاعداء في معامع عديدة وانتصر عليهم انتصاراً ميبناً وشتت شملهم فاستتب له الامر وخضعت له جميع شعوب ذلك الاقليم

وكان هذا القائد الفتى شهماً عظيماً وفاضلاً كريماً فاتته يوماً بعد استيلائه على قرطجة الجديدة امرأة شريفة من اهالي تلك الديار وسالته وهي جاثية بين يديه وعبراتها تنساقط على الارض من شدة الكدر ان يامر رجاله باحترام الاسراء فلم ينهم سيبو معنى كلامها وظنها فشكو عسرها فاجابها انعي بالآ ايتها المرأة لانك ستحصلين على كل ما تحتاجين اليه قالت له هذا الامر لا يهمني ولا يقلقني سوى حالة هؤلاء الواقفات حولي وكان معها بنات اخيها ملك الارجيين وبنات اخر شريفات كلهن بديعات الحسن والجمال فتحركت في صدره حاسات الشفقة والحنو وانحروا رقت عيناه بالدموع وقال لها يا امه ثقي انني ورجالي جميعاً لا نخلل

شيئاً محرماً وسنبدل الجهد في صون طهارتك وشرفكن ثم طيب خاطرهن
وصرفهن بالأكرام فذهبن مسرورات شاكرات

واحضر اليه قواده مرةً بنتاً عذراء ذات حسن باهر وقدر رشيق
وكان سيبويزر نساءً فافتتن بها الا انه ملك شهوته وقال لاعوانه ان
منصبي يمنعني من قبول هديتكم ثم التفت الى التجارية واستخبرها عن اهلها
ووطنها فاجابتها انها مخطوبة لامير قبيلة السلطبريين المدعو اليسوس
فاحضره سيبو مع ايها وقال له يا اليسوس انا فتيات ويمكن كلاً منا
ان يكلم صاحبة بحرية فاخبرك ان جنودي قد اتتني بجارية عذراء علمت
منها انها خطيبتك وانك مغرم بها فاردها عليك الان غنيمة طاهرة كما
كانت قبلاً ولا اسالك عوضاً عن ذلك الا ان تكون حليف الامة
الرومانية التي فاقت شعوب الارض بالنضل والنضيلة ولا يجاكيها احد في
حب الاحسان الى اصدقائها ورغبة الانتقام من اعدائها

وكان ابوها قد قدم مقداراً وافراً من الدراهم فداء لها فاعطى سيبو
تلك الدراهم لاليسوس ليزيد بها مهر امرأته فانصرف ذلك الفتى
الاسباني مع جيشه شاكرًا مسرورًا واخبر قومه انه اتى مع الجيش الروماني
بطل يحكي الالهة في الشجاعة والكرم يفتح المدائن والقلوب بسيفه وشهامته

اما اسدربال قائد الجيوش القرطجية في اسبانيا ففر هارباً من امام
سيبو واجتاز بن معه جبال البيرينه والالب ودخل ايطاليا ليعين اخاه
على حرب الرومانيين فيها فارسل المجلس القنصل لنيوس ليقائمه ويمنعه من
الانضمام الى انيبال وكان القنصل الاخر نبرون بجارب بطل قرطجة
فنهض سرّاً بسبعة الاف رجل وبعد مسير سبعة ايام وصل الى معسكر
لنيوس بالقرب من نهر متورس فدم القنصلان اسدربال وانتشب القتال
وكانت هذه المعركة من اعظم المعارك التي حدثت في تلك البلاد
منذ دخول انيبال اليها لان قائد تلك الجيوش القرطجية خسر قتيلاً

باسياف اعدائهم ومات من عساكره سنون الف رجل وقد مل المنتصرون
من القتل وسفك دم الابطال حتي ان لفيوس ترك بعض المنهزمين يذهبون
بسلام قائلاً فليعضوا ليدفعوا خبر انتصارنا في سائر الانحاء ورجع نيرون
الى معسكره بسرعة عظيمة كما اتى منه وطرح امام سرادق أنيبال راس اخيه
ليعلمه ما جرى فرعب هذا البطل وادرك عظم المصائب التي فاجأت حكومته
وعائلته فرحل حالاً من ذلك المكان واحتل برونوم وشرع في الاستعداد
للحرب والدفاع .

وكان سيبو القائد الروماني مكللاً بالظفر والنجاح في جميع اعماله
وغزواته فلما امن شر اعدائهم بالديار الاسبانية اخذ يفكر في محاربة القرطجيين
بافريقيا فارسل ليليوس احد اصدقائه لمحالفة سيفاكس ملك الماسيسيليين
(اسم احدى القبائل الشهيرة في الازمنة القديمة الساكنة في جزائر الغرب)
فرضي هذا الملك البربري بمصادقة الرومانيين ورغب في مقابلة البر وقنصل
ليخبره بهذا الشأن فاناه سيبو على جناح السرعة غير مبال بالاطار
التي تلحق به ان نكت الامير النوميدي العهد وغدر به لانه راي في
تلك المقاتلة خيراً لامتو فحاطر بميامته لنيل هذه الغاية الشريفة

وحدث ان اسدربال القائد القرطجي في اسبانيا الذي خلف اخا
انيبال حضر في ذلك الاوان الى عاصمة الملك سيفاكس ليسترضيه وبمحملة
على محالفة القرطجيين فسر هذا الامير ان يرى في بلاطه قائدي اعظم واقدر
ام الدنيا يتباريان في مصادقته فدعاها الى الطعام فجلسا الى مائدته وبلوح
ان اسدربال قد اعجبه حديث سيبو وفصاحته وذكاه فقال لا بدع ان
خسر القرطجيون املاكهم الاسبانية ولكن العجب كل العجب في استطاعتهم
المحافظة على افريقيا . وقدر البطل الروماني على محالفة سيفاكس فعاهده
وارتد راجعاً من حيث اتى

وعلم سيبو ان الوسيلة الوحيدة لاذلال قرطجته واخضاعها لسلطة الرومانيين

هي محاربتها في بلادها الافريقية لان وجود جنود غريبة هناك يثير لا محالة حافاً بها والام الخاضعة لها التي تطلب فرصة للانتقام منها كيف لا وان عدوك من صديقك مستفاد فطلب الى المجلس ان ياذن له في ذلك فبعد مذاكرات طويلة لا محل لاستقصائها هنا عين قصلاً وسمح له بالذهاب الى سيبيليا ومنها الى افريقيا فجهز الجنود اللازمة ورحل اليها سنة ٢٠٢ ق.م وكان سيفاكس التومدي قد نقض العهد وحالف القرطجيين فنهض بعساكره واتى مع اسدربال القائد القرطجي لمحاربة الرومانيين ولما كان الاعداء لا يجرسون معسكرهم في الليل كما يجب ارسل سيبيو ليلبوس احد قواده وامره ان يحرق معسكر سيفاكس فانفذ هذا القائد الشريط ما امر به وحرق خيام الجيوش التوميدية فمات عدد عديد منها بالنار والسيف ونظر القرطجيون ناراً مشبوبة فلم يعملوا ما سبها فبادروا حالاً لمساعدة حلفائهم التوميديين وكان سيبيو واقفاً لهم بالمرصاد فهجم عليهم بغتة وما زال يطعنهم حتى قتل منهم كثيرين وشتت الباقين في ذلك اليلداه ثم تقدم الى معسكرهم وحرقه كما حرق الاول ولم ينج من ذلك الجيش العرمرم سوى التي راجل وخمسمائة فارس ولوا هاريين الى قرطجنة

وركب ليلبوس مع الملك مسينيسا التوميدي الذي حالف الرومانيين وجدا في المسير ليحاربا سيفاكس فافتتحا مملكته وقاداه اسيراً مع احد اولاده وارسلاه الى سيبيو مكبلاً بالسلاسل والقيود فسأله القائد الروماني لماذا نقض عهده وحارب امة حالها قبلاً اجابه سبب ذلك الجنون لانني احببت امرأة قرطجية تزوجتها فاخضعني لسلطان هواها واكرهني على مقاتلة صديق قريته واكرمتها فاما على ذلك نادى واطلب المعدرة

وحدث ان مسينيسا بعد انتصاره على سيفاكس دخل مدينة سيرتا عاصمة مملكته فلقبته امرأته سوفونيزيا بنة اسدربال القرطجي التي مر ذكرها وخرت ساجدة وقالت له قد خضت اليها البطل عجاج الحرب وخرجت

منها ظافراً غائماً بجول الآلهة فهلاً نجيب طلب اسيرة جائية عند قدميك
وترغب اليك بذل ان تشفق عليها ولا تسلمها الى اعداء امنها الرومانيين
واذا كنت لا تستطيع اتقاذها فاضرب عنها بسيفك البتار لانه خير لها ان
تشرب كأس الحمام من حسام نوميدي افريقي من ان تمج وتنال الفخار من
اعدائها الغرباء. ثم قبضت على يده واخذت نعل قدميه فاهاجت في
قلبي عوامل الحب والغرام لانها كانت خوداً رداحاً تفتن الالياب بمعاني
جمالها الباهر فافترن بهامسبينسا حالاً غير فاكراً بعاقبة ما عمل لكونها اسيرة
رومانية لا يحق له الزوج بها قبل ان ياذن بذلك سيبو الذي بلغه هذا
الامر فقلق جداً وخاف من دهاء هذه المخالة التي لا بد ان تسلب على
زوجها هذا كما تغلبت على زوجها الاول وتغريه بمخالفة القرابينين
ومحاربة الرومانيين

ولما حضر مسبينسا الى المعسكر خلا معه سيبو وقال له لاريب ان
صفاقي الحسنة هي التي حملتك على مصادفتي ومحالة مواطني ولكن احسن
تلك الصناعات وافضلها هي الفتناء والزهد فاوداها البطل لو تمخذه هذه
السجية شعاراً لان عدوك الشاك السلاح هو اقل خطراً لك من المملذات
وان الذي يملك شهوته لا فضل من يفتح المدائن والحصون ومعهم ان
سيماكس قد ذل للراية الرومانية فامرأته ومملكته واراضيه وكل ما يملك
هو للرومانيين فاتبه ايها الشهم لما فعلت وما تفعل واحذر من تدنيس
نوب كمالك بامر يلحقك منه الشين والشنار

فعلت وجه الامير النوميدي حمرة النخل واغرورقت عيناه بالدموع
ثم انصرف الى سرادقه واخذ في النجيب وهو يكتب لامرأته ما ياتي . كان
بودي ابناً الحبيبة ان اقوم بجميع ما تقتضيه واجبات الزواج ولكن قد حال
دون ذلك موانع وعليه فاني افي بوعدك لك الا اسلمك الى الرومانيين
وانت في قيد المحنة واظنك لا ترفضين اجراء امر فيه صباه شرفك

وصبتك من العار وختم كتابه ودفعه الى عبد اعطاه سماً زعافاً ليسلمه اليها
فاخذت الملكة الكتاب والسهم وقالت اني راضية بهذا الصداق اذا كان
زوجي لا يمكنه منغي غيره ولكن كان اولي لي الا اقترن باحد وانا عازمة
على الموت ثم سفت السم المرسل اليها ووقعت في الحال على الارض لا
حرك لها

وارسل سيبو بعد ذلك سيفاكس الى رومية فامر المجلس بمحسوه وعين
مسينسا ملكاً على كل اقليم نوميديا وبعث اليه بهدايا كثيرة دلالة على
اعنباره وصداقته

وكأن نصرة سيبو على اسدرمال قد هدت من القرطجين الاركان
فارسلوا رسلاً الى ايطاليا يدعون انيبال الى الحضور حالاً قبل ان هذا
البطل حينما بلغته تلك الاوامر يكي وقال لم يغلبني الرومانيون بل المجلس
القرطجي الذي رفض ارسال مدد الي ثم ركب البحر وسار بجنوده وهو
يلعن نفسه ويشكو الآلهة والناس وظل شاخصاً الى السواحل الايطالية
حتى توارت عن ابصاره وحين وصوله الى قرطجة اخذ في الاستعداد لمحاربة
سيبو الذي كان جائلاً في البلاد يفتح المدائن ويقهر الابطال فجهز
العساكر وزحف الى مدينة زاما (الان زوارين) وطلب مقابلة القائد
الروماني الذي اتى وعسكر بالقرب منه فتقابلوا في مكان على مرأى من
المجيشين وبقيا صامتين برهة لا يتكلمان من الدهشة اخيراً خاطب أنيبال
خصمه بهذه الكلمات

قد قضى عليّ انا الذي فتح الحرب ونال نصرات عديدة ان آتي
واخبرك بالسلام ويسرني جداً ان اطلب هذا الامر اليك واعلم علم
اليقين انك ستفخر بابطال وفرسان الدنيا لان أنيبال الشهير الذي ظهر
على قوادٍ رومانيين كثيرين قد خضع لك وحدك
وبعد ان حذر سيبو من الدهر وغدره قال له انا نخلي اسبانيا

وسيسيليا وسردينيا وكل الجزائر الواقعة بين ايطاليا وافريقيا ملكاً
للاومانيين ولعبري ان صلحاً هذه شروطه يعود بالراحة علينا وبالفخر
والنجاح عليكم ولا تخش خيانة القرطجيين لانني انا انيبال الذي يسالك
لان السلام يسالك اياه لكونه ضرورياً لبلاده ولكونه ضرورياً سيمافظ
عليه حتى المات

اجابه سيبوان هذه الشروط لا ترضى بها امة ظافرة بل من الواجب
على القرطجيين ان يخضعوا للرومانيين ليعاملوهم كما يشاهون او فيلخوضوا
عجاج الحرب لعلهم ينتصرون

حيث ان فصل القائدان ورجع كل لمسكره ليستعد للكر والكفاح
وفي الغد خرجت الجنود باكرًا واصططت في تلك البطاح ثم حملت الرجال
على الرجال واحندمت نار الحرب وزاد سعيها فانكسر القرطجيون
وانهزم انيبال مع بعض فرسان ودخل قرطجة واعلن للمجلس والكبراء
ان الصلح واجب فليسمعوا في ارامه فارسلوا الى سيبو ثلثين سفيرًا من
الشرفاء ليخابروه بذلك فرضي باجابتهم الى ما طلبوه بالشروط الآتية
اولاً . يملك القرطجيون المدائن والاقاليم الافريقية التي كانت لهم
قبل الحرب

ثانيًا . يسلم القرطجيون الى الرومانيين اسراء الحرب والعساكر الذين
فروا والعبيد الابقيين

ثالثًا . يسلمون اليهم ايضاً جميع سفنهم الحربية ما خلا عشرًا وجميع افيالهم
ولا يسمح لهم باقتناء هذه الحيوانات فيما بعد

رابعًا . لا يجارون احداً في افريقيا او خارجها ولا اذن الشعب
الروماني

خامسًا . يردون على مسينيسا ما سلبوه اياه وبمخالفونه

سادسًا . يتقدون الرومانيين بمدي خمسين سنة عشرة الاف زنة فضة (نحو

مليون واحد وتسعمائة وسبعة وثلاثين ألفاً وخمسمائة ليلة انكليزية)
 سابعاً . يسلمون الى سبيور هائن مائة رجل لا يكون عمر اصغرهم اقل
 من اربع عشرة سنة واكبرهم اكثر من ثلاثين
 وذهب السفراء الى رومية يعرضون هذه الشروط لمجلسها ويطلبون
 اليه توقيعها فصدق عليها المجلس وصرف الرسل القرطجيين فانقلبوا الى
 بلادهم راجعين
 وعاد سيبو الى ايطاليا ودخلها بالاكرام وكان الناس يزدحمون في
 الطريق التي يمر بها ليرؤوا مخلص الوطن ودعي من ذلك المين بالافريقي
 بذكارة الاعمال ونصراته التي رفعتها الى ذرى المجد واج الفخار

الباب الخامس

من انتهاء الحرب القرطجية الثانية
 سنة ٢٠١ الى حين انتهاء الحرب الثالثة
 وخراب مدينة قرطجة سنة ١٤٦ ق.م
 او
 من سنة ٥٥٢ الى سنة ٦٠٧ ب.م

الفصل الاول

ان ضعف الجمهورية القرطجية خوّل الرومانيين الاولى انتصروا
 عليها سلطة عظيمة فاصبحوا مرهوبي الجانب بخافهم جميع ام الارض ولا
 يخافونهم احداً وكانوا متنبهين للحوادث يرقبونها بعين بصيرة وعقل

خير جاهدين في توسيع نطاق املاكهم بسائر الاقطار ومنذرعين لذلك
باسباب طفيفة لا تستوجب اثارة الحروب وسفك الدماء لو لم يكن وراء
تلك تلك الاسباب اغراض سياسية وإطاع أشعنية

وكانت الدولة المكدونية اقوى الولاية اليونانية واقربها من ايطاليا
وكان لها منذ ايام فيليس الثاني ابي اسكندر الكبير حق السيادة بين اليونانيين
فعهد الرومانيون الى اذلالها لينسني لهم ولوج المدائن الآسوية والتمتع
بطبيباتها واموالها واثارها عليها سنة ٢٠٠ ق. م حرباً عواناً دامت ثلث
سنوات مخمخين انهم نهضوا لنصرة الآثينيين والروديين وغيرهم ففهموا ملكها
فيلبس الخامس مراراً واكرهوه على ابرام الصلح بالشر وط الآتية
اولاً . جميع اليونانيين الساكنين في اوربا وآسيا يكونون احراراً
مستقلين

ثانياً . يخلي فيليس قبل اوان الالعاب الكورثية كل المدائن اليونانية
التي لة فيها جنود

ثالثاً . يسلم الى الرومانيين كل سفن الكيرة ما خلا خمساً

رابعاً . لا يكون لة اكثر من خمسة الاف جندي ولا يسمع لة باقتناء

اقبال ولا اثارة حرب خارج مكدونية الا باذن الشعب الروماني

(هكذا روى لفيوس وعهدة ذلك على الراوي)

خامساً . يتقد الرومانيين الف زنة نصفها عاجلاً والنصف الاخر بمدي

عشر سنوات

ولما أعلنت هذه العهدة لليونانيين سروا جداً وشكروا للرومانيين

الاولى سفنكوا دماء ابطالهم ليمنحهم الحرية والسلام غير محرزين سوى الفخر

بانهم اضعفوا المكدونيين وغدوا متفدي الامم الآثينية من ربة الخضوع

لم على اننا اذا ناملنا في الامر نجد ان الرومانيين لم يفعلوا ما فعلوه عن

اشهامة واخلاص ولكنهم ادركوا صعوبة اخضاع هؤلاء الاقوام الذين

بحبوت الحرية ويفدونها بالنفوس فهدوا بها اجروه سبل الاستيلاء
على بلادهم في المستقبل

وفي سنة ١٩٢ ق م حارب الرومانيون انطيوخوس الكبير ملك سوريا
الذي اعتدى على البلاد التركية واليونانية وقهره بالقرب من مضيق
ثرموبيلي وفي مواقع اخرى واكرهوه على تخلية المدائن والاراضي الواقعة
وراء جبل طورس ودفع خمس عشرة زنة آبية (نحو مليونين وتسعمائة
وسنة الآف ومائتين وخمسين ليرة انكليزية) بمدى اثنتي عشرة سنة وطرده
انيبال القرطجي من بلاده لانه لجى اليه بعد نفيه من وطنه واغراه بحاربة
الرومانيين وكان ذلك على يد سيبو الافريقي واخيه لوسيوس الذي دعي
الاسيوي لسبب نصراته في هذه الحرب بالديار الاسيوية وحدث في هذه
الاثناء ان سيبو الافريقي ذهب الى افسس ليقابل انطيوخوس فلقي انيبال
هناك فبعد ان تذاكرا ملياً سال سيبو خصه من هو الرجل الذي بظنه
اعظم قائد وجد في الدنيا

اجابة القرطجي هو اسكندر الكبير

— ومن هو الثاني

— بيرس

— ومن هو الثالث

— قال له انيبال على النور انا هو

— فعجب سيبو من كلامه وساله قائلاً اي رتبة كنت تستحق لو غلبتني

— اجابة حينئذ كنت اعظم من اسكندر وبيرس وجميع قواد العالم

وعند عودته الى رومية اتهمه وكيل الشعب انه اخذ رشوة من انطيوخوس
وسلب واخاه اموالاً للجمهور وطلبوا اليه ان يقدم حساباً مدققاً فنهض
سيبو ومسك بيده سجلاً وقال للحضور بهذا السجل ترون حساب الاموال
والغنائم التي حزمتها قال له الوكيلان اقرأ اذا ما كتبت فيه اجابها عاراً علي

ان افعل ذلك ثم مزق السجل ارباً ارباً وطرحه امامها ولما كان الوكيلان مصممين على تغريمه التفت الى الشعب وقال له بمثل هذا اليوم ايها الرومانيون قد غلبت انيبال والقرطجيين فلنبادر الى الكايتولينوس ولنشكر جوبيتر على ما اولانا من النعم فائز كلامه بالجمهور الواقف وتبعه الجميع الى الهيكل اما اخوه الاسيوي فغرم بدفع مقدار واقر من الدراهم ويبيع امتعته واملاكه لوفاء تلك الغرامة فكان جزاءه من مولانيه كجزاء سنار

وفي سنة ١٨٢ ق.م قضى انيبال القائد القرطجي الشهير نجبة ببلاد بيشنيا لان الرومانيين ارسلوا رسلاً الى ملكها يطلبون تسليمه اليهم فحوقاً من ان يقع في ايدي اعدائه شرب سماً ومات

وكان فيلبس ملك مكدونيا منذ انتصار الرومانيين عليه لا يألو جهداً في الاستعداد لمحاربتهم والانتقام منهم وقد حملة بغضة الشديدة لم على قتل ابنه الاصغر ذمتريوس الذي كان يحبهم ويثني عليهم جهراً في كل مكان وفي سنة ١٧٨ ق.م مات هذا الملك وخلفه ابنه برسيموس الذي كان اشد عداوة لهم من ابيه فنشبت من جراء ذلك الحرب المكدونية الثانية سنة ١٧١ ق.م ودامت اربع سنوات وكانت تنتجها استيلاء الرومانيين على البلاد وجعلها ولاية رومانية وهكذا انقرضت الدولة المكدونية بعد ما سادت زمناً طويلاً واستولت في ايام اسكندر على اكثر الممالك المعروفة

ثم اخضع الرومانيون الايريين ومن يجاورهم وقهروا الغاليين الذين اعانوا انيبال وجعلوا بلادهم ولاية رومانية ودعوها غالباً سيزالية اية الواقعة داخل حمال الالب

الفصل الثاني

في الحرب القرطاجية الثالثة

ان الجمهورية الرومانية لم تكن راضية عن القرطاجيين الذين البسوها ثوب العار بدخولهم بلادها وقهرها مراراً ولم يشف غليلها ذل هذه الامة وخضوعها لها بل كان بודהا لو تجعل مدينة قرطجة خراباً ينق فيها اليوم وتاوي اليها الوحوش لا سيما الان وقد قويت شوكتها ونسلطت على اقاليم كثيرة واسعة شاسعة

وحدث ان الملك مسينيسا اعندى على القرطاجيين واستولى على بلاد لم فارس مجلس رومية سفراء الى افريقيا لينظروا في هذا الامر وكان من جملتهم رجل اسمه كاتو الكبير شهير بالزهد وحب العيشة الخشنة لظنه ان هذه هي الطريقة الوحيدة لاحتراز المجد والنجاة ولما رجع كاتو الى رومية اخبر المجلس ان القرطاجيين اصبحوا اغنياء وقادرين وحرصه على محاربة هذه المدينة وخرابها واحصر من تلك الديار تيناً كبيراً جداً واره الا بآء اعضاء المجلس وهم مجتمعون وقال لهم ان البلاد التي توجد بها هذه الاثمار هي على بعد ثلاثة ايام من رومية ومن ذلك الحين لم يكن يتكلم في المجلس عن امر الا ويقول في عرض الكلام اظن خراب قرطجة واجباً ولما كان القتال منتشاً بين مسينيسا والقرطاجيين اتخذ الرومانيون ذلك ذريعة للجسارة بالعدوان وارسلوا الى افريقيا سنة ٢٤٨ ق م ثمانين الف راجل واربعة الاف فارس ففلق القرطاجيون وبعثوا سفراء الى رومية يسترضون مجلسها فاجابهم المجلس انه يخضعهم الحرية والاستقلال بشرط ان يعطوا الفنصلين قائدي الجيوش رهائن ثلثائة فتي شريف ويخضعوا بطاعة

عمياء لكل ما يأمروهم به وكان الفصلان وقتئذ في سبيلها مستعدين
 لركوب البحر حينئذ وصلت اليهما الرهائن القرطجية فاجابا الرسل انهما
 يعلمان القرطجيين ما يريدان حينما يحضران الى افريقيا
 ثم اسرعا بالمسير ووصلا الى اتيكا (الان ابوشاطر) فلقيا هناك سفراء
 قرطجيين اتوا ليسترضوها فخطبوها بما معنادنا نجعل الذنب الذي جنبناه
 والاسباب التي حملت الرومانيين على غزونا بهذا الجيش العرمم الم
 نقدم الجزية تمامًا جاهدين بعمل كل ما يرضيهم واذا كانت الحرب التي
 جرت بيننا وبين مسينيسا قد اغضبتهم الم ينظروا كيف احبلنا عندآءه
 بصبر عظيم ورضينا اخيرًا بانالتو ما طلبه. ولو فرض ان محاربنا النوميديين
 دفاعًا عن وطننا هي ذنب الم نكفر عن هذا الذنب بتسليم انفسنا وبلادنا
 الى الشعب الروماني ومبادرتنا الى اعطاء الرهائن المطلوبة حسب امر
 المجلس قال لم حينئذ احد الفصلين اذا كنتم ترغبون في السلام احضروا
 لنا حالاً جميع الاسلحة الموجودة في مدينتكم لانها لا تفيدكم شيئاً فانقاد
 القرطجيون لامره صاغرين وبعثوا الى المعسكر الروماني مائتي الف محن
 ورماح وحراب لا تحصى واتى ايضاً انكهنه والكبراء بهيئة ذليلة ليعرضوا
 الشفقة في قلوب الرومانيين فنهض احد الفصلين وقال لم انني اشكركم
 ايها القرطجيون لاذعانكم لاؤمرنا وتسليمكم الينا حالاً جميع ما طلبناه غير
 انه يجب عليكم الان ان تغادروا مدينتكم وتنتقلوا الى اي مكان اردتموه من
 بلادكم بشرط ان تبعدوا عشرة اميال عن السواحل لاننا قد صمنا على هدم
 قرطجة ودك اسوارها

وحينما سمع القرطجيون الحاصرون كلام الفصل طار الشرار من
 اعينهم ومزقوا ثيابهم من الحنق والقنوط ووقعوا على الارض يضرّبونها
 رؤوسهم ثم اقبلوا الى الفصلين وهم يذرفون الدموع كالطروسالوها ان
 يشفقا عليهم ويرحموا قوماً اصبحوا كالطفل الصغير لا يستطيعون خيراً ولا

شراً فلم ينالوا بتوسلاتهم وتذللهم شيئاً فانكفوا الى المدينة واخبروا الشعب بما كان فاخذ الجميع بالبكاء والعويل وماجت الارض باقدام الرجال والنساء والاولاد لانهم كانوا يسرعون لاستعلام الاخبار ويشنون بالكآبة واليأس فلا يعلمون ابن هم ولا الى ابن يذهبون . غير ان بعضاً من الكبراء العاقلين علم كالباقين عظم الاخطار المحيطة بهم ولكنه اثر الموت شريعاً في ساحة الحرب على الحيوية بالذل والعار فامر بايصاد ابواب المدينة وجمع احجار على الاسوار لرمي المحاصرين فنشط فعله هذا الاهلين الذين اقدموا على القتال بشجاعة وحمة آملين النجاة او الموت في ساحة الحرب فداءً للوطن واعنفوا عبيدهم في ذلك النهار ليعينوه ويقاثلوا مثلهم ببسالة وكان الفرطنجيون قد نفوا من المدينة احد قوادهم العظام المدعو اسدر بال ارضاءً للرومانيين لانه هو الذي حارب مسينيسا النوميدي وكان هذا القائد محملاً وقتئذ مع جيش يبلغ عدده عشرين الف راجل مكاناً قريباً من قرطنة فارجعوه الى المدينة وشرعوا يستعدون للقتال وجعلوا الهياكل والحال العمومية الواسعة معامل اسلحة واقبلوا جميعاً رجالاً ونساءً شيوخاً واحداثاً يشتغلون ليلاً ونهاراً لتجهيز العدد اللازمة فكانوا يعملون في كل يوم مائة واربعين مجماً وثلاثمائة حسام وخمسمائة رمح والف حربة وقصت النساء شعورهن وصنعنها حبالاً للآلات الحربية

ولم يكن الفصلان عاملين بما هو جارٍ داخل المدينة فتقدما بعزم وامل وطيد لمحاصرتها ظانين انها يستوليان عليها بسهولة ولكنهما ذهلا حينما راي الاهلين شاكين السلاح ومستعدين للعرب والدفاع فهاجمهم مراراً وارتدا عن الاسوار بالحربة والفشل ولم يكره حظ القائدين اللذين خلفاها باسعد من حظهما لان الفرطنجيين كانوا يحاربون اعداءهم حرب من استمات ويهجمون عليهم هجوم اللبوة على من رام خطف اشبالها كيف لا وهم يدافعون عن نسايتهم واولادهم وعن حريتهم التي هي اثنى شيء لهم في العالم فدامت

الحرب أكثر من سنتين ولم تنته الا على يد سيبو اميليانوس بن سيبو الذي غلب برسيوس ملك مكدونية فذهب هذا القائد الفتي الى افريقيا واصلح نظام الجيش وشدد الحصار وفي ربيع سنة ١٤٦ ق.م استولى بفرقة من جنوده على احد الاسوار ودخل المدينة فقامت الحرب في الشوارع والمنازل على قدم وساق وبقي القتال او القتل ستة ايام ولم يسلم من سكان قرطجة الكثير بن البالغ عددهم سبعمائة الف نفس سوى خمسين القالبسوا لباس الذل واتوا معسكر الرومانيين يطلبون الامان فاستحيام سيبو وبايعهم عبيداً

وكان في المدينة تسعمائة رجل روماني قد هربوا من معسكرهم ولجئوا اليها فعلموا علم اليقين انه لا نجاة ولا امان لهم في جميع الاقطار فدخلوا مع اسدربال القائد القرطجي الى الهيكل وصمموا على حرقه والموت فيه اختياراً غير ان اسدربال خرج من الهيكل سرّاً واتى البر وفصل حاملاً غصن زيتون دليل السلام واستسلم له فاجلسه سيبو عند قدميه واراه للقوم المحصورين في المعبد فلما ابصروه اخذوا يشتمونه وبلغنونه ثم اشعلوا نارهم وماتوا . قيل ان امرأة اسدربال صعدت الى سطح الهيكل ونادت سيبو ورغبت اليه ان يقاص زوجها الخائن ثم خاطبت بعلمها قائلة ايها الرجل اللئيم الجبان الذي ان النار التي تنظرها مشتعلة ستميتني قريباً مع بني فروح من هذه الدنيا مزودين بالفحار ولست اراك مؤثراً الحبة على المات الا لتزيد مجد من انت جالس عند قدميه وتذوق منه عذاباً اليماً

وحيثما استولى الرومانيون على قرطجة امر المجلس بهدمها تماماً وهدم كل المدائن التي حازتها واعطاء اراضيها لخلقاً رومية وجعل البلاد التي كانت خاضعة للجمهورية الافريقية ولاية رومانية فانفذ سيبو تلك الاوامر وعاد الى رومية حيث احتفل بنصرته ولقب بالافريقي قال احد المؤرخين ان سيبو الكبير قد مهد سبل عظمة الرومانيين

اما سيبو الصغير فقد فتح لهم باب النعم والترف لانهم لما امنوا شر القرطجيين
اهملوا تلك الصفات المحسنة التي اوصلتهم الى هذه الدرجة العليا من سلم
الفضيلة والفخر وتهوروا في مهاوي الرذائل

الباب السادس

من حين انتهاء الحرب القرطجية الثالثة سنة ١٤٦

الى اقامة الحكومة الثلاثية الاولى سنة ٦٠ ق م

اه

من سنة ٦٠٧ الى ٦٩٢ ب ر

الفصل الاول

لا ريب ان داب الرومانيين توسع نطاق سلطتهم باية وسيلة وبرونها
موافقة هذه الغاية فلا يهملهم لذلك رعاية صداقة وحفظ ذمام لانهم بعد ما
هدموا مدينة قرطجة وخرّبوا تلك الجمهورية الافريقية العظيمة بزمان
قليل هدموا اركان الحكومة الاخائية اليونانية وحرقوا مدينة كورنثوس
عاصمة البلاد وسبب ذلك انه تنازع الاهلون في امور طغينة وابول الانقياد
لما امر به المجلس الروماني واضرموا نار الحرب الاهلية فحاربهم الرومانيون
وقهروهم وخرّبوا مدائنهم الحصينة وجعلوا البلاد اليونانية ولاية رومانية
وكان الاسبان يون القدماء شجعاناً يحبون الحرب والغارات ويانفون
من الخضوع للغرباء فنهضوا لقتال الرومانيين مراراً وقهروهم في وقائع
كثيرة ودامت هذه الفتن مدة مديدة للجهل اوجبت قواد الجمهورية في
تلك الديار وبسالة وحكمة فيريانس رئيس النافرين الذي قتله

الرومانيون اغتيالاً سنة ١٤١ ق.م وما يشهد لاولئك الاقوام بالحجارة
والباس هو ان نيانسا احدى المدائن الاسبانية المحصنة قدرت وحدها
ان ترد هجمات المحاصرين وان تستظهر على ابطال دانت لم ام الارض
صاغرة فاقام الشعب سنة ١٢٢ ق.م قنصلاً وقائد الجيوش ذلك الاقليم
سيبيو الذي خرب قرطجة لانه كان احسن رجل قادر على اخضاع العصاة
واحياء الشجاعة بقلوب المجنود

ولما وصل هذا القائد البطل الى اسبانيا وجد العساكر الرومانية
هناك بلا ترتيب ولا نظام لا تعرف الانقياد للروماء ولا الاذعان لوامرهم
وكانت مغبسة بالتنعم والملاذات كانها انت للنزعة لا للسكر والكفاح
فعلم الفصل انه من الواجب عليه قبل ان يحارب الاعداء ويقهرهم ان
يصلح احوال الجنود ويكرهم على الخضوع لوامره بطاعة عمياء فمنعهم عن
التائق بالماكل والمشرب وطرد من المعسكر البيعة والخدام والنساء العواهر
ولم يترك للمجندي غير مرجل وفراش محشو اوراق شجر او تبناً وعود هولا
الرجال الانعاب والصبر عليها

وفي ذلك الاوان ارسل اليه مسينيسا ملك نوميديا مدداً مع ابن
اخيه بوغرنا الفارس المغوار الذي له في تاريخ الرومانيين شان عظيم والذي
سنفرد لذكر اعماله الفصل الثاني من هذا الباب

وكان سيبيو يرغب اجتناب قتال النيبانسيين ما امكن لانه رأى المجموع
خير جيش واحسن سلاح يفتتح بهما تلك المدينة بلا عناء فشدد عليها الحصار
ومنع المدد والقوت من الوصول اليها فضاقت الاهلون ذرعاً وارسلوا
اليه رسلاً يسألونه السلام بشرط ان يعاملهم بالرفق والاحسان فمثل
السفراء لديه ونهض رئيسهم وعرض له حاجتهم بعبارات وجيزة اعربت عن
مدح مواطنيه واطراء بسالئهم وعقب ذلك بقوله ان النيبانسيين وان كانوا نساء
الان ليسوا بمنزلة نساء لانهم اقدموا على سفك دماهم دفاعاً عن نساءهم واولادهم

واستغلال بلادهم فمن العدل ايها البطل ان ترحم شعباً نأبرومون الاستسلام
لك ولان ابيت فدعهم بحاربونك ويموتون كرجال في ساحة القتال . اجابهم
سيبيولا سلام الا بتسليمكم الي سلاحكم ومديتكم وانفسكم فرفض النيانسيون
اجابته الى ما طلب وفضلوا الموت على حياة ذليلة واخذوا في الاستعداد
للقتال ثم خرجوا من مدينتهم وهجموا على مناريس الرومانيين فهلك منهم
عدد عديد وارند الباقون بالقتل ولما خاب املهم من النجاة حرقوا سلاحهم
وامنعنهم ومنازلم وقضوا نحبهم جميعاً بالجوع او السيف او السم او النار ولم
يتروكوا للظافرين من المدينة سوى اسمها فدخلها سيبيو وامر بهدم الاسوار
والمنازل القليلة الباقية وعاد الى رومية واحتفل بنصرته فيها

بينما كان سيبيو جاهداً في اخضاع مدينة نيانسا والاستيلاء عليها
حدثت في رومية حوادث اقلقت الاهلين وفتحت باباً جديداً للفساد
واهراق الدماء في الاجتماعات العمومية وسبب ذلك تيبيريوس وكايوس
غراكس حفيدا سيبيو الافريقي الاول من ابنته كورنيليا اللذين كانا
حاذقين نجيبين لا يحاكيان بالبلاغة ولا بحاربان بيدان الخطابة فنالوا بين
مواطنيها مقاماً عالياً وشهرة واسعة وانتخب تيبيريوس وكيلاً للشعب في هذه
السنة

وكان من عوائد الرومانيين كما ابنا سابقاً انهم اذا افتتحو بلاداً او
اخضعوا امة بايطاليا ياخذون قسماً من اراضي تلك البلاد يبيعون نصفه
قياماً بنفقات الحرب ويعطون النصف الآخر للفقراء باجرة طيفية ليعثروا
ويقتاتوا من غلاله غير ان الاغنياء والكبراء قدروا بالحبث والدهاء ان
يختلسوا الاراضي المذكورة ويحملوا المحتاجين وسائل الراحة والهناء فحمل
ذلك لشيبيوس ستولو ان يقترح القانون العناري الذي مر ذكره صفحة ٦٢
والذي بعد ان صدق عليه المجلس وعمل به وجبه مدة من الزمان اهل
وطونه بد النسيان وكان هؤلاء الكبراء يستخدمون لحث حنولهم

وبساتينهم الكثيرة عبيداً وغرباء لا يهتمهم تقدم الجمهورية ويفرحون
بخرابها

ونظر نيبير يوس الى حالة الوطنيين الاحرار نظرة آسف على حالتهم
التعبية ومشفق منهم فاراد احياء القانون العقاري وكاشف بذلك بعض
اصدقائه الاصفياء فوافقوه وعولوا على مساعدته لارجاع هذا القانون
واجرائه

وعلم بما جرى الشرفاء والاغنياء فحنقوا وهاجوا ولعنوا نيبير يوس
وقالوا انه ظالم معتد يريد القاء الفن لنيل امر يسر به الى اصدقائه واعوانه
او يكتسبه من الجميع اما الفقراء فكانوا مثقلين بسلاسل الحاجة والنعاسة
لا يستطيعون الزواج لاحياء نسلهم وان تزوجوا لا يمكنهم القيام باود
عائلتهم وقريبة اولادهم فتذكروا تلك المحروب التي خاضوا عجاجها والمعامع
التي ابصروا الاهوال فيها دفاعاً عن الجمهورية واعلاءً لمنار مجدها وراوا
انهم جوزوا على بسالتهم وافعالهم هذه بان كان الفقر لم نصيباً وحرماً
قطعة ارض بمرثوتها ويتقوتون بغلالها وزاد العطاء ظلمهم ظلماً بان منعهم
من الشغل منضلين العبيد عليهم فاصبحوا وهم احرار اشقى من الاولى خسروا
الحرية وحقوقهم المدنية

وحينما اجتمع الشعب للنظر في امر القانون نهض نيبير يوس واندفع
يتكلم ببلاغة تفتن الالباب وتسلب القلوب ثم التفت الى الاغنياء وقال
لم اني تنفصلون باقوم العبيد على الوطنيين والذين لا يجوز تجندهم على الاولى
يسفكون دماءهم فداء الوطن ان وحوش ابطالها لها كهوف واغوار لنجا
اليها اما الرجال الذين يخاطرون بارواحهم لحمايتكم لا يملكون سوى النور
والهواء السم تنظرونهم بطوفون الاحياء نسائهم واولادهم ليحذوا مكاناً
بأرونة فلا ريب ان القواد بسخروف من المجنود تجرحهم على افتحام
الاخطار لصون مدافعهم ومذابحهم الاهلية لانه لا يوجد احد منهم له مذبح

او مدفن فبالحقينة انهم بجاربون ويموتون دفاعاً عن ثروة الآخرين ومن
العجب العجائب انهم يدعون سادة الارض وهم لا يملكون منها قدماً واحدة
فاذهلت فصاحتها وحججه الدامغة الحاضرين فلم ينطقوا ببنت شنة بل
انصرفوا متعجبين وكان المجلس والشرفاء يحاولون اهلاكة واحباط اعماله
فبينما كان يخاطب مرة في محفل حافل وقد زاد الضجيج واللفظ حتى ان صوته
لم يكن الجميع يسمعون وضع يده على راسه مشيراً للناس ان بعضاً يريد قتله
فاول اعداؤه تلك الاشارة بانّه يطلب الى الجمهور اكليل الملك فانقض
عليه سيبون نزيكا احد انسيائه وكثير من الشرفاء وقتلوه مع ثلثائة رجل
من اصدقائه

وكان كايوس اخوه فتياً فلم يشترك معه في هذه المؤامرة بل قضى سنوات
عديدة ساكناً لا يبدي حراكاً ولا يظهر رغبة في الانتقام من اعداء اخيه
وقائله غير انه لما استتب له الامر وصح قادراً على اجراء اغراضه اعلن
صدافته للشعب وعداؤه للمجلس والكبراء واخذ يقترح قوانين واموراً تخط
سلطة العظماء فرعياً وعمدوا الى اردائه بالطريقة التي قتلوا بها اخاه
تيبيريوس وارسلوا لذلك الفصل اوسيبيوس بفرقة من الجنود وحينما ابصر
اعوانه الخطر المحيط بهم اركبوا الى الفرار فامر كايوس اذ ذاك احد عبيده
ان يقتله فطعن ذلك العبد ثم طعن نفسه وخراً كلاهما صريعين سنة ١٢١
ق م وحيث ان اوسيبيوس اقسم ان يعطي من ياتيه راس كايوس ذهباً
ثقله اخذ رجل اسمه سبتيسيليموس ذلك الراس ونزع دماغه وحشاه
رصاصاً فنال لذلك سبعة عشر طلاً ذهباً

وحزن الشعب جداً على موت هذين الاخوين الفاضلين فاقاما لها
تمثالين في المكان الذي قتل به وكان كثيرون يأتون هناك ويصلون اما
وكلاء العوام فذلوا بعد هذه الحادثة وفقدوا تلك الحماية التي طالما استنهبوا
بها وغدا الكبراء والاغنياء قادرين لا يجسر احد ان يخالف لهم امراً وكان

القانون العفاري قد دفن مع الغراكيين فاصبح نسباً منسياً

وفي سنة ١٢١ ق م ثارت حرب مهولة في سيسيليا وسبها ان الاغنياء هناك اشتروا عبيداً كثيرين لحرث اراضيهم والاعنتاء بها ولما كان اولئك العبيد لا يُعاملون معاملة حسنة ولا يعطون طعاماً كافياً لهم كانوا يفتكون احياناً بالاهلين وينهبون دائماً ما يمكنهم نهبه وكان الولاة يفضون الطرف عن اعمالهم خوفاً من مواليهم الذين كانوا في الغالب فرساناً ورومانين ذوي مقام رفيع فانسع الحرق وزاد اولئك الاشرار جسارة وفجوراً حتى انهم تآمروا في خلع نير العبودية

وكان لرجل سيسيلي عبدٌ سوري اسمه انيوس ذو فكر ثاقب ودهاء عظيم فادعى ان الآلهة تظهر له في الحلم وتذكره بامور البشر فصدقه بعضهم وصار الناس ياتونه افواجاً ليستشيروه بامور خطيرة

وجاء اليه ذات يوم عبيد رجل قاس من مدينة انا واخبروه انهم يريدون قتل مولاهم وسالوه اذا كانوا يتنجحون في مسعاهم ام يخيبون اجابهم ان كل ما يرومون فعله يرضي الالهة بشرط ان يباشروا الامر بسرعة ونشاط فاجتمع العبيد المذكورون وكان عددهم اربعمائة نفس واقاموه قائداً عليهم وقصدوا مدينة انا وقتلوا سكانها ونهبوا مازها ثم بصوه ملكاً ودعوه الطيوخوس وسولهم انفسهم سوريين ولما علم ذلك العبيد الباقون هرعوا اليه جماعاً غفيراً فقويت شوكتة وحارب ثلثة ولاة وقهرهم وتنت جنودهم في البلاد.

ولما استحل امر العصاة هكت المجلس الى سيسيليا فتنصل وجيش عرمرم فقاتل التنصل العبيد بالقرب من مسانا وقهرهم ولكنهم لم يخضعوا تماماً الا في سنة ١٢٢ ق م

الفصل الثاني

في حرب بوغرنا

ان مسينيسا الذي ملكه الرومانيون على بلاد نوميديا خلف ثلاثة
بنين مات منهم اثنان وبقي ميسيسا الذي ملك بعد وفاة اخويه على
جميع ذلك الاقليم وكان لهذا الامير غلامان وابن اخ اسمه بوغرنا احبه
جداً واعنى بترتيه غاية الاعناء

وكان بوغرنا جميلاً وشجاعاً لا يهاب الموت ويتغنى الاخطار بقلب
ثابت كأنه ساع لنيل المني ولقد الف ركوب الخيل وهو صغير فشب فارساً
مغواراً لا يخاف من مخبة الضرب والطعن ولا يخشى بميدان البسالة والاقدام
وكان مع ذلك لطيفاً بشوشاً لا يعرف العجب والافتخار فاحبه جميع الفرسان
والابطال ودانوا له طائعين اخياراً

وكان الملك قد تنبه من غفلته وادرك ان بوغرنا لا يد يوماً ان يخلع اسير
عن سرير الملك ويرتقيه بدلاً منهما فاراد الفتك به اغتيالاً ولكنه خاف
الشعب وخشي حدوث ثورة وقتل اهلية فارسله بفرق من جنوده الى الديار
الاسبانية ليساعد الرومانيين على افتتاح مدينة نيانسيا آملاً ان شجاعته
توقعه بالمهالك . فاسرع بوغرنا الى ساحة القتال وظهر اذ ذاك من الباس
والاقدام ما حير الابطال وسهل له سبل التزلف من القواد العظام الذين
اهاجوا في صدره حاسات الطمع بقولهم له انه يمكنه الملك على البلاد
النوميدية وارضاه الرومانيين ليغضوا الطرف عنه بالذهب الاصفر الزمان
ولما انتهت الحرب واراد سيبو صرف الجنود التي انت لمساعدته دعا
بوغرنا واتى عليه ثناء طيباً ومنحه هدايا ثمينة وحرضه ان يكون صديقاً

صدوقاً للشعب الروماني والا يغفل عن عمل كل ما يرضيه ليجرز الفخر
وينال المقام العالي ثم امره بالانصراف بعد ما اعطاه كتاباً الى ميسبسا هذا
معناه

احيطك علماً ان بوغرنا قائد جنودك قد اظهر في هذه الحرب فعلاً
تخير الشجعان فساخر بصافته الحسنة مجلس وشعب رومية ليجاه وبجلاء
كما احبه واجله انا وبناء عليه اهتك ببطل هولاء ريب اهل لان يكون
ابن اخيك وحفيد ميسبسا العظيم

وعلم الملك استحالة اهلاك بوغرنا سرّاً او علناً واراد تلافى الخطب
ومصادقته فنباه واشركه في الملك مع ابنه الشرعيين وحينما حضرته ساعة
الوفاة ضمه الى صدره رسالة الابلجول عن العهد وان يتذكر احسانه اليه
وبعامل ابنه بمثل ذلك

وبعد ان دفن الملك المتوفى بالتجلة والتكريم اجتمع الامراء الثلاثة
للنظر في امور المملكة واصلاح شؤونها المخناة وكان اصغر ولدي ميسبسا
فتى حاذقاً نجيباً يحقر بوغرنا ويغضه فأتى وجلس على يمين اخيه لئلا يكون
ابن عمه في الوسط وهو محل يحفظ في الاجتماعات لذوي المكانة العالية
وبدل في كل حال على الرئاسة فغضب بوغرنا ووغر صدره عليه لا سيما
حينما قال انه يجب مراجعة الامر التي اصدرها ميسبسا في السنين الخمس
الاخيرة اجابه ذلك الفتى نعم انا راض بما تشير به لان ابي قد تبنك في هذه
المدة فاشعل هذا الكلام القاسي في قلب بوغرنا سعي الغضب وحب الانتقام
وارسل رجالاً الى منزل ابن عمه قتلوه به ليلاً

وعلم النوميديون بما حدث فانقسموا الى قسمين حازب كل منهما احد
الامراء وانتشبت لذلك الحرب بين الفريقين واحترمت نار الفتن الاهلية
ولما كان الفرسان والابطال يحبون بوغرنا لبسالته انضموا اليه جالاً فتقدم
بهم الى ساحات الضرب والطعان وافتتح المدائن واستولى على جميع البلاد

ورأى ادربال بن ميسيسا فوز خصمه والاطار التي اصبح محاطاً بها من كل جانب ففر هارباً الى ولاية رومانية ومن هناك اسرع بالذهاب الى رومية

وخشي بوغرنا غضب الرومانيين فارسل على الفور سفراء الى رومية واعطاهم الهدايا الثمينة والاموال الوفيرة ليسترضوا الرومساء وبرشوا القابضين على زمام الاحكام فنجح اولئك الرسل بالتزلف من الكبراء واستمالهم لسيدهم وغض المجلس لذلك الطرف عن اعماله النجعة وامر بقسم المملكة بين الامير بن فنال المغنصب احسن القسمين واكبرها غير انه لم يرض بما حازه بل شن الغارة على ادربال وبعد حروب طويلة استولى على مدائنه وامائه شرميتة . فاغضب هذا الفعل الشعب الروماني وامر بوغرنا بالحضور الى رومية ليبراً نفسه فيها فنجاء اليها متكللاً على دراهمه ودناءة كبراء تلك المدينة ولقد كاد يظفر بالمني لولم يقتل هناك نوميدياً سليل ميسيسا اراد ان ينازعه الملك حينئذ اعلنه المجلس الحرب واوعز اليه ان ينادر ايطاليا حالاً قبل انه لما خرج من رومية فاه بهذه الكلمات ايها المدينة المبنية على الفساد والرشوة انك على شفا الخراب ولا يعوزك غير مشترٍ بشتريك

واراد الرومانيون ناديب بوغرنا الظالم الطاغى فارسلوا الى افريقيا جيوشاً جراحة سنة ١١٠ ق.م. واملوا ان يفعلوا بها ذلك الرجل المخال ولكن دناءة وطمع القواد حالا دون النجاح والبسا تلك الامة العظيمة ثوباً من الذل والعار لان الملك النوميدي قدر ان يستميلهم بالدرهم الغرار فاهلوا واجباتهم وقضوا اياماً كثيرة بالجوLAN بالبلاد بلا فائدة واخيراً حينما رجع الفصل رئيس تلك الجنود الى رومية اغنم بوغرنا الفرصة وحارب عساكره وقهرهم واكرهم ان يروا تحت النير دلالة على الذل والعبودية ولما بلغت تلك الاخبار الشعب الروماني غضب جداً وبعث سنة

١٠٩ ق ٠ م ميتلوس مع جيش جهزه له وكان هذا القائد خبيراً بالفنون الحربية ورجلاً فاضلاً لا يؤثر شيئاً على خيرا منته والبلاد فاتى افريقيا وياشر الحرب بهمة وحكمة فنال على عدوه ظفراً مبيتاً واستولى على المدائن الحصينة ولقد كاد يذل جميع المصاعب ويقبض على بوغرتا اسيراً لولا ماربوس احد قواده الذي رغب في الارغاء فحمل الرومانيين بدهائمه ومكره على اقامته قنصلاً ونقليده قيادة الجيش

وفي سنة ١٠٧ ق ٠ وصل ماربوس الى افريقيا واثار على النوميديين حرباً عواناً ففهرهم مراراً وشنت عساكرهم في البلاد واكره بوكس ملك موريتانيا وحما بوغرتا على العود من ساحة القتال وطلب السلام فارسل اليه خازنه سيلاً وهو رجل بقل نظيره في الدنيا ودليل ذلك ما ستره في هذا الكتاب عن اعماله العظيمة التي تشهد له بالبراعة والفتنة ولكن لا تبرئه من المكر الذي اتخذه شعاراً ولا تبيض سيرته التي اسودتها قساوته وجعلته مثلاً للحقد وحب الانتقام

وحينما قابل سيلاً الملك المغربي اخبره ان المجلس الروماني برضى بابرار الصلح معه بشرط ان يشتري السلام بخدمة مهمة ويسلم صهره بوغرتا الى الرومانيين فنردد بوكس زماناً طويلاً حتى انه عزم ان يقبض على سيلاً ويسلمه اسيراً الى بوغرتا غير ان هذا البطل الروماني تغلب عليه بمكره ودهائمه وراه جلياً ما وراء غدره من الاخطار وخوفه من غضب الرومانيين فحمله على خيانة صهره الذي دعاه اليه محتجاً انه يريد مخابرة ولما حضر قبض عليه وسلمه الى سيلاً مكبلاً بالقيود وهكذا انتهت هذه الحرب الشهيرة التي كان بودنا ان نتكلم عنها بالتفصيل حسبما روى ذلك سلسلست المورخ اللاتيني البليغ لولا وجوب مراعاة المناسبة في الاخبار من حيث الاسهاب او الاختصار وخوفنا من ملل المطالعين في ديارنا العربية لانهم لم يعتادوا درس الحوادث القديمة بهمة ونشاط فينفروا من كثرة الاسماء العجيبة وتستك مسامعهم

من الفاظها الوحشية فيخذون ما نكتبه ورآهم ظهرياً كما اتخذوا كتباً أخرى تاريخية عنها او ترجعها بعض الفضلاء من ابناء الوطن ولا ذنب على اولئك المؤلفين او المترجمين سوى انهم لم يسطروا الكلام على الاخبار التي تستلفت انظار المتفكرين ولم يسهلوا الحوادث القليلة الالهية المملوءة بالالفاظ الغريبة التي يجب حصرها في الجداول التاريخية او تركها راساً لانها من مباحث الاسفار المطولة . وهناك ايضاً ذنب آخر وهو ان بعض المترجمين غير مضطلع بلغته التي يكتب فيها او ينقل اليها فيلتزم الترجمة الحرفية ويعسر عليه احياناً فهم غرض المؤلف فيأخذ في التاويل والتعريف وهو يخطط خبط عشواء فياتي كلامه لغواً وعباراته خارجة عن حد التركيب المألوف وبعضهم يكون قليل المعرفة باللسان الذي يترجم منه فيتنصرف بالمعاني وهو لا يدري

وكان سيلاً يفاخر ماريوس بنصرتو على الملك النوميدي حتى انه عمل خاتماً نقش عليه صورته وصورة باخس آتياً يسلم اليه يوغرنا الذي اُحضِر الى رومية ومشى امام مركبة القائد الظافر حينما احتفل بنصرتو ثم طرح بالسجن ومات فيه جوعاً

الفصل الثالث

في حرب السمبريين والتيتونيين
والحرب الالهية والايطالية

ان تاريخ الشعب الروماني هو بالحقيقة سلسلة قتال وفتن فلا تكاد هذه الامة توصلد باب حرب الا وينفخ الزمان لها ابواباً لذلك لم يكن فرحها بانتصار ماريوس او قهر يوغرنا خالصاً من شوائب الكدر لان السمبريين والتيتونيين وهم قبيلتان ساكنتان في الجهة الشمالية من اوربا زحفوا الى الجنوب

بالقرب من جبال الالب واخذوا في تخريب ونهب البلاد الغالية فارسل
 المجلس الجيوش اللازمة لفتح هولاء البرابرة ولكن قواد تلك الجيوش كانوا
 جاهلين غير متفنيين فانكسروا سنة ١٠٤ ق.م كسرة مهولة لم ير الرومانيون
 نظيرها منذ تاسيس مدينتهم لان الاعداء قتلوا منهم ثمانين الف رجل
 واربعين الفا من الخدام والتابعين غير ان هولاء الاقوام الظافرين لم
 يتنعموا بنصرتهم بل طرحوا الذهب والفضة والامثلة الثمينة التي غنموها في
 النهر ومزقوا الثياب وكسروا السلاح وغرقوا الخيل وعلقوا الموتى باغصان
 الشجر وعوضاً عن ان يجنازوا جبال الالب ويدخلوا الى ايطاليا رحنوا الى
 اسبانيا فقهرهم هناك السلتيون والمجاوهم الى رجوع من حيث انوا

ولا يمكننا تصور الكدر الذي استولى على الرومانيين حينما نعي لهم
 ذلك الجيش الجرار فهاجوا وامروا بخلع القائد عن مصبه وحجز املاكه
 ولا يخفى ان هذا الامر قصاص قاس لم يعاقب به قائد قبلاً

ولم ير الشعب في هذا الضيق رجالاً اقدر من ماريوس على انقاذ
 الوطن من مخالب الاعداء فاقامة قتلاً اربع سنوات متوالية وذلك
 مضاداً للعوائد الرومانية والقوانين فشرع ذلك البطل يستعد للكر
 والكماع ويعود جنوده الانعاب والصبر عليها ثم زحف وعسكر على نهر
 الرون فالتقى هناك بالتيونيين الذين ابي قتالهم لانه رام اولاً اخنبار شجاعة
 عساكره وجعلهم بالنون صباح البرابرة الشبيه بعولاء الذئاب ولا يجزعون
 من مناظرهم الوحشية الفسيحة قبل ان قائدًا تيتونيًا قوياً طويلاً اراد
 مبارزته فاجابه اذا كنت تحب الموت اذهب واشتق نفسك . ولما رأى
 التيتونيون ان الرومانيين يرفضون القتال رحنوا الى ايطاليا فتناثرهم الفصل
 وهجم عليهم بالقرب من مدينة اكس سنة ١٠٢ ق.م وقتل منهم واسر اكثر
 من مئة الف رجل وفي اليوم الثاني اتى ماريوس رسل من رومية واخبروه
 انه اقيم قتلاً من خامسة فسبب هذا الخبر في المعسكر فرحاً عظيماً واصبح

لذلك السرور عاماً

وفي سنة ١٠١ ق.م التقى السبيريون والرومانيون عند نهر البق
وشرع كل فريق يستعد للكر والكناح ويظهر ان السبيريين لم يبلغهم
خبر انكسار التيتونيين او لم يصدقوه فارسلوا رسلاً يطلبون الى القنصل
ان يعطيهم اراضي ومدائن كافية لسكنهم مع اخوتهم

— فسألم من هم اخوتكم

— قالوا له التيتونيون

فصحك جميع الحاضرين من كلامهم غير ان ماريوس التفت اليهم
واجابهم قائلاً

— لا تهتموا بشأن اخوتكم لاننا قد اعطيناهم ارضاً كافية سيملكونها

الى الابد

فغضب السفراء جداً وظهرت على وجوههم سمات الحنق وقالوا له

— ستندم على كلامك لان السبيريين سيفتكوك بك اولاً جزاءً

لك على احقنارك ايانا وحينما يصل التيتونيون سيقانلوك قتلاً لا يبق
ولا يذر

اجابهم ماريوس فد واصل من مدة واطن انه لا يليق بكم ان تذهبوا

قبل ان تروهم ونسألوهم عليهم

ثم امر باحضار ملوك (اوقواد) التيتونيين الذين اسرهم فراهم السفراء

ورجعوا في الحال يخبرون قومهم بما جرى

والى السبيريون بعد ذلك وعسكروا في مكان قريب من الرومانيين

وركب ملوكهم بوجار كس بفرقة من الفرسان وجاء وطلب الحرب ملتسماً

من ماريوس ان يختار الزمان والمكان قال له القنصل

لا يخفى ان الرومانيين لم يعتادوا قط ان يشاوروا اعداءهم بشأن

القتال ولكن اجابة لطلبه برضى بحاربته بعد ثلاثة ايام في سهل فرتشله

وفي اليوم المعين التقى الجيشان وانتشبت الحرب وكانت عملاً وقاتل
الهربان في ذلك النهار قتال من استمات وثبتا ثبات الابطال الا ان
الرومانيين انتصروا اخيراً على اعدائهم ونكلوا بهم تنكيلاً واسروا ستين
الف رجل وارادوا الباقيين وبلغت هذه الاخبار رومية ليلاً ففرح الشعب
جداً واخذ يقدم قرايين لما ربوس كما يقدم للآلهة ودعاء مؤسس
المدينة الثالث

ان لفظة ايطاليا كانت تطلق قديماً على الاراضي الواقعة داخل نهر
الروبيكون (الان نهر لوزا حسب منشور البابا سنة ١٧٥٦ غير ان
البعض برجح كونه نهر بيزانلو وهو ابعد منه قليلاً الى الجهة الشمالية) الذي
يصب في بحر الادرياتيک بالقرب من مدينة ريميني الحالية ونهر ارنوس
(الان ارنو) الذي يصب في البحر التيريني الواقع بين سردينيا وايطاليا
بالقرب من بيزا وهي اعظم مدينة في أتروريا (الان توسكانا) وكلا النهرين
واقع في عرض درجة ٤٤ شمالاً أما البلاد الواقعة وراءها الى سفح جبال الالب
فكانت تدعى غالباً السيزالية وهي قد أخضعت من زمان وجعلت ولاية
رومانية

ولم يحسب الرومانيون الايطاليين رعية بل حلفاء تختلف شروط
مخالفتهم باختلاف الازمنة والوسائل التي أخضعوا بها وبناءً عليهم لم يكن
لهم جميع امتيازات وحقوق الوطنيين سكان رومية غير ان اللاتينيين كانوا
ممتازين عن الامم المجاورة والصابيين كان لهم حق الاقتراع لذلك لم ينهضوا
مع الباقيين في طلب المساواة

وكان الحلفاء مجبرين ان ينفذوا الرومانيين جزية معلومة في كل سنة
وان يقدموا عساكر لمساعدتهم وقت الحاجة غير ان تلك العساكر كانت
منفردة وحدها لا يمكنها الامتزاج مع الفرق الرومانية الخاصة اما قوادها
ورؤساؤها فكانوا رومانيين يطعمون اوامر قائد الجيش العام

وكان الايطاليون من زمان طويل يطلبون الى الشعب الروماني
منهم جميع الحقوق الوطنية فبدلاً من ان ينضمهم تلك الحقوق التي استحوها
بشجاعتهم واخلاصهم للحكومة الجمهورية قتل الحكام والكبراء الذين حازوهم
فانحدوا اذ ذاك جميعهم واناروا على رومية سنة ٩٠ ق م حرباً عواناً دامت
سنتين ولم تنته الا ببيل ما رغبول

الفصل الرابع

في حرب متريدات الاولى
وعداوة ماربوس مع سيلاً

ان متريدات ملك بونتس الذي نازع الرومانيين زماناً طويلاً
السلطة على البلاد الاسيوية ارنقى عرش مملكته في السنة الثانية عشرة من عمره
ولما كان هذا الامير عاقلاً فطيناً اراد اوصيائه ان يهلكوه وهو صغير
فاركبوه فرساً جموحاً اخذ يعدو به الرهق وهو يغبر ويخمد غير ان متريدات
تخلص من الخطر بهارنو وثبات جناحه لانه رجع الى قومه آمنساً قتل انه
كان مولعاً بالطب والتطبيب حتى ان اعوانه لكي يتزلفوا منه كانوا يحرقون
بقعاً من اجسادهم ليعالجهم ويسر بشفايتهم . وادعى انه يحب الصيد لينجو
من القتل ويكون على حذر خارج المدينة فضى سبع سنوات جائلاً في
الرياض والغياض بين الجبال والاكمام لا ينام في بيت ليلة واحدة على ان
هذه العيشة وتلك الانعاب ولدت في قلبه الشجاعة والثبات وعودته الصبر
على الاهوال والريازيا فشب فارساً مغواراً يصطلى بناره وجباراً لا يحاكي
في ميادين الضرب والطعان فقتل اوصيائه وامه واخاه وزحف بعساكره
واخضع فساً عظيماً من البلاد السكيتية (الان السلافية) وغيرها واجبر

التراكين ومن بجاورهم ان يحالفوه ويساعدوه بمجنودهم ويظهر ان نصرانه
 هذه قد زادت امله وازالت على ما زعم جميع العقبات التي تنف في طريق
 نجاحه فطمعت ابصاره الى افتتاح آسيا فغادر بلاطه وسافر متسكراً مع
 بعض اصدقائه يجول في البلاد ليرى قوة المدائن والحصون والمظنون ان
 هذه الرواية قد اختلفها الرومانيون ليسهلوا اعتداء الملك في الحرب التي
 سناتي على ذكرها في هذا الفصل

وحدث ان ملك كبادوكية تزوج كوديكي اخت متريدات فولدت له
 غلامين وكان ملك البونتس جاهداً في الاستيلاء على تلك البلاد فاغتيال
 صهره وسعى ليقول ابني اخيه غير ان نيكوميدس ملك بيشينيا زحف بمجنوده
 وافتتح كبادوكية واقترن بالملكة

ولما بلغ متريدات ما جرى اسرع لمحاربة خصمه فقهره وملك ابن
 اخيه البكر الذي ذبحه بعد ذلك بيده لانه عصي اوامره ولم يرص بارجاع
 غوردبوس قاتل ابيه من المنفى ثم طرد ابن اخيه الآخر وولى ابنه وهو
 صبي عمره ثمان سنوات دعاه اريارانس واقام له وصياً غوردبوس المذكور
 وكان الحكام الذين اقامهم متريدات ظالمين طاغين فمل الكبادوكيون
 من جورهم وارسلوا يدعون ابن ملكهم المتوفى ليهلكوه عليهم فانام هذا الفتى
 على جناح السرعة وحارب متريدات الا انه انكسروا مات

وخشي نيكوميدس من ملك البونتس الذي استولى الان على كبادوكية
 وقويت شوكته ان تدفعه اطماعه الى افتتاح البلاد البشينية المجاورة لها فاتي
 بفتي ملج ادعى انه ابن ملك كبادوكية المقتول وارسله الى رومية مع الملكة
 لوديكي يسال المجلس رد مملكة ابيه عليه وعلم ذلك متريدات فبعث
 بغوردبوس ليدحض دعوى خصمه ويثبت ان الغلام المالك هو ابن الملك
 الحقيقي ويلوح ان الآباء اعضاء المجلس ادركوا ما وراء دعوى الفريقين من
 المكر والخداع فاخذوا كبادوكيا من متريدات وبافلاغونيا من نيكوميدس

(هي بلاد استولى عليها هذا الامير ظلماً وعدواناً) واعلنوا انها حرثان
مستقلتان ولما كان الكبادوكيون معتادين الحكومة الملكية طلبوا تولية ملك
عليهم واختاروا لذلك رجلاً شريعاً اسمه اريو بارزانس
ولم يجاهر متريدات الكبادوكيين بالعداوة ولكنه اثار عليهم الارمنيين
فاستجاروا بالرومانيين الذين ارسلوا في الحال سبيلاً الى آسيا ليصلح
احوالهم ويطردهم المعندين ففعل ذلك سبيلاً ورجع من حيث اتى في سنة
٩٢ ق ٢٠

وكان تيغرانس ملك ارمينيا قد افتتح مدائن واقاليم واسعة شاسعة
فاصبح مرهوب الجانب يخافه جميع الامم المجاورة فتزلف متريدات اليه وزوجه
ببنته كليوبترا ثم اغراه بقتال الكبادوكيين فرحف الارمني بجنوده ولما علم
ذلك اريو بارزانس ترك عرش ملكه ومملكته وفر هارباً يطلب النجاة
ومات في هذه الاثناء نيكوميدس فيلوباتر ملك بيثينيا وخلفه ابنه
المدعو ايضاً نيكوميدس وكان الرومانيون راضين به فاصدر مجلسهم امراً
يثبت جلوسه على اريكة آباءه الا ان اخاه سوكرانس خرسنس ادعى ان
له حقاً بالملك فاستعان بعساكر متريدات وحاربه وخلعه
وعلم الرومانيون ما حدث فارسلوا سفراء الى آسيا ردوا على المملكين
المعزولين ما ففداه وكان متريدات يود النظار بمصادقته فقتل سوكرانس
خرسنس المغتصب الذي لجى اذ ذاك الى بلاده مستجيراً
وحالف متريدات في ذلك الحين تيغرانس ملك ارمينيا وتعاهدا
انهما يتحدا لمحاربة الامم المجاورة وانفقا ان المدائن والاراضي التي يفتحانها
تكون ملك الاول اما الثاني فله الحق بنهبها ونقل سكانها الى مدينة تيغرانوسرنا
التي كانا آخذين ببنائها والتي كان يودان يجعلها من اعظم مدائن العالم
وكان المعتبدون الرومانيون في آسيا يرومون انتشاب القتال
لبتسفي لم النهب وحشد الاموال فاغروا ملك بيثينيا بحاربة متريدات

فشن الغارة على بلاده وغزا قسماً عظيماً منها فتظاهر ملك بونتوس ان لا علم له بما فعل وامر سفراء الرومانيين وارسل اليهم رسلاً يعرضون لهم ما جرى ويسألونهم مدداً لقمع نيكوميدس اولاجباره على ارضاً تو ونعوبضو مما خسرو كان السفراء البيثينيون يتشكون من اعتداء متريدات عليهم وينهمونه انه عدو رومية لكونه اسعف سوكراتس على خلع ملكهم الذي رضية مجلسها واستولى على محال كثيرة في خرزونزس التراكية مع ان الرومانيين حظروا على جميع ملوك آسيا تملك قطعة ارض في اوربا ولولم يكن ناوياً الغدر بن بخاورة لم يجمع الجنود وهو يجهد في محالفة ملوك كثيرين حيثئذ اجابهم ييلوييداس السفير البونتسي ان هذا المقام ليس مقام ماحكة وخصام فالامر واضح لا يستوجب الجدال ثم استأنف التماساً من المعتدين الرومانيين ان يامروا نيكوميدس بكف القتال او يسعفوا متريدات عليه فقالوا له انهم غير راضين بما جرى لان ذلك يضر الجمهورية الرومانية وانهم لا يسمحون لاحد ان يعتدي على الاخر

ولما كان متريدات موقناً ان الكبادوكيين هم المعتدون ارسل ابنه اريبارانس بكتيبة الى بلاده واستولى عليها سرعاً ثم بعث ييلوييداس سفيراً الى المعتدين الرومانيين فقال لهم ان غدرومكر الكبادوكيين قد حملام على محاربتهم وان مولاه قد ارسل يشكوهم الى مجلس رومية فيلزمهم الذهاب الى هناك ليدافعوا عن انفسهم لديه فغضب المعتدون من هذا الكلام وامروا متريدات بالجللاء عن كبادوكية وان يكف كل اعتداء على نيكوميدس ثم صرفوا السفير واوعزوا اليه الا يعود اليهم مرة اخرى اذا كان الملك ظل مصمماً على العصيان

ولم ينتظر المعتدون لاشهار الحرب امر المجلس بل جهزوا سنة ١٧ ق. م من الولايات الاسبوية مائة وعشرين الف رجل قسموا الى ثلاث فرق ورفقهم في البلاد ليحلوا المراكز الحسنة ويجهزوا على الاعداء وامدم

نيكوميدس بخمسين ألف راجل وستة آلاف فارس . اما عدد جنود
متريدات فكان مائتين وخمسين ألف راجل واربعين ألف فارس وكان له
مائة وثلاثون مركبة مسلحة واربعائة سفينة حربية وامدة صهره نيفرانس ملك
ارمينيا وملوك بارثيا (خورسان) وسوريا ومصر بعدد عديد من الابطال
والفرسان

وهاجم قائدا ملك بونتس نيكوميدس بعشرة آلاف فارس ارمني
وبضع مركبات فكسراه وشتتا شمل عساكره وعامل متريدات بعد هذه
الوقعة الاسراء بالرفق والاحسان وارجعهم الى بلادهم بلا فداء ثم زحف
بجنوده الجيزة وقهر فرقة رومانية والجماء الفرقتين الباقيتين الى الفرار
فحضعت له البلاد صاغرة واستنبت له الامر في جميع تلك الانحاء وبظهران
الاتصار لم يبطره ولم يهجم بصدرة حب الانتقام بل صغ عن الاهلين كافة
واعفاهم من الديون التي عليهم للحكومة وسمح لهم بجزية خمس سنوات
واستولى بعد ذلك على كل مدائن وجزائر اسيا الصغرى ما خلا رودس
وقبض على القائد ابيوس الروماني واكرمه اما القائد اكييليوس فعامله
بقسوة عظيمة واركبه على حمار في مقدمة الجيش واجبره ان ينادي وهو
سائر انا مانيوس اكييليوس البروقنصل الروماني وامانة اخيرا في اراضي
تروادة بان صب ذهباً مصهوراً في حلقه وذلك تويجاً للرومانيين على
طعمهم الاشعي

وعزم المجلس في هذه السنة على محاربة متريدات وتأديته فجهز جيشاً
جراراً ولى القنصل سيلاً قيادته فهاج ذلك في فواد ماربوس حاسات
الحسد والغضب لانه كان عدوه وكان يرغب من زمان طويل قتال ملوك
اسيا طمعا بثروة تلك البلاد فسعى مع صديقه سيلبيسيوس احد وكلاء الشعب
في عزل سيلاً عن منصبه فتم له ما اراده لان المجلس اكرهه على اصدار
امر بهذا الشأن لكن سيلاً كان وقتئذ بعيداً عن رومية بحارب او بمحاصر

مدينة نولا فلم يصدع بامر المجلس وقتلت عساكره الرسولين المرسلين لا بلاغ
ما حدث ولما علم ذلك ماريوس قتل كثيرين من اصدقائه وحجز املاكهم
وهو يريد بهذا الامر ان يشفي غليله وينتقم من عدوه الالد حينئذ زحف
سيلاً مجنوده الى رومية ودخلها بعد ان قهر اعداءه وجمع المجلس في
الكابيتولينوس واوعز اليه ان يصدر امراً بنفي ماريوس وابنة وسليسيوس
ونسعة اخرين فلم يجسر الاعضاء ان يفوهوا ببنت شفة بل صدقوا جميعهم
على ما طلبه

ولم يكف سيلاً نفي عدوه بل أهدر دمه ووعد من يقتله جزاءً ففر
ماريوس من رومية هارباً وهام على وجهه في المدائن والجوار وما زال
محفوقاً بالمشقات والاطار حتى التى اعداءه القبض عليه في مرج متورني
وقادوه اسيراً روى المورخون انه قال لفتى سميري هم يقتلوا تجسر يارجل
ان تقتل ماريوس فجزع السميري وهرب واخذ بعدو حتى وصل الى المكان
المجتمع فيه شعب تلك المدينة فطرح سيفه وصرخ لا يمكنني ارداء هذا البطل
ويظهر ان المتورنيين اشفقوا عليه وخافوا منه فجهزوا له مركباً واعطوه
زاداً وسحوا له بالرحيل عن ديارهم

وظل هذا القائد الشهير تائماً خائفاً حتى وصل الى افريقيا فلقية هناك
بين اطلال قرطجة رسول والي تلك الولاية وامره ان يرجع من حيث اتى
فاجابه اذهب وقل لمن ارسلك انك نظرت ماريوس بين اطلال قرطجة
ومعنى هذا الكلام ان ما حدث له ولتلك المدينة العظيمة مثال صريح
لغدر الدهر يعلم الوالي المحذر من صروف الزمان

ولما كان سيلاً قد غادر رومية ورحل لقتال متريدات قدر ماريوس
ان يرجع اليها سنة ٨٦ ق م آمناً سالماً لان صديقه سنا الذي اقيم قنصلاً
اعانه على ذلك فدخلها مع اربعة الاف عبد قوي شجاع واوصد ابوابها
واخذ يقتل الاهلين بقساوة تفشع منها الابدان فمثله مثل رجل بربري

قد استولى على مدينة عنوة وولجها ظافراً ومشهراً سيف الانتقام لا يعرف سوى سفك الدماء ونهب المهج

وكان اعدائهم واصدقائهم يرتعدون خوفاً لان حيوتهم كانت متوقفة على اشارة او التفاتة منه وكثيراً ما كانت اعوانه الاشرار يفتكون بالاولى لا يرد عليهم النجدة والسلام وبينما كان الدم جارياً في شوارع رومية كالانهار نهض ذلك الوحش البربري وقص على الشعب المجمع ما عاناه من المشقات والاختار ثم قال انه يعود الى المدينة قد عاد اليه ما خسرته حين نفيه منها

وبعد ان دام هذا الظالم الفاجر قوانين بلاده وشرائع الاسانية اراد ان يسترا اعماله القبيحة ببرقع العدل فسمع بمرافعة الذين يروم قتلهم فمات عدد عديد من الكبراء والعوام بسيف جوره وجور عدله وفر كثير من العظماء الى بلاد اليونان يستجبرون بسبلاً واخبروه ان عدوه قد حرق بيته وخرّب اراضيّه واهلك اصدقائه واستبد بالسلطة يفعل ما يشاء وبشاء ما لايجل فعله ومع كل هذا لم يكن ماريوس يعرف لذة الراحة اوراحة الضمير بل كان قلقاً تنقاذة امواج الهبوم لانه كان خائفاً سيلاً وما زال كذلك الى ان قبض في ١٢ كانون الثاني سنة ٨٥ ق م وله من العمر واحد وسبعون عاماً

ولما استتب الامر لمتريديات بقره الجنود الرومانية اصدر منشوراً الى سكان البلاد يامرهم به ان يقتلوا في يوم عينه لم جميع الايطاليين الموجودين في مدائنهم رجالاً ونساءً اولاداً وشيوخاً عبيداً ومعنفين وان يقتسموا بينهم وبينه اموال اولئك التمساء وجعل جزاء من برحم ايطالياً الموت الزوام فمات في هذه الجزرة مائة الف روماني ويظهر ان الاسيويين كانوا اشدّ عداوة وبغضاً لهؤلاء الغرباء من ملكهم حتى انهم لم يفعلوا عن احد لا خوفاً من متريديات بل شفاءً لغليلهم بماء الانتقام

ولكي يمنع الرومانيين من الدخول الى آسيا عزم على جعل اوربا ساحة القتال فارسل اصغر اولاده المدعو ار يارانس مع جيش جرار الى ثراكية ومكدونية وبعث ارخلاوس اعظم وامهر قواده بعارة الى بلاد اليونان ليغري الشعب بمجازته بالقوة والكلام فحالفه الاثينيون وعولوا على مساعدته

وفي سنة ١٧ ق. م. وصل سيلاً الى بلاد اليونان واسرع لمحاربة الاثينيين فحاصر مدينتهم واخذ يستعد للهجوم لان اسوارها كانت متينة جداً وارسل يسال الامفطيون او مجلس الولايات اليونانية المجتمع في ذلتي ان يبعث اليه بالاموال المذخورة في هيكل الاله ابولو ليحفظها عنده فاذعن المجلس لوامره واعطاه الاموال المطلوبة وسلم اليه ايضا اهالي اولبيا وايدورس اموال هيكل جوبيتر واسكيلايوس

وكان ارخلاوس قائد متريدات قد دخل بيرياس ميناء اثينا فحارب سيلاً مراراً ورد هجماته على الاسوار وجرت لذلك وقائع كثيرة اظهر فيها الفريقان شجاعة عظيمة الا ان القائد الروماني تغلب على اعدائه وفتح المدينة عنوة سنة ١٦ ق. م. واكره ارخلاوس على الفرار الى سفنو ثم قتل كثيرين من كبراء الاثينيين والعوام وحرهم حق انتخاب حكام وسن شرائع اي سلمهم الحرية التي طالما جاهدوا في الدفاع عنها مخاطر بن بالارواح ولقي بعد ذلك ارخلاوس في خرونيا وكسره وافنى جيشه الذي كان اكثر عدداً من الجيش الروماني باربع مرار ثم قاتل قائداً اسبويًا اخر في سهل اورخومينس وقهره واردي من عساكره خمسة عشر الف نفس قيل ان الرومانيين خافوا جداً حينما دنوا من جيش متريدات وراوا كثرة عدده فارادوا الهرب فاخذ سيلاً رابة وتقدم وحده للقاء الاعداء وهو يخاطب رجالة دعوني اموت مجيداً في هذا المكان واذهبوا وقولوا لمن يسالكم ابن نركتم قائداً اننا تركناه في اورخومينس فنارت بهم الحمية واحدمت بقلوبهم

نار الشجاعة وبادروا الى الضرب والظعن فدحروا هولاء البرابرة وشتوا
شملهم وبقي ارخلاوس يومين متوارياً في المروج الموجودة هناك الى ان
تمكن من الفرار والنجاة

ولما كانت احوال متريدات في آسيا على غير ما برام لظلمه وفجوره
ورأى انتصار الرومانيين الميين على جنوده في البلاد اليونانية ارسل يامر
ارخلاوس ان يهادن سيلا بالشروط التي يراها موافقة فاسرع ارخلاوس
بمخافة القائد الروماني الذي كان يرغب السلام كرجبة الملك فيه لانه كان
يود الرجوع الى ايطاليا ليستقم من اعدائه المجائرين اللثام

وكان القائد الاسيوي عالماً بما هو جار في رومية فقال لسيلا اذا
كنت ترضى ان تملك متريدات على آسيا وبونتس وترجع الى ايطاليا
لنهدم نار الفتنة الاهلية فالملك يعينك بالمال والرجال اجابه سيلا اذا
كنت تخون متريدات وتسلم سفنة الحرية للرومانيين يمكنك ان تخلعه
وتملك عوضاً عنه ويكون المجلس راضياً عنك ويمنحك لقب صديق وحليف
شعب رومية فاثماً ز ارخلاوس وظهرت على وجهه سمات الكدر فقال له
سيلاً انت عبد او صديق ملك بربري ترفض اشتراء الملك بالخيانة
فكيف نجسر ان نسال قائد الرومانيا هو سيلا خيانة وطنه لعلك نسيت
انك انت ارخلاوس الذي ترك منذ بضعة ايام جيشه في سهلي خرونيا
وارخومنس رزقاً لطيور السماء ووحوش الفلا

ولا ريب ان كلام القائد الروماني البطل قد اخاف ارخلاوس
واذهله حتى انه رضي حالاً بالشروط التي اقترحها سيلاً وهي

اولاً يترك الملك آسيا وبافلاغونيا ويسلم بيثينيا لنيكوميديس
وكبادوكيا لاريوبارزانس وينفذ الرومانيين التي رنة تعويضاً

لهم من نفقات الحرب ويعطيهم سبعين سفينة حربية

ثانياً يثبت سيلا متريدات ملكاً على الاراضي الباقية ويمنحه لقب

صديق وحليف الامة الرومانية

وكان الملك متردد في التصديق على العهدة فارسل رسلاً يخبرون سيلاً
انه يرضى بالشروط المقترحة الا انه لا يمكنه تسليم بافلاغونيا والسبعين
سفينة فطار الشرار من عيني القائد الروماني واجاب الرسل قائلاً أرفض
متريدات ان يعطي ما امرته باعطائه لم يكن واجباً عليه ان يخز ساجداً
عند قدمي وبشكري لانني تركت له يده اليمنى التي ذبح بها الرومانيون
لذلك سأؤدبه حيناً احضر الى اسيا اما الان فدعوه بمحدث نفسه بحرب
لم يرها بعد فخاف متريدات وصدع بامر الظافر الشجاع
وبعد ان اصلح سيلاً شوون البلاد عاد سنة ١٢ ق. م الى ايطاليا
بجنوده الجرارة واحل برندز يوم واسرع بالمسير الى رومية

الفصل الخامس

في استيلاء سيلاً على رومية
واقامته ديكتاتوراً طول حياته
الى حين موته سنة ٧٨ ق. م

ولما علم اصدقاء ماربوس والفايضون على زمام الاحكام بوصول
سيلاً الى ايطاليا نهضوا يداً واحدة وجهزوا الابطال والفرسان وزحفوا
لفتاله وقتلوه ان امكن فانتشبت الحرب بين الفريقين مراراً وكان الظفر في
جميع الوقائع خاضعاً لسيلاً ومعقوداً بلوائه لان عساكره كانوا شجعاناً قد
اعنادوا الضرب والطعان ورجالاً آمناء يخاطرون بارواحهم في ساحات
القتال حباً به وحازبه بومباس وكراسس الشهيران واعاناه على محاربة
الاعداء وقهرهم

وبينا كان سيلاً رانعاً في بحبوبة الظفر الممين وسائراً في سبل النجاج
حدث حادث كاد يوقعه في مهاوي الذل والفشل وذلك ان بونتيوس
تليز ينوس القائد السمنيقي كان زاحفاً لاعانة مدينة بريستي قبله ان سيلا
وبومبايس آتيان لمحاربته فنهض على الفور ومشى الى رومية واراد محاصرتها
فخاف الاهلون منه خوفاً لم يروا مثله منذ ايام انيبال القرطجي غير انهم
استعدوا لقتاله وخرجوا عليه ليدافعوا عن مدينتهم فلم يشتعل امامه ولم يطبقوا
كرهه وكفاحه ورجعوا حالاً الى رومية مدحورين

وعلم سيلا بما فعل الاعداء فاتي بعساكره مسرعاً وهجم عليهم هجمة
الاسد الرئبال وحملت الرجال على الرجال وسالت الدماء انهاراً وكان
تليز ينوس قائد السمنيقيين يجول بين الصفوف يشجع الابطال ويحث
الشجعان وهو يقول . هذا اخر يوم من حياة رومية نهدم به المدينة وتندك
اسوارها لاننا لانجو من تلك الذئاب الخاطفة السالبة حرية الايطاليين
الابجراب وجارها ولما كان الرومانيون قد انعمهم مسيرهم السريع وكانوا
قد بادروا الى الحرب قبل ان يستريحوا خارت قواهم وابتدأت جنود الميسرة
في الرجوع الى الوراء والهزيمة ولما راي ذلك سيلا ارتبك في امره واخذ
صورة الاله ابولو التي كان معلقها في عنقه وقبلها وقال ترى بعد ما انتصرت
مراراً عديدة في جميع الاقطار قد انيت الى وطني لاقهر عند ابولاي واهلك
لابساً لباس الذل والعار

ودام الفوز للسمنيقيين الى ان خيم الظلام وخرّ تليز ينوس قائدهم
جريحاً فانكسروا واستولى الرومانيون على معسكرهم وارادوه جميعاً
وكان ماريوس بن ماريوس الشهير قد لجى الى مدينة بريستي
وتحصن فيها فحينما بلغه خبر انكسار القائد السمنيقي يس من الفوز وانتحر
ففتحت المدينة ابوابها لسيلا وخضعت له صاغرة حيثذ لقب ذلك البطل
نفسه بالسعيد ودخل رومية ظافراً واخذ في سفك الدماء وقتل ابرياء

ومجرمين بلا فخص ولا شفقة فمجرى من المهجات مجرّز آخر واصبحت عاصمة
العالم والبلاد الايطالية مجرّراً تذبج به الناس كالاغنام
وفتح هذا الظالم اعماله الوحشية بان جمع ثمانية الاف اسير في محل عمومي
وامر المجلس بالالتئام في هيكل بلونا القريب من ذلك المكان وبينما كان يخطب
كانت عساكره كما اعز اليها تقتل اولئك الاسراء النعساء الذين ملأ
صراخهم ونواحهم النضاء فرعب اعضاء المجلس وتغيرت الماكنهم فقال لم
سيلا انتبهوا ايها الآباء لما انا قائلة ولا تبالون بصراخ بعض اشياء امرت
بقصاصهم

بعد ذلك شرع في القتل والنهب فلم يصنع عن احد من اعدائه ولا
اعداء اصدقائه وكثيرا ما كان اعوانه يقتلون اناسا ابرياء لسبب رفعة
شانهم او طمعاً باهم وفي ذات يوم قال له كانيلوس احد اصدقائه مع من
يلزم ان نعيش اذا كنا نقتل في الحرب الرجال المسلمين وفي السلم الذين
نراهم عزلا وسالة صديق آخر منى تكون نهاية هذه البلايا ومن هم الذين
عزمت على اردائهم والذين ترغب خلاصهم اجابة سيلا لست اعلم بعد من
سأترك حياً وطلب اليو آخران يعلمهم اسماء الاولى يريد اهلاكهم فوعدهم
بذلك وفي الغد اصدر منشورا كتب فيه اسماء ثمانين شخصا حكم عليهم
بالموت وامر ان كل من يخلص احدا منهم يقتل ومن يقتل احدهم ياخذ
جزاء الذي زنه وان املاكهم واموالهم تنجز ولا يجوز لاولادهم ولحفندتهم ان
يتولوا منصباً في الحكومة وطريقة القتل هذه هي اهدار الدم واول من اجراها
هو سيلا قال سلست المؤرخ انه اول من فرض قصاصا لاناس لم يولدوا
بعد واعد ضرراً للاولى حياتهم غير مؤكدة

وفي اليوم التالي اهدر دم مائتين وعشرين نفساً وفي اليوم الذي بعده
مثله وقال للشعب وهو مجتمع انني قتل من فطنت به والذين نسبهم
الان ساهلكم فيما بعد وبالجمله انني لا اعنو عن احد من اعدائي ثم اصدر

مشهوراً اهدر بدم اربعين ابا من اعضاء المجلس والف وستائة فارس
 قيل ان متريدات لم يذبح من الابطالين بمقدار ما ذبح منهم سيلا لان
 جلاديه كانوا يطوفون في البلاد يبحثون عن الذين حاربوا ماريوس
 ويقتلونهم ولم يكن الذنب فقط بحاربة سيلا بل بمساعدة اعدائه او مصادقتهم
 او اقراضهم دراهم او السفر معهم ولو اتفاقاً وكانت ابصاره طامحة الى
 الاغنياء ليستولى على اموالهم ويعطيها لاعدائه وقد والى اناساً اشقياء لئاماً
 كان اولي بهم الصارم النار من جملتهم او بيانيكس وكاتيلينا فالاول فارس
 روماني من لارنيوم قتل امرأة اخيه ليرث ابنة اموال جدته فاغضب فعلة
 اقرباءه وارادوا اهلاكه ففر هارباً الى معسكر ميتلوس وحدث ان سيلا
 ارسله بعد ذلك بفرقة من العساكر الى مدينة لارنيوم لقضاء بعض
 حاجات فذبح جميع الذين قصدوا اضراره والثاني قتل اخاه وطلب الى
 البروقنصل ان يدرج اسم اخيه بين الذين حكم عليهم بالموت وقبض على
 رجل اسمه ماريوس غرانيديانوس وجلده في المدينة امام الناس ثم تبعه
 الى ضريح كسر عليه رجله وذراعيه وقلع عينيه وقطع يديه واذنيه وبعدما
 اذاقه من العذاب الوثأناً ضرب عنقه واحضر راسه الى سيلا في النورم وذهب
 وغسل يديه في بركة هيكل الاله ابولو المقدسة

وكان بوليوس قبصر في خطر عظيم لان ماريوس الكبير تزوج
 عمته واقترب هو بابنة سناً ففصله سيلا عن الكهنة ارفاقه وحجز املاكه
 وكاد يقتله لولم ياتو كبار رومية والمتنبلات خادمات الالهة فيستاولعن
 عليه بالنعو عنه اجابهم قد تغلبتم علي في هذا الامر ولكن اعلما ان الذي
 تودون خلاصه سيقتلهم جميع الاحزاب واذا كنتم لا ترون في هذا الغلام
 رجلاً يفوق ماريوس يكون الجهل قد اعى ابصاركم وبصائركم وجعلكم لا
 لا تدركون من العالم شيئاً

ويلوح ان قتل الناس وتنكيلهم لم يكتبوا ذلك الظالم الطاغى بل امر

بهدم وتخريب مدائن كثيرة وذبح قسماً عظيماً من سكانها وقتل جميع
السنتينيين او نقام من ايطاليا محججاً ان هذه الامة عدوة الرومانيين فلا
تدعم ابداً يذوقون لذة الراحة والسلام

ولما آن اوان انتخاب قنصلين بتوليان الاحكام جرياً على العادة غادر
سيلاً المدينة وعاد الى معسكره وكتب منه الى المجلس او الى رئيس لجنة
الاقتراع كتاباً يامر فيه ان يسال الشعب اقامة ديكتاتور يقبض على
زمام الاحكام الى اجل غير مسمى ليصلح الاحوال في سائر الاقطار وختم
رسالته بقوله انه يود تقديم هذه الخدمة للجمهورية اذا كانت الامة ترضى
بذلك حيثن جمع فالربوس رئيس لجنة الاقتراع الشعب ووضع قانوناً
مفاده اقامة سيلا ديكتاتوراً الى اجل غير مسمى وصدق على جميع اعماله
الماضية واعطاه سلطة مطلقة على حياة واموال الوطنيين

وفي اول كانون الثاني سنة ٨١ ق.م احتفل الديكتاتور بنصراته
في الشرق واقبست الافراح يومين وكان الاباء اعضاء المجلس والوطنيون
الذين صانهم من غضب ماربوس وسناً ماشين خلفه فرحين وهم يدعونه ابا
الوطن وحامي الزمار غير ان بعضاً من عساكره دعاه ملكاً متكرراً اما التاريخ
فلا يتردد بتسميته ظالماً طاغياً مستبداً

وحينما انتهى الاحتفال ارتقى سيلاً المنبر وخطب خطاباً طويلاً ذكر
فيه اعماله العظيمة ونسب نجاحه لالهة الحظ ودعا نفسه لذلك بالسعيد واقام
المجلس له تمثالاً كتب عليه اسمه مع هذا اللقب

وكان كثيرون ممن حازب ماربوس وسناً قد لجئوا الى سيسيليا
وافريقيا وجاهروا بالعصيان فارسل الديكتاتور بومبايس ليقاثلهم
فسار هذا القائد الفتى بالجنود اللازمة وقهرهم ثم ارتد راجعاً الى رومية
فالتقاه الديكتاتور بالترحاب والتكريم ولقبة بال كبير الا انه لم يسمع له
بالاحتفال بنصرته قائلاً ان الشريعة الرومانية تحظر هذا الاكرام والشرف

على الذين لم يقبضوا قط على زمام الاحكام اجابه بومبايس ان الساجدين
للسمس عند اشراقها اكثر جدًّا من الاولى يسجدون لها وقت المغيب ولم
يسمع سيلا هذه العبارة ولكنه رأى سمات الدهشة والانذهال على جميع
الوجوه فسأل المحاضرين عما يسرون فاخبروه بما قال بومبايس فعجب جدًّا
من جسارتهم ورضي بانالته ما طلب

ومعلوم ان سيلا كان مطلق السلطة وقويًّا فلو اراد ابطال الحكومة
الجمهورية وارفع عرش الملك لم يعترضه احد في العالم ولكنه كان
يرغب في الاعتزال عن الاعمال السياسية بعد ان يهلك اعداءه كلهم
ليتمكن ان يعيش بالراحة والهناء وبناء عليه لم يبق في المجلس الا من كان
مدبونا له بجياته وشرفه وماله وحط سلطة وكلاء الشعب وقوى شوكة
الشرفاء وقسم بين عساكره البالغ عددهم مائة وعشرين ألف نفس الاراضي
التي اخذها من الرجال الذين سقاهم بسيف ظلمه كاس المنون ليظلموا يدافعون
عنه وعن شرائعه متى مست الحاجة ولما تم له ما اراده وادرك من العظمة
درجة لم يدركها احد قبله استعفى من منصبه وسلم زمام الاحكام لفنصليين
جديدين ومضى يذوق في العزلة لذة الراحة والسلام ولكن ابن تلك الراحة
لرجل اضنى جسمه التعب واوهنت الرذائل فاعتراه مرض ردي جدًّا
افسد احشائه وكسى جسمه دودًا ولم يكن الاغسسال والنظافة يجديانه نفعًا
فمات سنة ٧٨ ق م بحالة نعيسة جدًّا وقد امر ان يكتب على ضريحه ما
معناه لم يبق احد سيلا في الاحسان الى اصدقائه والانتقام من اعدائه

وقبل الابتداء بحرب متريدات الثانية نلج الى اعمال واخبار
سرتوريوس وهو من اعظم رجال الرومانيين العصاميين ولد في قرية
صاينية واشتهر في الحرب التيتونية مع ماريوس ونفذ عدة مناصب عالية
وحينما ثارت الحرب الاهلية سنة ٨٨ ق م حازب العوام ولكنه لم يعاد
ماريوس رئيسه القديم وفي سنة ٨٢ ق م اقيم واليًا على الديار الاسبانية

فجمع العساكر وذهب الى موريتانيا وكسرها باكتيانيوس احد قواد سيلا
واحبة الاسبانيون لاسيما قبيلة اللوزيتانيين والقوا اليه مغاليد الامور فنظم
منهم جنودا قدران يلقى بها الجيوش الرومانية ويظهرها مراراً ولما كان
اولئك البرابرة جهلاء يعتقدون بالخرافات اراد التسلط على عقولهم
بالاوهام فربى ظيماً واكثر الاعتناء به حتى دجن واصبح لا يفارقه فادعى
حينئذ ان الظبي رسول الاله يعلم اسرار المستقبل فصدق ذلك الاسبانيون
واذعنوا لكل اوامره بطاعة عمياء وبعد ان استولى سيلاً على ابطاليا لجى اليه
كثيرون من كبراء تلك البلاد الذين حكم عليهم الديكتاتور بالموت واتاه
القائد بربرنا بثلك وخمسين فرقة رومانية فقويت شوكة وانشأ مجلساً
عالياً مثل مجلس رومية وفتح مدرسة في مدينة هيسكا (الان أسكا) ليعلم
اولاد الاهلين العلوم والآداب وكانت الحرب اذذاك ثائرة بينه وبين
الرومانين الذين ارسلوا اليه القائد بن متيلوس وبومبايس ودامت الحال
هكذا الى سنة ٧٢ ق.م حينما قتل بربرنا وقواد آخرون في ولية
دعاهم اليها

اما سبرناكس فولد في ثراكة وكان اولاً راعياً فصار جندياً ثم رئيس
لصوص ووقع في ايدي الرومانين الذين اسروه وابعوه لمدرّب السيف
(في اللاتينية غلادياتور وهي لفظة مشتقة من غلادبوس اي السيف وهم
جماعة من الاسراء او المذنبين يمرنون على ضرب السيف ويبرزون في
اوقات معينة او في الاعياد العظيمة بميادين الملاعب ويتقاتلون امام
الحضور ويسفكون دماً هم ليسر المتفرجون برؤية تلك المناظر القبيحة
التي تنهتها القلوب وتفسح الابدان فلا اعلم كيف كان الرومانيون
يتهاقنون عليها وبعدونها من احسن واجمل الملاهي وعندى ان لعب السيف
والترس المألوف في بلادنا بالاعياد والافراح ماخوذ عنها . واظن ان
لفظة السيف التي استعملتها تدل تماماً على المعنى المقصود لانه فضلاً عن

كونها ترجمة حرفية لغلاديا نور باللسان اللاتيني قد ورد بالفاموس ان
السيافة هم الذين سيوفهم حصونهم فتامل) ففرّ من المدرسة مع سبعين رجلاً
من ارفاقه ولجئوا جميعهم الى بركان قزيفيوس فانام عبيد كثيرون واتحدوا
معهم ونعاهدوا ان يموتوا وهم مجردون الحسام فداء الحرية واقاموا سبارتاكس
رئيساً عليهم وقائدًا وحاربوا الجيوش الرومانية زماناً طويلاً وقهروها
مراراً فاستغل امرهم واخذوا يجربون ايطاليا طولاً وعرضاً ولم يقمهم سوى
كراسس الذي قتل الراعي وبدّد الخراف

الفصل السادس

في حرب متريدات الثانية والثالثة

قد طبع ملك البونتس على الطمع وحب الفخار واعناد وهو صغير
خوض عجاج الحروب والصبر على الاهوال فيذوق في ساحات القتال
ونزال الابطال لذة لا يشعر بها الخنث الجبان بقصور الامراء بين ربات
المخدور وفي خدور ربات الجبال ولذلك حالما ابرم الصلح مع الرومانيين
ورأى سيلاً قد غادر البلاد اخذ في الاستعداد للسكر والكفاح وشن الغارة
على الكولخين فحرقهم ومكّ عليهم ابنة المدعو متريدات الذي قتله بعد
ذلك ظمًا وعدوانًا . ولما كان لا يفتر عن تجهيز الابطال وحشد الجنود
ظنّ الرومانيون انه ينوي الانتقام منهم والفتك بهم فتقدم مورينا وهو
القائد الروماني الذي تركه سيلاً في آسيا ودخل بلاد كنادوكية واستولى
على مدينة كومانا ونهب هيكل بلونا إلهة الحرب واخذت او زوجة المريج
فرحفت متريدات بجنوده حالاً وانتشبت الحرب ودامت ثلث سنوات الى
ان ارسل سيلا سنة ٨١ ق . م رسلاً يامرون الفريقين يكف القتال فاذعنا

لاوامر الديكتاتور وانصرف كل الى مركزه . غير ان متريدات لم يصرف جنوده بل زحف بهم لمحاربة القوقافيين والساكين بالقرب من نهر فازس ليمزهم ويجعلهم ابطالا قادرين على لقاء الرومانيين في كل آن ومكان وفي هذه الاثناء كانت الفتن الاهلية وحرب سبارتاكس وسرتوريس قائمة على قدم وساق في ايطاليا واسبانيا فظن متريدات انه يمكنه الانتصار على الرومانيين فاغرى تيغرانس ان يجاهر بالعداوة فدخل هذا الملك بلاد كبادوكية واستولى عليها وخرب اثني عشرة مدينة منها ونقل سكانها البالغ عددهم ثلثمائة الف نفس الى تيغرانوسرنا مدينته المحبوبة

وفي سنة ٧٥ ق . م مات نيكوميديس ملك بيثينيا الذي اوصى بمملكته للرومانيين فاغضب هذا الامر متريدات لانه كان يود من زمان طويل الاستيلاء على تلك البلاد فزاح اذ ذلك برقع الصداقة واشهر حربه الثالثة مع الشعب الروماني آملا ان ينتصر عليه وينال الوتر لانه جمع في هذه المرة مائة وعشرين الف جندي خاضوا عجاج المحروب مرارا واصبحوا خيبرين بالضرب والطعن ثابتين لدى الاهوال في ساحات القتال لا يبالون بشرب كاس الحمام وعمل مائة مركبة مسلحة بالمناجل تدفع بين صفوف الاعداء فتحصد الاعمار حصداً وجهاز اربعمائة سفينة كبيرة وتقدم لمحاربة البلاد الليشينية براً وبحراً فافتتح قسماً منها وزحف لمحاصرة مدينة كيزيكوس وبينما كانت جنوده محيطة بها والقتال منتشب بينه وبين الاهلين جاء ليكولوس القنصل الروماني وهجم عليه هجمة الرثيال فبحره وقتل عدداً عديداً من عساكره واكرهه على الفرار بجرأ الى مدينة باريوم ثم نأثر من بقي من رجاله ودهمهم عند نهر غرانيكس فقتل منهم عشرين الفا واسر كثيرين وشنت شمل الباقيين وحينما رجع الى كيزيكوس استقبله شعبها بالترحاب والاکرام وعمل له عيداً دعاه ليكوليا

وجرت بعد ذلك وقائع كثيرة بين الفريقين كان النصر فيها

لرؤمانيين الذين استولوا على بلاد البونتس فلجى متريدات الى صهره ملك ارمينيا وبينما كان منهزماً وعساكر ليكولوس تتأثره لتأسره ترك في الطريق برذوناً محملاً ذهباً فاشغل النصار الجنود الرومانية وسهل له الفرار والوصول سالماً الى تيغرانس سنة ٧٠ ق م

وكان تيغرانس وقتئذ اعظم واقدر ملك في آسيا قد الف الحروب من صغره فشب بطلاً مغواراً وقهر امراء كثيرين واستولى على بلادهم ودعا ذاته ملك الملوك وافتتح مزوبوتاميا (الان الجزيرة) ونقل اليها اقواماً يونانيين من كليكية وكبادوكية واكره بعض قبائل عربية ان تاتي بلاده وتستوطنها وتنعاطى التجارة فيها ولما ملء السوربون من الحروب والفتن الاهلية التي اثارها السلوقيون ملوكهم خضعوا له اخياراً وطلبوا حمايته ليعيشوا بالراحة والهناء تحت ظل رايته الظليل غير انه كان متكبراً فخوراً بخنقر البشر ويظنهم خلقوا لخدمته وعبادته وعليه فالملوك الذين غلبهم كانوا يمشون امامه او وراءه متى ركب ويقفون عند قدميه صاغرين حينما يجلس على سرير الملك وذلك اشارة الى انهم عبيد سيدهم القادر ان يفعل بهم ما يشاء ويريد

وكان تيغرانس يستعد لقتال الرومانيين لانه ابى ان يسلم اليهم حماة متريدات فجمع الابطال والفرسان وماجت الارض باقدام المحاربين وملاً النضاء اصوات الجنود وصهيل الحبياد وبلوح ان ليكولوس قد احنقر اعداءه ولم يبال بهم فتقدم بجسارة الى البلاد الارمنية ودخلها باثني عشر الف راجل وثلاثمائة فارس غير خاشي بأس عدوه امير الشرق وملك الملوك الذي اعى بصيرته وبصره انتصاره القديم على امراء الولايات الصغيرة التي تجاور مملكته فلم يكثرث للرومانيين ولم يباشر الحرب بهمه ونشاط بل كل غارقاً في بحار الم لذات بين ربات الحسن والجمال وجماعة من الكبراء المهلقين الذين ينزلون اليه بالثناء على اعماله التي تستوجب احيانا

الذم والاهانة وبناء عليه لم يعلم اول مرد ان يعلم تقدم اعدائهم في بلاده لان الرجل التعيس الذي ساقه سوء الحظ الى اخباره بوصول الرومانيين كان جزاءه شرب كأس الحماق في الحال وما زال ليكولوس سائراً بامان يفتح المدائن ويستولي على الاقاليم حتى وصل الى مدينة تيغرانوسرنا وحاصرها فتنبه اذ ذاك الملك الارمني من رقدة الاهال وزحف بجنوده لمحاربة قوم اتوا على ما زعم لتجريح الموت الزوام بعيداً عن الاوطان وحينما ابصرهم ورأى قلة عددهم استغرب وقال اذ كان هؤلاء سفراء فكثيرون واذا كانوا اعداء فقليلون وهكذا قضى نهاره وليله في المزاح والسخر منهم

ولما اصبح الصباح زحف الجيشان للقتال وكان جدول فاصلاً بينهما فاخذ الرومانيون يتقدمون الى ناحية من النهر راوها احسن مركز في ذلك المكان فظن تيغرانس انهم عازمون على الهزيمة فقال لاحد قواده انظر الى اعدائنا كيف يستعدون للهرب اجابة الفائد اودان يتم هذا الامر الذي اخاله مستحيلاً لاني ارى بريق سلاحهم ومغافرم واعلم علم اليقين انهم ان جردوا الصوارم لا يغمدوها الا بعد الظفر

وبينما كان ليكولوس اخذاً في اجتياز الجدول قال له احد اعوانه ان هذا النهار هو تشرين اول يتشأم به الرومانيون اجابة ونحن سنجعل فأساً ثم داوم المسير حتى وصل الى قمة رابية ومن هناك هجم على الاعداء في مقدمة جنوده وهو يناديهم دونكم الانتصار فبادروا اليهم كالضراغم وما زالوا يضربونهم ويطعنونهم الى ان قتلوا منهم مائة وخمسين الف رجل وشتوا شمل الباقيين ولم يمت من الرومانيين حصاروى المؤرخون واظن في الرواية مبالغة سوى خمسة انفس وجرح البعض وذلك سنة ٦٩ ق م

ثم رجع الرومانيون بالطريق التي اتوا منها وجعلوا اسلاباً واموالاً لا تحصى وكان تيغرانس قد هرب في ابتداء المعركة فاعطى ناجئاً وهو يبيكي

لابنه وحرضة ان يذهب بطريق اخرى ويطلب النجاة لنفسه فلم يحسر
الامير الفتى ان يضع التاج على راسه بل سلمه الى احد اعدائه الذي اسره
الرومانيون واخذوا منه التاج المذكور

وذكر القديم هذه المعركة وعجبوا جداً من انتصار ليكولوس السريع
وانكسار تيغرانس العظيم قال احدهم ان الشمس لم تشاهد قط يوماً كهذا
وقال آخرون الظافرين قد سجدوا من انهم قد استولوا سيوفهم لمحاربة عبيد
جبناء مخفزين

ومن الامور التي يجدر بنا الالتفات اليها والتنبيه عليها هو امتناع
الاوريين للشرقيين في الزمان القديم والحديث فانك قلما ترى كتاباً من
كتبهم يذكر فيه حرباً او فتنة جرت بين الفريقين الا وينسبون لاعدائهم
الاسيويين الجبن وخساسة الاخلاق ولعمري انهم يرتكبون في ذلك متن
الشطط لانه من ينكر شجاعة العرب العرباء الذين دانت لهم ام الارض
صاغرة ومن لا يقر بالبسالة والفراسة للاقوام الاسيويين الذين رحلوا من
بلادهم في اوقات مختلفة واستولوا على المدائن والاقاليم واحبوا مدي قرون
عديدة الرعب في قلوب الغربيين ولكن اكل زمان دولة ورجال ومعلوم
ان الثروة والنجاح يورثان النعم والاهمال سبي الخراب لا سيما في الايام
القديمة حيث الظفر كان متوقفاً على المجساة اكثر من الرأي ومع هذا كله
لا ارى الرومانيين في ايام سلاطينهم اقل جبناً وخساسة من الارمنيين
الذين يستغرون منهم في هذا المقام ويشركون معهم جميع الفاطنيين بقارة
آسيا الواسعة الارجاء

وكان حاكم تيغرانوس رتبنا ياتي تسليها الى الرومانيين ويرغب في مداومة
الدفاع عسى حادث غير منتظر ياتي بالفتح الا ان اليونانيين الموجودين
في المدينة نهضوا يد واحدة وقاتلوا الاهلين المحازيين الحاكم واستولوا على
احدى القلاع وفتحوا ابوابها للاعداء فدخلها ليكولوس وجنوده وقبض على

خزائن الملك فوجد فيها ما خلا الامتعة الثمينة والجواهر ثمانية الاف وزنة ذهب وفضة (نحو مليون واحد وخمسمائة وخمسين الف ليرة انكليزية) فسمح كل واحد من عساكره ثمانية دراهمه (نحو ست وعشرين ليرة انكليزية) وسمح لليونانيين ان يرجعوا الى بلادهم واعطاهم ما يلزمهم من الدراهم لاجل نفقات السفر وعامل الباقين الذين قلم تيغرانس الى هذه المدينة بالرفق والاحسان واذن لهم بالانصراف الى الاوطان فاصبحت تيغرانوسرنا بعد تلك العظيمة قرية صغيرة لا ذكر لها بين مدائن الشرق

ولا يخفى ان الزمان خير مؤدب للانسان يكسبه خبرة بالتجارب وتكسيه التجارب ثوب حكمة وفطنة وعليه فتيجرانس بعد ما قهره الرومانيون ذل وعرف ضعفه وجهله فدعا حياه متريدات وفوض اليه اصلاح احواله وقيادة جنوده فجهز ملك البونتس في الحال الفرسان والابطال وتقدم لقتال الاعداء ناهجاً غير منهج الاول وذلك انه كان يجتنب المعامع العظيمة ويرقب حركات الرومانيين ليفتك بهم اغتيالاً ويمنع وصول التوت اليهم فضاك ليكولوس ذرعاً واراد محاربة متريدات باية وسيلة كانت فساق عساكره الى الى جهة ارتاكرانا عاصمة ارمينيا حيث ادخر تيغرانس امواله وابقى نساءه فاغتر الملسكان بخداع الروماني واسرعا لقتاله دفاعاً عن تلك المدينة ولما علم ليكولوس مراد عدويه فرح واستبشر وانقض عليها انتفاض الصواعق واعمل بجيوشها السيوف البوانر فقتل منهم عدداً عديداً وشتت شمل الاولى بقوا في قيد الحيرة ولا ريب ان خوف الرومانيين قد حل في قلب متريدات ونساءه شجاعته القديمة لانه اول من بادى الى الهزيمة في ذلك النهار واصبحت مدائن ارمينيا بعد هذه الواقعة مفتحة الابواب يمكن الرومانيين دخولها متى ارادوا الا ان العساكر عصت اوامر قائدها ليكولوس الحكيم وابت الانقياد له لان الاموال التي جمعها من تلك الاقاليم الاسيوية قد ابطرتها وشوقتها الى ابطالها فطلبت الرجوع الى الاوطان لتتمتع بالراحة والسلام بعد

المشقات والانعاب . وهكذا أكره ذلك البطل ان يعود الى رومية حينما ذلل المصاعب وانتصر على اعدائه انتصاراً ميبئاً فرحل سنة ٦٧ ق م من ارمينيا وخلف قواداً جهلاً اضاعوا بجھلهم ثراعماله العظيمة وتركوا متريدات وتيغرانس يرجعان الى البلاد ويتولى كل منها مملكته كأنه لم يحدث شيئاً قبلاً

وبلغ مجلس وشعب رومية ما جرى فقلقا جداً وارسلوا الى آسياس بومبايس القائد الفتي واصحابه بالجنود والفرسان آملين انه يجمع الاعداء ببسالته وتديبره ويصلح الاحوال المختلة في تلك الارحاء بفطنته واصالة رأيه لانه كان بطلاً مغوراً وقائداً حكيماً قد خاض عجاج الحروب مراراً وعاد من ساحاتها مكلاً بالنجاح ومرتبداً بالظفر

وحدث ان ابن ملك ارمينيا عصى ابيه وفرّ هارباً الى بارثيا واقام في بلاط حمويه ملك تلك البلاد فوقعت الوحشة لذلك بين الفريقين وطال النفار ولما كان تيغرانس موقتاً ان متريدات قد حرّض ابنته على العصيان أبغضه ورفض مساعدته في حربه مع الرومانيين فاصبح حينئذ ملك البونتس منفرداً في القتال لا حليف له ولا صديق يعتمد عليه بين الامراء المجاورين

وكان دأب متريدات في هذه المرة ان يتجنب القتال النظامي ما امكن ويفتك باعدائه اغنيالاً متى سمحت له الفرصة فادرك ذلك بومبايس وقدر لمهارته بالفنون الحربية ان يدهمه ويحيط بعسكره احاطة الاسورة بالمعاصم غير ان ملك البونتس تخلص من الشرك والاطار بجداعه وذلك انه لما خيم الظلام وادهم الليل ترك النيران والانوار في خيامه وشي بجنوده سرّاً ولم يستطع القائد الروماني ان يحاربة لانه كان يتحصن في النهار بعسكره ويسير في الليل تحت جنح الظلام يطلب النجاة

وحينما دنا الملك من الفرات ابصر واذا بومبايس قد ظهر بغتة بجنوده

واحتل ذلك المكان وحال بينه وبين النهر لينتفع من عبوره ودخول
مملكة تيغرانس صهره ولما كان وصوله جرياً على العادة تحت جنح الظلام
لم يشعر بالاعداء حتى اختلطت عساكره بهم فامر بومبايس اذذاك الموقين
ان يبقوا والرجال ان يهتفوا ويهجموا على البونتسيين الاولى كانوا غير
مستعدين للقتال فرعبوا وولوا هاربين برون الشجاعة بالفرار والفرار للجبناء
في كل حال حصين منبع

ونقدم متريدات بثانياته فارس وهم على صفوف الرومانيين فاخترقها
وخرج منها سالماً الا ان هولاء الفرسان تركوه بعد ذلك وشانه وذهبوا الى
حيث يرجون الكسب والغنية فلم يبق معه سوى ثلثة انفس من جملتهم
جارية اسمها ابيكراتيا كانت قوية باسلة ترافقه في جميع غزواته ورحلاته
وتركب بجانبه وهي لابسة عدة الجلاذ كالفرسان والابطال

وقدر ملك البونتس وهو هارب هائماً على وجهه ان يجمع ثلثة الاف
راجل وبعض فرسان غرباء فتقدم بهم الى قلعة اسمها سنوريا على حدود
ارمينيا الصغرى حيث كان مخدراً امواله فاخذ منها ستة الاف وزنة ووزع
بين اصدقائه الثياب الثمينة والجمواهر واعطى لكلٍ منهم سباً كي يسنة ولا
يقع حباً في ايدي الرومانيين وكان راجياً ان تيغرانس يستقبله بالترحاب
ويسمح له بالاقامة في بلاده فخاب امله لان الامير الارمني لم ياب فقط اجابته
الى ما سأل بل اعلن جزاء من ياتيه راسه مائة وزنة وتاكّد حينئذ ذلك
الملك التعيس ان كثرة اصدقاء واعداء المرء متوقفة على سعادته وتعاسته
وان رجل الدنيا وواحدها من لا يعمل في الدنيا على رجل فارتد
راجعاً واجناز بلاده مخفوقاً بالاخطار ووصل بعد المشقات والانعاب الى
بلاد البوسفور السمرية حيث كان مالكاً ابنة ماخرس وبني القائد
الروماني في المكان الذي انتصر به على متريدات مدينة دعاها نيكوبولس
اي مدينة الظفر ثم زحف لمحاربة تيغرانس فدخل ارمينيا واخذ يفتح المدائن

وبقر الجنود فرعب الملك واتى مسرعاً الى معسكر الرومانيين وجثا عند قدمي بومبايس واعلن خضوعه له صاغراً فاشفق عليه ورخص بكف القتال وابرأ الصلح معه بشروط منها انه يسلم الى الرومانيين كل البلاد الواقعة وراء نهر الفرات وينفد منهم ستة الاف وزنة ويملك على ارمينيا الكبرى ويكون صديق وحليف الامة الرومانية

وزحف بومبايس بعد ذلك واخضع الالبانيين وغيرهم الساكنين في الجهات الشمالية ثم تقدم الى الجنوب واستولى على بلاد ماديا وكوماجن وارسل قائده سكورس ليفتح الديار السورية التي خضعت له سنة ٦٤ ق. م فجعلها ولاية رومانية وهكذا سقطت الدولة السلوقية بعد ما ملكت مائتين وثمانياً وخمسين سنة

وبينا كان بومبايس في سوريا منهمكاً في اصلاح احوالها وترتيب حكماها اتاه سنة ٦٢ ق. م رسل من بونتس يخبرونه بموت متريدات وتولي ابنه فارناسس سرير الملك مقرراً جهراً بسيادة الرومانيين ومعلنًا بسرور خضوعه لهم وسبب ذلك ان متريدات جهز جيشاً جراراً ونوى الذهب الى ابطاليا لمحاربة الرومانيين في بلادهم كما فعل انيبال القرطجني قبلاً فجزعت جنوده من هذه الحملة وادركت الاخطار والمشقات التي تحول دون النجاح فجاهرت بالعصيان واسعنت فارناسس ان يرتقي العرش ويقبض على زمام الاحكام ففر متريدات اذ ذاك هارباً ولجئ الى قلعة واقام بها ينتظر فرجاً ثم ارسل يسأل العصاة عما يرغبون فيه وما يطلبون اجابوه اننا نريد تملك فارناسس لكونه فني لا يملك قياده ممالك لثام ولا يروم توطيد سلطته علينا بقتله قواده واصدقائه وبنوه كما هو دأبك وعلم متريدات ان لانجاة له الا بالموت فخر ساجداً ورفع عينيه الى السماء وقال ايها الاله الآخذة بثار الآباء اذ كنت موجودة حقيقة ارغب اليك ان تجعلي موت فارناسس على يد بنوه ثم نمض على قدميه واعطى نساءه

وجواريه وبنائه سماً تجرعته وقضين نخمين في الحال ولما كان السم لا يؤثر
به لانه اعناد شربه وهو صغير اخترط حسامة لينتحر فخرج جسده جرحاً
خفيفاً حينئذ النفث الى جندي غالي وقال له ايها البطل قد اخبرت شجاعتك
في ساحات القتال واني شاكر لك على ما فعلته لي قبلاً فاطلب اليك الان
ان تنعم علي وتقتلني لئلا اقع حياً في ايدي الرومانيين فصعد الجندي بامره
واستل سيفه وضربه ضربة سقاء بها كاس الموت

ولا يخفى ان متريدات كان من اعظم الملوك الذين اشتهروا بالشجاعة
واصالة الرأي لا توقفة صعوبة في طريق النجاح ولا تخينة الاخطار ان حالت
دون المرام ولقد حكى أنيبال القرطاجي في بغضه للرومانيين واجتهاده في
احباط اعمالهم واذلالهم غير ان اجتهاده عاد عليه كما عاد على ذلك القائد
الشهير بالويل والحرب ومات مثله مقهوراً ذليلاً

وبعد ما اصلح بومبايس حالة المالك التي استولى عليها في الشرق
وجازى جنوده كما يستحقون عاد راجعاً الى رومية واحفل بنصرته احتفالاً
لم ير الناس قط نظيره

الفصل السابع

ملخص ترجمة حياة سيسرون

وبورسيوس كانتو وجوليوس قيصر

وسرجيوس كاتلينا قبل شوب نار

الفتنة التي اضرها الاخبر

سيسرون — هو ماركس ظليوس سيسرون ولد في ٢ كانون الثاني

سنة ١٠٦ ق.م قرأ العلوم والآداب على العلماء والفلاسفة المشهورين

في ذلك الزمان فبرع في جميع الفنون لاسيما في الفقه والمخطابة ولما بلغ السنة الثامنة والعشرين من عمره رحل الى بلاد اليونان واقام فيها عامين صرفهما في الدرس والمطالعة وعند عودته الى رومية انتخب بانفاق الاراء خازناً لولاية ليليسوم في جزيرة سيبيليا فقام بعبء الاعمال التي فوضت اليه واكتسب ثقة الرومانيين ومحبة الاهلين ثم تقلب بعد ذلك في عدة مناصب عالية كان بها عنوان الفضل والشهامة وفي سنة ٦٢ ق م انتخب قنصلاً وقدر ان يعرف مكيدة كانتلينا ويرد كيدته في نحره كما هو مذكور في الفصل التالي

بورسيوس كاتو — هو المعروف بكانو الصغير او كاتو الاثيني كان من أصغره نشيطاً عنيداً لا يثنيو تعب او خطر عن السعي لادراك ما ينتغيه فشب رجلاً ثابتاً في اعماله يتحرى الحقائق بهمة عالية ويبغض التمليق والملقين وكان قليل المزاج بطيء الغضب ولكنه شديد العداوة لمن يضره او يباويه

ولما كان عمره اربع عشرة سنة كان يتردد على سيلاً لكونو صديق ابيه فرأى مراراً اعوان ذلك الظالم ياتونه برؤوس الكبراء دامية وسمع تنهدات المحاضرين فسأل ذات يوم استاذهُ قائلاً لماذا لا يقتل احدٌ هذا الرجل اجابة الاستاذ لان خوف الناس منه اعظم من بغضهم له فقال له كاتو على الفور لماذا اذا لم تعطيني حساماً حينما ذهبنا اليه لاهلكه به وتاريج البلاد من مظالمه

وكان مولعاً بالفلسفة الرواقية وهي من تعاليم زينو اليوناني ومفادها احتمال المصائب التي تناجي المرء بصبر عظيم تحكيور واسي الجبال ولكي يقوي جسدهُ ويمكنه ان يطيق الحر والبرد صيفاً وشتاءً كان يذهب في كل الفصول من مكان الى آخر حافياً حاسراً وكان اذا مرض يمتنع عن الاكل ويلزم منزله الى ان يشفي

وبعد ان خدم مدة في الجندية بحرب سبارناكس وفي مكدونيه ذهب الى البلاد الاسيوية ليشهد مدائنها ويدرس عوائد اهلها وطباعهم فوصل الى انطاكية واراد الدخول اليها والاقامة فيها قليلاً لانها كانت من اجمل المدن الشرقية ولما دنا منها رأى عن بعد انساناً لابسين ثياباً بيضاء ومصطفين على جانبي الطريق فظن انهم خرجوا للقائه ومع ان هذا الامر ساءه جداً لانه لا يحب الاحتفال والاكرام امر اصحابه ان يترجلوا اجلاً لَمْ حينئذٍ تقدم اليه الرجل الذي صف الجميع وكان لابساً ناجاً وماسكاً عصاً وقال له ابن تركت دم تريوس (وهو عبد لبومبايس) وهل تعلم منى ياتي فضحك ارفاقه حينما سمعوا هذا الكلام حتى استغربوا اما هو فلم يحب الرجل ببنت شفة بل التفت وقال بالك من مدينة نعيسة

واقم بعد ذلك خازناً فاصلح اموراً كثيرة واكره الذبح اخذوا في عهد سيلاً من خزينة الحكومة اجرة لاجل قتل الاولى اهدر ذلك الديكتاتور دمه ان يردوا ما اخذوه وبالجمله نرى كانوا رجلاً ثابتاً في اعماله وصديقاً صدوقاً لمن يحفظ ذماته وعدواً الذين بغضبه او بضره وكان مع هذا كله رفيق الجانب شجاعاً حكيماً يحب العفة والعدل ويبدل الجهد في محاربة الضعفاء ورد كيد الظالمين في نحرهم

كابس جولويس قيصر — ولد هذا البطل سنة ٩٩ ق. م من عائلة شريفة يتصل نسبها بايلويس بن انياس التروادي وهومن الرجال العظام او من اعظم الرجال الذين يبذل الزمان بمنهم في كل آن ومكان قد برع في جميع الفنون وفاق معاصريه بالذكاء واصالة الرأي ولا ريب ان سمات الفطنة والشجاعة كانت ظاهرة على محياه وهو غلام حدث حتى ان سيلاً خشي منه واهدر دمه كما ذكرنا في محله ولما اشتد ساعده هاجر الى رودس ليقرا علم البلاغة على ابولونيوس مولواستاز سيسرون فاسره الفرسان بالقرب من جزيرة فاراماكوزا الواقعة تجاه مدينة ميليتوس في آسيا وسأوه ان

يفدي نفسه بعشرين وزنة فسخر منهم ووعدهم ان يعطيهم خمسين ثم ارسل
اعوانه الى المدن المجاورة ليجمعوا الدراهم المطلوبة وبقي هو مع طبيبه
وخادمين ثمانية وثلاثين يوماً في سفن هولاء الاشقياء وكان ينفق ساعاته في
نظم الاشعار وتاليف الخطب وقراءة ما يكتبه للقرصان الذين كان يهددهم
بالصلب وهو يمازحهم ولما تقدم الدراهم التي طلبوها اطلقوا سبيله فذهب
الى ميليتوس وجهاز بسرعة عظيمة جميع السفن الصغيرة التي وجدها في
تلك المدينة وناثر القرصان وقاتلهم فاغرق بعضهم واسر الباقين وصلبهم
على رغم البر وقصل الذي كان يرغب بيعهم طمعا بالمال

وحين رجوعه الى رومية اخذ يتزلف من الكبراء ويجهد في مصادقة
الجميع وكان كريماً مسرفاً حتى ان اعداءه ظنوا سقوطه قريباً لكثرة
الديون التي عليه ولكونه زير نساء ميالاً للهو والمسررات

وكان يحب ان ياخذ دائماً بناصر الشعب ويرد عليه الحقوق والامتيازات
التي حرمتها اياها سيلاً وحينما توفيت عمته جوليا زوجة ماربوس ارتقى المنبر
في الفورم وأبناها وأمر بحمل صور بعلمها في الجناز وكان سيلاً قد ابطل هن
العادة فسراً الجمهور جداً بما فعل وانصرف وهو يثني عليه ويعجب من
شجاعته وجسارته وأن امرأته كورنيليا بنته سناً وذلك ايضاً مخالف للعوائد
لان النساء الشابات لا يجوزن أن يبنهن

وبعد ان تقلد عدة مناصب عالية اقيم اديلاً (انظر معنى هذا اللفظ
صفحة ٩٠) فاحتفل بعيد لايبو واتى بستمائة واربعين سيافاً تقاتلوا ونصارعوا
امام الشعب وعمل اعمالاً اخرى كثيرة لاشهار اسمه وارضاء العوام واغرائهم
بحمازته وفي سنة ٦٢ ق م انتخب حبراً اعظم باكثرية الاصوات مع ان
انتخابه لهذا المنصب كان مخالفاً للقوانين الرومانية لانه كان فتياً لم يتول بعد
النضاء

وخلاصة الكلام عن هذا البطل انه كان من احسن العائلات الشريفة

ري في حجر التمدن والتهديب فشب شهماً شجاعاً اديباً بليغاً كريماً يحب الشعب ولا يبالي بالاخطار في عمل ما يرضيه

لوسبوس سرجيوس كاتلينا — هو سليل عائلة شهيرة كان غريب الاطوار فاسد الاخلاق ولقد اجاد بعضهم بوصفه اذ قال كان هذا الرجل ذا عقل ثاقب ولسان طلق ويد قادرة على اجراء اعظم الاعمال واصعبها وكان دائماً مذنب القتل والنهب واثارة الحروب والفتن الاهلية لا يبالي بالمشقات وعنده سفك الدماء الذم من معاقرة الراح ومنادمة الخلان الا ان اطاعة واهواءه كانت تدفعه الى مهاوي الاخطار فيقدم على افعال دون اجرائها خراط القتاد

واحب سيدة شريفة ففض بكارتها واغضب ابنة متبيلة وقتل ابنة ارضاء لامرأة علق بها قال سلسلت واظن ان فعله هذا قد مهد له سبيل العصيان لان نفسه الشريرة المكروهة من الآلهة والناس كانت في عذاب دائم تطلب الراحة ولا تجد لها لذلك كان اصفر الوجه وهيمته هيئة رجل ذي جنة



الفصل الثامن

في مؤامرة كاتلينا

لا يخفى ان لنجاح الممالك في العالم اسباباً جديدة بالاعتبار اهما الاتحاد وحب الوطن فلولم توجد تلك الصفات الحسنة في قلوب الرومانيين منذ تاسيس مدينتهم لم يصلوا الى هذه الدرجة العليا من سلم المجد والتخاربل كانت ايدي الخراب قد اغثالتهم وجعلتهم بين امم الارض نسياً منسياً ولو كان الفايضون على زمام احكام الجمهورية قبل هدم قرطجنة مثل ماريوس

وسبلاً وكاتلينا وغيرهم من تعرق جبهة الانسانية عند ذكرهم خجلاً لستطت رومية وخضعت للشعوب المجاورة

ويظن بعض الجهلاء ان حب الوطن هو من الامور الوهية التي لا تعدى حيز التصور لان الانسان محب ذاته بالطبع فلا يمكنه ان يتخذ مصالحه الشخصية ظهرياً ويجهد في نفع غيره اقول ان ما برعته هولاء جهل مركب اذ حب الوطن هو بالحقيقة حب العاقل لذاته لان الامة اذا تعاونت وجهدت في احياء السلام الداخلي وتوسيع نطاق الاعمال وتوفير اسباب النجاح عاد ذلك بالراحة والفلاح على كل من افرادها واي فخر يجرى الانسان اذا كان نظير كاتلينا الشرير الذي جمع فتية طغماً عودهم القساوة وسفك الدماء واعدهم لحرق وهدم مدينة رومية وذبج اعضاء المجلس ونهب مهج الابرياء وكان يشجعهم وينشطهم على تلك الفعل بخطبه الحماسية وكلامه البليغ من ذلك قوله قد ساءت يا قوم احوالنا واصبح زمام الاحكام بيد بعض انفس ظالمين يتسلطون على امم الارض ويتبعون بالاموال التي يسلبونها الملوك والامراء غير مباليين بالشعب كأن الشعب عبد خاضع طوعاً او كرهاً لما يهزون وما يامرون فهموا بنا نخلع ثوب الذل ونوت شرفاً في ساحة القتال او نبليغ المنى واعلموا ان نجاحنا قريب واكيد وان الحرية والاموال والفخار هي ثمرة الانتصار فبادروا الى اجتناء ما طالما تمنيتوه

ولما كان هولاء الفتيان قد قنطوا من الحياة لانهم فقراء انقلبت الديون كاهلهم راوا في النهب والقتل خيراً وتوسموا في الانقلاب السياسي حياة جديدة ونعياً دائماً الى الممات فبادروا الى رئيسهم متطوعين واستعدوا لركوب متن الاخطار غير مباليين وكان من جملتهم شخص شريف اسمه كوربوس قد طرد من المجلس لسبب خفته واعماله القبيحة وكان هذا الرجل مهذاراً لا يحتفظ سراً ويخبر اعداءه واصدقائه بكل ما يعلمه حتى انه لم يكن يستطيع ان يكتم من الناس ذنوبة التي اقترفها والتي يود ارتكابها فاسر الى

حيثما ما ينوبه فعله مع ارفاقه فاخبرت هذه النساء ما واخبر هؤلاء
اصداقاً هم ولم تنص مدة الا وذاع الخبر فاجس الاهلون خوفاً واخذوا
يتحدثون بما كان وما يكون واقاموا سيسرون فصلاً ليتلافى الخطب
ويصلح الاحوال

وكان كاتلينا يسعى ان يكون فصلاً ليمكنه ان يجري ما يروم اجراً
بسهولة فعلم ذلك سيسرون واتخذ الوسائل اللازمة لمنع فعد اذ ذاك
كاتلينا الى قلبه مع بعض رؤساء المجلس يوم الانتخاب الا ان الفصل بلغه
ما دبر عدوه فاخر زمن الانتخاب وفي اليوم التالي بينما كان المجلس مجتمعاً
شكاه الى اعضائه وامره ان يبرىء نفسه امام الجمع فتقدم كاتلينا الشيرير
وعوضاً عن ان ينكر او يجهد في تبرئة نفسه قال لم ان الجمهورية مولفة من
شخصين (يعني المجلس والشعب) احدهما مريض ورأسه ضعيف والاخر
ثابت لا رأس له ولا يجناح الى رأس ما دام حياً واجاب كاتلينا ذلك
بيضة ايام ان النار اذا احتدمت وحرقت امواله لا يطفئها بالماء بل
بخراب عمومي

ومن ذلك الوقت زاده ونشاطاً في انفاذ ما نواه فارسل كثيرين
من اعوانه الى المدائن البطالية لاثارة الفتن واستمالة الاهلين واقام هو في
رومية يستعد لقتل الفصل وحرق المدينة وامر رجاله ان يتسلحوا ويكمنوا
في جميع الاحياء وكان يقضي نهاره وليله بلا نوم منهمكاً في تحقيق امانيه
وتنميم اغراضه الشريرة وكانت الرسائل ترد تترى الى سيسرون والكبراء
تخذهم من كاتلينا وتخرضهم على الخروج من المدينة والفرار فاجتمع المجلس
حينئذ وفوض الى الفصلين امر صيانة الجمهورية من الاخطار ومنعها
الحرية باجراً كل ما يربان اجراً لازماً

وجمع كاتلينا رجاله في ذلك الليل واخبرهم انه ذاهب الى بلاد اتروريا
ليتولى قيادة الجنود التي جهزها هناك وامرهم ان يحرقوا المدينة ويقتلوا

الاهلين في يوم عينه لم وارسل اثنين من اعوانه ليدبحا سيسرون باكراً في الصباح وهو نائم في فراشه فعلم سيسرون ما دبر عدوه الالذ فاحاط منزلة بالحراس الذين منعوا الرجلين من الدخول عليه وارجعوهما من حيث اتيا

وفي الغد جمع القنصل المجلس في الكايتولينوس وهو مكان الشامي ايام الخوف والفتن وعرض للاعضاء ما حدث وما سيحدث وبينما كانوا يتذاكرون في الامر اقبل عليهم كاتلينا كانسان لا علم له بما جرى فابتعد الآباء عنه ولم يردوا عليه السلام فنهض سيسرون وقد احندم عيظاً وقال له

حتى م نصبر يا كاتلينا وتحمل الاهانة وانت لا تتثني عن غيك أنظننا جاهلين ما فعلته وما تفعله ولكن ياله من عصر تعيس وجبل خبيث بعيش فيه المنافق الخائن لا بل يدخل المجلس بوقاحة ليرقب اعماله ويعلم من من اعضائه المجرمين يلزم اهلاكة قد مضى زمن الشجاعة ومحبة الوطن كيفلا وبوبليوس سيبو وهو خارج عن دائرة الحكومة قدر ان يقتل قبلاً تيبيربوس غراكس لانه اراد ان ياتي الشعب بين الشعب ونحن القنصلين رئيسي الجمهورية ومدبري ممالك الدنيا تترك الان كاتلينا بقيد الحية وهو رجل خائن يريد ان يهلك العالم بالقتل والحريق

ايها الآباء اني طبعته على الشفقة ولكن ضميري يوبخني على التواني ولا اهل بوقت اصبحته فيه بلادنا محاطة بالاخطار الممولة فاعلموا ان عدونا الالذ الذي هو مقيم داخل اسوار المدينة قد جهز جيشاً جراراً يزداد كل يوم عدداً وعدداً وهو محتل الديار الاتروية ومستعد للقتال والان يا كاتلينا اذا امرت الشرط بالقبض عليك وذبحك حالاً لا اكون فاسياً ظالماً وانما اخاف ان يقال اني كنت بطيئاً باجراً العدل اما ما منعني ويمنعني عن قتالك فهو وجود اناس لثام طغام نظيرك يودون

خلاصك وبيذلون الجهد بتبرئتك فعش كما كنت محاطاً بالحراس والرقباء الذين اقمتم ليعلموا اعمالك ويزعموا افكارك وما تنوي فيمها ان بستر ظلام الليل الحالك اجتماعك السرية مع رجالك واعوانك وان تمنع جدران منزلك صوت خيانتك من الوصول الى اذني

ثم نصح له ان يترك المدينة ويعرض عن نوابه الشريرة وحذره من عاقبة الظلم والاعتماد بعبارات هي منتهى البلاغة وحد الاعجاز (اه ملخصاً) ولما كان كاتيلينا اروع من ثعلب واحيل من ضب نهض على قدميه وهو مطرق وقال للحاضرين بصوت ضعيف الا بصدق تلك التهم الكاذبة لان شرف عائلته وسيرته الحسنة مذ شرب يوهلانه لان برقي ذرى العظمة والمجد وهل يمكن رجلاً شريفاً مثله خدم هو واباؤه الحكومة وجهد في توفير اسباب تقدم البلاد ان يخطر بباله اضرار مواطنيه فاعترضه الاعضاء وشتموه ولم يدعوه ان يتم كلامه فحق وازيد وقال لهم وهو خارج ما قاله قبلاً اكانوا اني اظني النار التي يتوعدي بها اعدائي بخراب عمومي

وعلم كاتيلينا ضرورة السرعة في العمل لبلوغ ما ربه فرحل بالليل سراً الى أتروريا بعدما حرّض رؤساء اعوانه الا يهملوا الوسائل اللازمة لزيادة عدد جنوده وقتل سيسرون والاستعداد لحرق المدينة وتدمير اهلها فحكم المجلس عليه انه عدو البلاد وصرح بالنعو عن رجاله الذين ينوبون الى الطاعة وامر الفنصلين بتجهيز العساكر والمبادرة الى قتاله حالاً قبل ان تقوى شوكنه ويستفحل امره

ولكي يغش هذا الشرير الكبراء ارسل الى كل منهم كتاباً يقول فيه لقد تفاقم الخطب واصبحت هدفاً لسهام التهم والوقية فها انا راحل الى مرسليليا فراراً من كيد اعدائي وخوفاً من حدوث فتن يثيرها اصدقائي انتصاراً لي

وارسل الى احد خلائه كتاباً آخر رساله فيه ان يعني بحبيبتيه اور يستلاً

ويخبره بالاسباب التي حملته على ركوب هذه الخطة قال
من كاتلينا الى كاتلس سلام

ايها الحبيب ان صداقتك الصادقة التي اخبرتها من زمان طويل
تشجعي على الفكر انك غير مرتاب ببراءتي ومحبي للوطن الا انهم
الحاسدين ووقية المبغضين قد الجأني ان انهض لاخذ بيد الفقراء
والمظلومين ولا نظني عاجزا عن تادية ما استقرضته لان اموالي كما تعلم
وافرة وكافية لوفاء تلك الديون ولما كنت لا استطيع ان اصبر على الخسف
والذل وارى اناسا طغاما يرتفون ذرى المجد والعظمة قد بادرت الى صيانة
شرفي بالتي هي احسن فاطلب اليك الان ايها العزيز ان تعني باوريسنلا
ونصونها من كل ضرر

وجاء الى رومية في هذا الاوان سفراء الوبروجيون (هم قبائل غالبية
قاطنة في اقليبي سفوا ودوفيني من اعمال فرنسا) يستغيرون بالمجلس من ظلم
وطمع حكامهم الرومانيين ويرغبون اليه بالاشفاق عليهم واصلاح حالتهم
التييسة فلم يصغ الاعضاء الى شكواهم وردوهم خائبين ولما علم ذلك لتلوس
احد زعماء العصاة في المدينة ارسل اليهم رجلا اسمه اومبرينوس ليستميلهم
الى حزب كاتلينا ويكونوا له نصرا متى ثارت الحرب واحندمت نارها
فاقبل اليهم كانسان بهممة نفهم واستخبرهم عن احوالهم وعما نالوه اجابوه ان
الموت نصب اعيننا اذ لا نجاة لنا بغيره فحكمانا ظالمون قساة والمجلس قد
اعارنا اذنا صما

— قال لهم ان حالتكم تييسة جدا ولا يمكنكم اصلاحها الا اذا كنتم
شجعانا تعملون ما اشير عليكم به

— اجابوه خذ بيدنا ايها الرجل واشفق علينا واعلم اننا مستعدون
ان نركب متن الاخطار لننقذ امتنا من الديون والمظالم التي اثقلت
كاهلها

فاحضروهم اومبرنيوس اذ ذاك الى اصحابه وكاشفهم بسر مؤامرتهم
ووعدهم خيراً فرضوا بالاشتراك معهم ومساعدتهم بفرقة عظيمة من الفرسان
الا انهم حينما خلوا في منزلهم وفكروا في الاخطار والاهوال التي تكون بلا
رب عاقبة العصيان ندموا على ما فعلوه وذهبوا نوا الى فابيوس سينا ولي
ايمانهم واخبروه بالامر فاعلم هذا سيسرن الذي دعا حالاً السفراء وامرهم
ان يتظاهروا للعصاة برغبتهم في محازبتهم وباخذوا منهم عهدة يوقعها
زعماؤهم لتكون دليلاً بيناً على خيانتهم وسعيهم في اضرار الوطن وبنو فعل
السفراء ما امر به الفصل واورموا عهدة مع الثائرين واخذوا كتباً الى
كانتينا وخرجوا مع بعض اعمالاه من المدينة الا ان فرقة من جنود الحكومة
كانت كامنة في المكان الذي يجب ان يمروا به كما جرى الاتفاق قبلاً
فانقضت عليهم واسرتهم وقبضت على الاوراق التي معهم

حينئذ التأم المجلس حالاً للذاكرة في الامر والنظر في دعوى رؤساء
الثائرين الذين اتى القبض عليهم والذين اقرؤا جهراً بذنوبهم وخيانتهم
فحكم عليهم بالسجن وانصرف الاعضاء وهم يشكرون لسيرون ويشنون على
اعماله وهمته

وفي اليوم الثاني بعد جدال طويل وخصام عظيم في المجلس حكم على
المسيجون بالموت فقتلوا في الفور امام الشعب وزينت المنازل والشوارع
ايذاناً بفرح الجمهور لنجاته من تلك البلايا التي اوشكت ان تناجئه وكانت
النساء والاولاد والرجال تزدحم في الاسواق لترى سيسرون حينما
كان راجعاً الى بيته والاباء والفرسان تحيط به كأنه عائد من ساحات
القتال يحتفل بنصرته داخل المدينة وكان الشعب يناديه يا حامي البلاد
ومؤسس رومية الثاني

وظن المجلس انه بالقبض على رؤساء الثائرين وقتلهم قد سقط كانتينا
ولعبت بحزبه ايدي سبالدك استعفى سيسرون ورفيقه من منصبهما

وانتخبت الامة فنصلين جديدين وراح كل فرحاً آمناً حدثان الدهر كأن
 الدهر قد سالمة غير ان ذلك البطل المغوار عدو وطنه كان لا يفتقر عن
 حشد الجنود والاستعداد لشن الغارة على مواطنيه فارسلت الحكومة لمهارتيه
 فرقاً من العساكر فالتقى الجيشان بالقرب من جبال الابنهن وانتشبت
 القتال وكان مهولاً لان الفريقين ثبتا في ذلك النهار ثبات من لا برعة
 الحمام او كيف يرعهم الحمام وارواحهم مرهونة للنصر او الهات فقضى كاتلينا
 وعدد عديد من جنوده وانتهت بموته تلك المواقرة الشهيرة التي كادت نحو
 اسم الجمهورية الرومانية من العالم

وفي سنة ٦٠ ق م عاد جولوس قيصر من الديار الاسبانية مكلاً
 بالظفر لانه اخضع تلك القبائل المتوحشة بسيفه البتار وهذبهم بقوانينه
 الحكيمة وتعاهد مع كراسس وبومبايس على الصداقة الصادقة والتعاون
 ودعي اتفاقهم هذا بالحكومة الثلاثية

الباب السابع

من حين اقامة الحكومة الثلاثية

الاولى سنة ٦٠

الى حين تسلط اوكتافيانوس سنة ٢٩ ق م

الفصل الاول

اعمال قيصر في رومية

وحروب في البلاد الغالية

مع ذكر حرب كراسس ببارثيا

اعمال قيصر في رومية — لما كان الاتحاد آية النلاح وعنوان النجاح

قدر قيصر ان يتقلد سنة ٥٩ ق م بمساعدة صديقه منصب الفصلية ويستبد بالاحكام لانه على رغم كاتو والفصل الآخر وجميع اعضاء المجلس اجرى القانون العقاري وقسم بين الوطنيين الفقراء اراضي كامبينيا وجعل الشعب يصدق على اعمال بومبايس في آسيا وحينما انتهت السنة عين والياً لمدة خمس سنوات على ايلريا وغاليا السيزالية وقائد الاربع كسائب (الجيون) وزوج بومبايس بابتنة جوليا لتدوم صداقته ويكون له نصيراً متى مست الحاجة

حروب قيصر في البلاد الغالية — ان غاليا ما خلا الولاية الرومانية كانت مقسومة في ذلك الحين الى ثلاثة اقسام هم اكيثانيا وغاليا السلتيية وغاليا البلجيكية فالقسم الاول بمحده شمالاً نهر غارون وجنوباً جبال البيرنه وغرباً الاوقيانس وشرقاً الولاية الرومانية وهو الان اقليم البروفنس ولا نفدوك من اعمال فرنسا والثاني بمحده نهر السين والمارن وجنوباً نهر الغارون وغرباً الاوقيانس وشرقاً نهر الرين وهو يشتمل تقريباً على الاقاليم الفرنسية الباقية ولا حاجة الى تحديد القسم الثالث لان اسمه خير دليل عليه

وكان اولئك الشعوب الثلاثة مختلفي العوائد واللغات الا ان البلجيكيين والالفتيين وهم ساكنو القسم الغربي من سويسرا كانوا اشجع من الجميع لقتالهم الدائم مع الجرمانيين الفاطنين وראً نهر الرين .

وحدث ان الالفتيين ملوا الاقامة في بلادهم لانها ضاقت بهم فعزموا على الرحيل منها واستيطان مكان اخر فحرقوا مدائنهم وقراهم وتقدموا الى جهة الولاية الرومانية ليحنازوا بها ويحلوا البلاد التي برونها حسنة وصالحة لسكناهم وكان ذلك في ٢٨ اذار سنة ٥٨ ق م

وعلم قيصر بما جرى وكان وقتئذ معسكراً بالقرب من رومية فاسرع الى غاليا واخذ يجهز الجنود ويحشد الابطال وخرب جسر مدينة جنيفا

لمنع الالفتيين من عبور نهر الرون ويظهر ان هولاء البرابرة لم يقصدوا
مناواة الرومانيين بل ارسلوا رسلاً الى قيصر يعرضون له سبب رحيلهم
من الاوطان ويطلبون اليه ان يسعح لهم باجتياز الولاية الرومانية ليتمكنهم
الذهاب الى بلاد اخرى فابى قيصر اجابتهم الى ما سألوه وردّ رسلم
خائبين

ولما رأى الالفتيون استحالة او صعوبة المرور بذلك المكان رجعوا
على اعقابهم ونقدموا الى جهة اخرى ليحتملوا في بلاد امير غالي تجاور ارضه
الولاية الرومانية فزحف قيصر اذ ذاك بجنوده ولقيهم عند نهر ارار (الان
السون) ودهم فرقة من معسكرهم فكسرها وشتت شملها في تلك البطاح
واستعد لقتال الاخرين فارسلوا اليه سفراء يسترضونه فلم يكثرث لهم واخذ
يتأثرهم ليوقع بهم وبعد مسير بضعة ايام فاجاهم بالقرب من مدينة بيبراكنه
(الان اوتون وهي على بعد ثلثائة وواحد واربعين كيلومتراً من باريس)
وهجم عليهم بعساكره فدام القتال الى الليل ولم ينج منهم سوى مائة وعشرين
النّا اكرهم على العود الى اوطانهم ليستعبروها ويردوا هجمات الجرمانيين
على الشعوب الخاضعة للرومانيين

وكان ملك جرمانى اسمه اريوفيسنس قد اعتدى على بعض قبائل
غالية فساله قيصر ان يكف العداوة والاعتداء على اناس خضعوا للرومانيين
او استجاروا بهم فابى ذلك الملك الازعان لاوامره حينئذ زحف قيصر
بجنوده واستعد لقتاله ومن عوائد الجرمانيين الغربية هو انهم لا يباشرون
حرباً الا بامر الساحرات اللواتي اعلن في هذه المرة لاقولاهن انهم يغلبون
اعداءهم اذا قاتلوه في هلة القمر غير ان قيصر هجم عليهم حالاً وبادرت
اليهم جنوده كالضراغم فانتشبت الخروب وكانت عولاًنا وبعد ان جرت
وقائع يشيب هولاء الاطفال وسالت على ادم ذلك الصصحان وماء الفرسان
والابطال انكسر الجرمانيون وولوا هارين فتأثرهم الرومانيون وما زالوا

بطعنونهم ويضربونهم دراكا حتى عبروا نهر الرين ونجوا بانفسهم
وفي السنة الثانية اتحدت القبائل البلجيكية وعولت على محاربة الرومانيين
لتضعف شوكتهم وتامن شرهم فعلم ذلك قيصر واتاها بعساكره كالبرق
المخاطف وكسر جنودها في مواقع كثيرة فحضعت له جميعها صاغرة واقرت
بسيادة الشعب الروماني نادمة على عصيانها وما فعلت

ولم تكن الوقائع التي حدثت كافية لاختضاع الغاليين تماماً لانهم كانوا
اقويماً شجعاناً يحبون الحرية ويفدونها بالارواح لذلك كانوا دائماً مجاهدين
بالعصيان يشنون الغارة على الرومانيين ويشن الرومانيون الغارة عليهم
فبقي قيصر يحاربهم تسع سنوات حتى استطاع ان يملك قيادهم ويجعل
بلادهم الواسعة ولايات رومانية . قبل انه استولى عنوة في هذه المدة على
ثمانمائة مدينة واخضع ثلثمائة شعب وقهر في ساحات القتال ثلثة ملايين
رجل قتل منهم واسر اكثر من مليونين وفي اثناء ذلك ذهب مرتين الى
بريطانيا وحارب اهلها وقهرهم الا انه لم يستول على تلك البلاد التي كانت
وقتئذ خاضعة لسلطان التوحش والغباء وقد كتب قيصر نفسه رسالة
مسهبة في الحروب التي اثارها في غاليا وهي رسالة حسنة الوضع وجميلة النفع
للذين يرومون التدقيق في درس تاريخ فرسا القديمة اما نحن فقد اخذنا
منها ما ذكرناه وهو خلاصة الخلاصة وبهذا القدر كما لا يخفى كفاية للمطالعين
ومتطلعي الاخبار التاريخية في هذه الديار

كراسس وحربه في الشرق — كان كراسس يروم ان يجاري صديقه
في ميدان الفغار ويماكهما في البسالة والفتوح الا انه كان يفوقهما في الطمع
وحب المال ولما عين والياً للديار السورية حسب طلبه سرّجداً وذهب الى
ذلك الفطر مصمماً على نهب ما يمكنه نهبه

روى يوسيفوس المؤرخ اليهودي انه سلب حين وصوله امتعة هيكلي
اورشليم الثمينة واخذ امواله البالغة عشرة الاف وزنة (نحو مليونين ليرة

انكليزية) وشرع يستعد لقتال البارثيين ليستولي على مدائنهم وينهب ما تحوي وبناءً عليه زحف بجنوده سنة ٥٢ ق.م لمحاربة شعب صديق وحليف الرومانيين فارسل اليه اورودس ملك بارثيا رسلاً يسألونه عن الاسباب التي حملته على حربه ونقض العهد اياهم فوللوا له انني اعلمه الاسباب حينما ادخل سلوقية عاصمة مملكتي

ولو كان طمع كراسس مقررنا بالفتنة واصالة الراي او الخبة بالفنون الحربية هان البلاء واصبح نجاحه مامولاً لكنه كان جاهلاً فخوراً ودليل ذلك الخطأ الذي ارتكبه في هذه الحملة لانه عوضاً عن ان يسير في بلاد ارمينيا كما يصح له ملكها او يمشي بالقرب من ضفات الفرات انبع مشورة شيخ قبيلة عربية اراد غشه وايقاعه بالمهالك فتوغل في مزربوتاميا ظاناً انه يستولي على بارثيا غنيمة باردة فلفي بعد ما نهكته التعب جنود الاعداء وفرسانهم يتقدمون لقتاله

ولما كان البارثيون يفوقون الرومانيين عدداً وعدداً وكانت فرسانهم صعبة المراس يصطلي بناها هجمت على كراسس وعساكره هجمة الرثال فنهبت المهجات وجندلت الابطال فرأى الرومانيين ان لا نجاة لهم الا بالفرار وحينما ادلم الليل زحفوا سرّاً وتركوا في المعسكر الجرحى ومن لا يستطيع ان يتبعهم فاتهم هولاء التعساء في اليوم الثاني قتلاً بسيف اعدائهم الذين لم يشفقوا على احد

واعتمد الرومانيون في هزيمتهم على بعض الوطنيين المخائنين الذين قادوهم في مسالك صعبة حرجة ووقعوهم مرة ثانية في ايدي الاعداء فادعى سيرينا قائد البارثيين ان مولاه يود ابرام الصلح مع الرومانيين ومقابلة رئيسهم فلم يغتر كراسس بكلامه وعلم ان ذلك دخيلة لكن عساكره الحول عليه الا برفض تلك المقابلة وحينما وصل كراسس واعوانه الى معسكر الاعداء ورأى عين الغدر بادرت رجاله الى حمايته فاحاط بهم البارثيون

ونكلوا بهم تنكيلاً واثنا براس كراسس الى ملكهم فصب في فيه ذهباً
مصوراً وهو يقول اشبع ايها الطمع من معدن قضيت حيانتك في طلبه
وجمعه

الفصل الثاني

في حرب قيصر مع بومبايس

وموت الاخير

مع ذكر اعمال قيصر في الشرق

قد مات الان كراسس وانحلت بموته عرى الاتحاد الثلاثي واصبحت
الحكومة هدفاً لسهام اطماع صديقيه الآخرين لان كلاً منها كان يروم
التسلط وحده على العالم الروماني ويرغب في اهلاك خصمه ليتسنى له
ارتفاع اوج الفخار ولم يكن ذلك فيهما نزاعاً جديداً ولكنها خضعا اولاً
لاحكام الضرورة والاحوال وسترا اهواءهم بيرقع الصداقة والتعاون
ولما خلاهما الجوع وقويت شوكتها ولم يبق مانع يمنعها من اعلان العداوة
اضرموا نار الفتنة الاهلية التي امتد سعيها الى كل الاقطار

وفي ذلك الحين كانت احوال الحكومة والحكام مختلة فاسدة وكان بومبايس
قادراً ان يصلح هذا الخلل ويريج الشعب من المظالم والبلايا لولا اطماعه
ومحبته للرئاسة لانه ترك الامور تجري مجراها ليتسع الخرق ويمكن الشعب
ان يقدره حق قدره فيقيسه رئيساً للجمهورية ويحول سلطه مطلقة وعليه في
سنة ٥٢ ق م نولى وحده منصب التفصليه مع ان العوائد والقوانين انقضت
بوجوب تعيين فصلين في كل عام كما علمت قبلاً

ولما بلغ ذلك قيصر وهو في البلاد الغالية حاجت بصدده حاسات

الحسد وطلب الى المجلس والشعب تعيينه فنصلاً في السنة التالية فلي الجميع
 طلبه ومنحوه هذا الامتياز الا ان بومبايس قدر بدسائسه ومكره ان يبطل
 ذلك الامر او يجعله مهلاً لا يعمل به فاحندم قيصر غيظاً وقبض عند
 علمه ما جرى على فرند سيفه وقال ان هذا الحسام البنار سينيلني بعدل ما
 يمنعني ظلم اعدائي اللثام من الحصول عليه وفي الحال جمع عساكره واجناز
 جبال الالب سنة ٤٩ ق ٠ ووصل الى نهر الروبيكون وهو المكان الذي
 لا يسوغ للجيش الروماني ان تعبره وتقدم في ايطاليا فبعد ان تردد
 قليلاً وهو يقول اذا كنت اعبر هذا النهر ساجلب على وطني مصائب
 عظيمة واذا توقفت في معبري ساهلك لا محالة زحف بجنوده ووصل الى
 ريميني واستولى عليها وجال في البلاد طويلاً وعرضاً بسرعة عجيبة واتى وحاصر
 بومبايس في برندز يوم فتر بومبايس هارباً الى دراخيوم في ايلريا وترك
 ايطاليا غنيمة باردة لعدوه القادر النشيط

وكان الشرفاء خائفين من قيصر يظنون انه سيفتك بهم فتكاً ذريعاً
 لحازبهم بومبايس الا ان ذلك البطل كان يسير وجيشا الرعب والحلم
 يتقدمانه وينحان له بلا حرب ولا عناء المدائن والقلوب حتى وصل الى
 رومية فدخلها ظافراً واقام فيها بضعة ايام صرفها في تأمين الخائف
 وتشجيعه وارضاء اعدائه واستمالهم فاحبة الجميع وفرحوا بانتصاره بعد ان
 كانوا يضجون بالدعاء للالهة ان تقهره وترده مخزياً ولما استتب له الامر
 مشى الى اسبانيا وحارب افرانيوس وبتريوس قائدي جيوش خصمه في
 تلك الديار فقهروا وارتد راجعاً الى رومية

وحدث ان احدى الكنائس عصت اوامره لانه لم يسمع للجنود ان
 ينهبوا المدن التي استولى عليها وطلبت اليه ان ياذن لها بالانصراف للاوطان
 فاحضرها ووجهها على صنيعها بكلام لطيف بخلب العقول ويخرج
 القلوب الى ان قال انه غير محتاج لخدمتها ولا يفتر ابدًا الى جنود

يقاسمونه النجاح وفخر الانتصار وبناءً عليه يرغب في صرفها ولكنه يريد معاقبتها بقتل عشر رجالها فرعب الثائرون والقوا بأنفسهم عند قدميه وسأله الصلح عن ذنبهم فعنا عنهم الا انه امرهم ان يسلموا اليه مائة وعشرين نفساً من المذنبين قتل منهم عشرين وصلح عن الباقيين

وجمع بومبايس من بلاد اليونان والمشرق جيوشاً جرارة واستعدّ لقتال قيصر الذي بعد ان تقلد منصب الديكتاتورية مدة احد عشر يوماً واصلح الاحوال عين قنصلاً باتفاق الآراء فاسرع اذ ذاك بالرجل الى ابطاليا لمحاربة عدوه وقهره فجرت بينهما وبين قوادها وقائع كثيرة كان النصر فيها نارة لهذا ونارة لذاك اخيراً التقى الفريقان في سهل فارزاليا في تساليا سنة ٤٨ ق م وانتشبت الحرب وكانت مجالاً . وعلم قيصر ان فرسان الاعداء هم عدد عديد بنوون الهجوم على فرسانه دفعة واحدة حتى اذا ما كسروهم وشتتوا شملهم في مجاهل تلك الارض كروا على رجاله ونكلوا بهم تنكيلاً فامر ست فرق من جيشه ان تكمن وراء الميمنة ونهجم على فرسان بومبايس بغتة اذا نسئ لهم الانتصار كما املوا وعادوا الى ساحة الضرب والطعان ثم ردم الخنادق التي حول المعسكر وقال لجنوده دونكم الكر والكنجاح لانه لا نجاة لنا الا بالنصر او المات حينئذ حملت الرجال على الرجال وسالت دماء الابطال في ذلك النهار كالانهار وكانت فرسان بومبايس قد كسرت فرسان قيصر واستعدت لقتال رجاله فالتفتها الفرق الست الكامنة وراء الميمنة واكرهتها على الفرار ثم ارتدت لمساعدة ارفاقها وهجمت معهم على رجال الاعداء وهي تطعنهم وتضربهم دراكا فذعروا وولوا منهزمين وفي اليوم التالي سلموا سلاحهم الى قيصر وامتلوا اليه فنازوا بالامان اما بومبايس فغير ثيابه وفرّ هارباً مع بعض اعدائه يطلب النجاة فاتي اولاً امفيبوليس واصدر فيها منشوراً يامر به الفتيان الرومانيين واليونانيين ان يتدروا السلاح ويحضروا اليه ولما كان عدوه قيصر متأثره وقد قرب

من ذلك المكان بادر الى الرحيل حالاً فذهب الى قبرص وعلم هناك ان
السوريين لا يسمحون له بالدخول الى بلادهم فجهز النبي جندي من تلك
الجزيرة ورحل بهم الى مصر ليستجير ببطلماوس ملكها فدعاه هذا الامير
المخائن الى بلاطه وامر بعض رجاله ان يقتلوه حينما يصبح في قبضة يدهم
وارسل الى سفينه قارباً يحضره به ولما خرج بومبايس من السفينة التفت
الى امرأته وقال لها بيتي شعر لسفوكلس اليوناني معناها ان الذي يذهب
الى بلاط ملك يصبح عبد ذلك الملك وحين وصوله الى البر اختلط احد
المصريين حسامة وضربه به ثم قطع راسه وترك جثته مطروحة على الشاطئ
فاخذها احد عبيده وحرقها واتى كورنيليا امرأته برمادها غير ان المصريين
بنوا له بعد ذلك ضريحاً وزينوه بالتماثيل النحاسية

وما زال قبصر متأثراً بومبايس لياسره اويفتك به حتى وصل الى
مدينة الاسكندرية فعلم هناك بموت عدوه الالد قبل انه لما نظر راس
وخاتم ذلك الرجل التبعيس اغرورقت عيناه وامر ان يدفن حالاً بالتجلة
والاكرام

وكانت الحرب وقتئذ قائمة على قدم وساق بين بطلموس وكليوباترا
اخيه وسببها ان اباهما حين موته اوصى لها بالملك حسب عوائد وشرائع
البلاد وامر ان يقترب الاخ باخيه لتدوم محبتهم ويعيشا بالصفو والهناء
وكان عمر كليوباترا سبع عشرة سنة وعمر بطلموس ثلث عشرة فقط فبقيا
متحدين حيناً من الزمان ثم تعاديا واقدم كل منهما على قتال الاخر ليقتله
ويستبد بعده بالملك ظالماً

واراد قيصر نفي النزاع وإبقاء القدم على قدمه لان كليوباترا لجأت
اليه وطلبت مساعدته فاغضب ذلك بطلموس وجمع عساكره واتى بحارب
البطل الروماني الذي لم يكن معه أكثر من اربعة الاف جندي فمحض
في القصر وحرق كل السفن الموجودة في الميناء اثلاً يستولي عليها الاعداء

ويعمل المدد من الوصول اليه الا ان الاسباب امتد الى المكتبة وحرقها
وكانت هذه المكتبة شهيرة تحوي اربعمائة الف مجلد حسب رواية لنيوس
وقيل أكثر

ولكي لا يبقى مانع من وصول المدد اليه ارسل شزيمة من عساكره الى
جزيرة فاروس (الان رأس التين) وكانت هذه البقعة جزيرة صغيرة في
الايام القديمة الا ان اسكندر الكبير امر ان توصل بالبر ليجعل المدينة
ميناء (بنى متاريس حول قصر الملك والمعب الذي بقرية وعمل
كل ما يلزم ليامن شر الاعداء ويمكنه القتال او الدفاع بسهولة ودامت
الحال هكذا الى ان جاءت جنود رومانية جديدة فبادر قيصر الى محاربة
المصريين وملكهم فكسروهم في عدة وقائع ومات ذلك الامير الحائن سنة ٤٧
ق . م غرقاً في نهر النيل فنال بلاريب جزاء خيانتهم ومكره لانه قتل
بومبايس صديقة وولي نعمته وغدر بقيصر بعد ان اسره وخلق سبيلاً

ولم تات حرب قيصر بالديار المصرية بفائدة للرومانيين لانه لم يخضع
ذلك القطر لسلطتهم بل تركه مستقلاً كما كان قبلاً ويظهر انه فعل ما
فعله حياً بكليوباترا التي اقام معها تسعة اشهر فجلت منه وولدت غلاماً
دعته قيصريو ومن المؤكد ان هذا البطل قد غادر الاسكندرية كرهاً
لان الضرورة قد احوجته الى ذلك

ولما رأى فرناسس بن متريدات وقائلاً ان نار الحرب بين بومبايس
وقيصر قد تاحجت ظن الاوان قد آن لخلع نير نسطال الرومانيين على
وطنه فجاهر بالعصيان واخذ بحارب الامم المجاورة ليوسع نطاق مملكته
وقهر حاكم البلاد الاسيوية الروماني وشتت شمل عساكره وفرحل
لذلك قيصر من القطر المصري وتقدم في الديار السورية وما زال سائراً
حتى لقي فارناسس وجنوده فهجم عليهم برجاله ونكل بهم تنكيلاً وكان
انتصاره على البونتيين سريعاً جداً حتى انه قال يا بومبايس السعيد ان

اعداءك الذين قهرتهم واكتسبت بقهرهم لقب الكبير هم مثل هؤلاء ولكي
يظهر لاحد اصدقائه سرعة انتصاره في هذه الواقعة لم يجد وجهاً للتعبير بالغ
من قوله جئت ونظرت وغلبت

ثم عاد الى ايطاليا وحينما وصل الى برندز يوم لقيه سيسرون ماشياً لانه
كان محازباً لبومبايس فاراد بذلك استرضاءه فتنفاه قيصر بالبشاشة
والاكرام وسمح له بالرجوع معه الى رومية وحدث ان عساكره جاهدوا
بالعصيان لكونهم لم يعطهم الجزاء الذي وعدهم به فاهد نار تلك الفتنة بكلامه
فقط وتهديده اياهم انه يصرفهم ولا ياخذ لهم بالذهاب معه الى افريقيا لمحاربة
اعدائه هناك

الفصل الثالث

في حروب قيصر بافريقيا واسبانيا

واعماله في رومية

وموته سنة ٤٤ ق م

لقد اصبح قيصر بقهره بومبايس واعوانه في الشرق الرجل الوحيد الذي
يتسلط حقيقة على للعالم الروماني والحاكم الفريد الذي يرجع منه اصلاح
الاحوال وتوفير اسباب الراحة الداخلية والسلام ولو كان هذا البطل
حقوداً نظير من تقدمه لحضب ارض ايطاليا وعاصمتها بدماء اعدائه
الشرفاء ولكنه كان حليماً يحب العدل ويانف من القتل لذلك لم يرد قط
عدواً استسلم له او قدر على اخضاعه فاحبة الجميع واقامة الشعب ديكستاتوراً
لمدة عشر سنوات ولما استتب له الامر جمع جنوده وذهب الى افريقيا
ليجارت هناك لابنوس وكانوا وغيرها من بقي من حزب بومبايس فجرت

بين الفريقين وقائع كثيرة أشهرها وقعة نابلس حيث انتصر قيصر انتصاراً ميئاً
 وشنت شمل أعدائِهِ الأولى هرب بعض منهم الى اسبانيا وخضع لهُ البعض
 الآخر اما كانوا الشجاع فحينما رأى تضعع احوال قومهِ وانكسارهم يئس من
 الحمية وانف من الذل والخضوع لعدوه الا لد فدخل غرفته وبعد ان قرأ
 مراراً الندو وهو كتاب لافلاطون الفيلسوف وموضوعهُ خلود النفس اختلط
 سيفهُ وضرب به صدرهُ ووقع على الارض شهيداً عليه فاتتبه اصدقاؤه وانوه
 مسرعين وضمدوا جرحهُ ولما افاق وابصر ما فعلوه حنق وفتح الجرح وسحب
 احشاهُ بيده ومات سنة ٤٦ ق م

وقدر ابنا بومبايس وارفاقها الذين هربوا من افريقيا ان يستميلوا
 السواد الاعظم من الاسبانيين وان يجهزوا جنوداً كافية للقاء عدوهم
 وقتالوا فارسل قيصر لمحاربهم بعضاً من قواده وعاد هو الى رومية وولجها
 ظافراً غنائماً واحتفل بنصرته العديدة ثم اخذ في اصلاح الاحكام واجراء
 العدل غير مبالٍ بالصعوبات ولا خاشٍ في جانب الحق لومة لايم
 ومن اعماله المحسنة التي تذكر فتشكر هو اصلاح حساب السنة لان
 نوما ملك رومية الثاني قد جعل العام ثلاثاً وخمسة وخمسين يوماً اي زاد
 يوماً واحداً على السنة القمرية المستعملة اذ ذاك في بلاد اليونان واضاف
 اليها كل عامين شهراً واحداً عدد ايامه اثنين وعشرين ولما كانت سنتهُ
 هذه تزيد يوماً واحداً او ثلاثة ارباع اليوم على السنة الشمسية وكان الموجون
 بذلك يهلون احياناً زيادة الشهر المذكور اصبح الخلل على مر الزمان
 عظيماً فاتتبه قيصر لهذا الامر وجعل السنة الرومانية شمسية اي ثلاثاً وخمسة
 وستين يوماً واضاف كل اربعة اعوام يوماً واحداً الى شهر شباط كما هو
 جار الان في سائر الممالك المسيحية

واستفحل امر ابني بومبايس باسبانيا لان القواد المسلمين لمحاربتها لم
 يستطيعوا ان يفتحوها فرحف ذلك البطل الى تلك الديار سنة ٤٥ ق م

ولقيهما بالقرب من مدينة موندافانتشب القتال وكان مهولاً وبظهران
 عساكر الديكتاتور قد نسبت نصراتها السابقة والغر الذي حازته في
 حروبها الماضية فلم تثبت بادىء بدء بل رجعت الى الوراء وعولت على
 الفرار فوقف قيصر وقفة الحائر الكئيب لا يعلم ما يعمل ولا يدري كيف
 يكون الخلاص من الفضيحة حتى انه اراد ان يتخفى في ذلك النهار اخيراً
 جرّد حسامة واخذ مجسماً وهجم وحده على صفوف الاعداء مؤثراً الموت
 الزوأم على الحية بالذل والعار فشجع حينئذ القواد والجنود وتبعوه بقلب
 ثابت الى حومة الوغى وساحة الاخطار وحدث ان ليونوس احد قواد
 الاعداء ارسل خمس فرق لقتال بوغد ملك موريتانيا فاغنم قيصر هذه
 الفرصة واذاع ان عساكر البومبيين اخذت في الفرار فانتشر هذا الخبر
 في الجيوش وكان من نتيجته انكسار الاعداء حقيقة فأت منهم في هذه
 الواقعة ثلثون الف رجل وقواد كثير من جملتهم ليونوس واحد ابني
 بومبايس وهكذا انتهت هذه الحرب الاهلية التي امتد سعيها الى جميع اقطار
 العالم الروماني ولما رجع قيصر الى رومية احتفل بنصرته واعلن العنود
 نأواه وحازب خصمه وبني هيكللاً لالهة الرحمة ونصب تمثاله بالقرب من
 تمثال هذه المعبودة

ومنع المجلس العالي في ذلك الحين كل الالقاب الشريفة وعينه
 امبراطوراً اي فائلاً عاماً لجميع الجيوش الرومانية ومفتشاً ومدبراً الاموال
 المحكومة طول حياته ودعاه ابا ومخلص الوطن وبني هيكللاً للحرية لان
 الرومانيين قد نالوها على يده واعلن شخصه مقدساً نظير وكلاء الشعب
 وسمى باسمه الشهر السابع من السنة لانه ولد فيه وسمح له ان يضع دائماً على
 راسه اكليلاً من الغار وان يلبس في ايام الاعياد ثوب الانتصار وان يكون
 له محل مخصوص في الملاعب وان يجلس في المجلس والنورم على كرسي ذهبي
 وان ينصب تمثاله في جميع المدائن وسائر هياكل رومية وان يكتب على

بعض تلك التماثيل الى الاله الذي لا يغلب
ومعلوم ان قيصر قد طبع على محبة العظمة والرئاسة ودليل ذلك
الحروب المهولة التي خاض عجاجها غير مبال وقوله دائماً لاصدقائه اني
اود ان اكون الاول في قرية ولا الثاني في رومية غير ان اطاعة التي
مهدت له سبل المجد والنخار قد سببت هلاكه لانه لم يرض بالانساب
الشريفة التي منحه اياها المجلس الروماني ولم تكن المناصب العالية التي
نقلها بل تطلب ان يكون ملكاً ويرثي عرش الملك قبل ذهابه الى بارثيا
ليحارب اهلها وياخذ بثار صديقه كراسس فهاج سعيه هذا بغضة في قلوب
كثيرين من جملتهم برونس وكاسيوس وستون اخرون من عظماء
وشرفاء رومية فتآمروا بقتله وتعاهدوا على هذا الامر باوثق الايمان وفي
اليوم المعين لتنصيبه ملكاً اناه هولاء الموامرون وبينما كان جالساً في دار
الندوة تقدم اقدم المدعو سيمبر وجثا عند قدميه يسأله حاجة ثم امسك
بذيل ثوبه وهي العلامة التي جعلوها لاشهار السلاح وقتله فانفضوا عليه
حينئذ انقضا الصواعق وضربوه ثلاثاً وعشرين ضربة سقوه بها كاس المنون
وذلك عام ٤٤ ق. م في السنة السادسة والخمسين من عمره

الفصل الرابع

في الحكومة الثلاثية الثانية

وما جرى بعدها

الى حين موت انطونيوس

واستبداد أوكتافيانس بالاحكام

هيئات ان ينجو الوطن بقتل قيصر من الاستعباد وان تصبح

الجمهورية وطيدة الاركان والشعب حرًا كما كان قبل امتداد سلطنته على اقطار العالم المعروف وفساد اخلاقه بسبب ذلك لان العظماء ورجال السياسة حينما راوا تنعم ملوك الشرق وذاقوا لذة الاستبداد وعلموا ان لا عدو لهم في الدنيا يستطيع قتالهم فقدوا تلك الشجاعة التي اسسوا بها عظمة بلادهم ونسوا لمحبة الوطن حصن رومية الوحيد لدى النوازل الجلى واقبلوا على الدسائس والمكر بحبطون اعمال بعضهم ويسعون في اهلاك مواطنيهم لادراك ما تزيته لهم الاطاع فلا يشنون عن غيهم ولو ادركوا المنية بدلًا من المني وبناء عليه نجد الرومانيين بعد وفاة حاكمهم قيصر النشيط هدفًا لسهام البلايا ورزايا الحروب لان الاطاع قد عصفت برؤوس الروساء وغدت المدائن والاقاليم ساحات قتال تجري فيها دماء البشر انهارًا

وكان في بلاد اليونان فتى روماني لم يتجاوز بعد السنة التاسعة عشرة من عمره قد عرك الدهر من صغره فشبه شجاعًا طبعًا حكيمًا فلما علم بموت قيصر جاء مسرعًا الى رومية لان الديكتاتور قد تبناه وهو ابن بنت اخيه المسى اوكتافيوس الذي دعاه المجلس اوكتافيانوس فاخذ يستميل القلوب ويسعى في تهديد سبيل ارتقائه اوج الفخار فاتخذ لذلك مع انطونيوس قائد الفرسان وقائم مقام قيصر والمتولي وقتل من نصب القنصلية ورجلاً آخر خاملًا اسمه ليدوس ودعي اتحادهم هذا بالحكومة الثلاثية الثانية

وحينما استتب لهم الامر ونالوا ما كانوا يبتغونه احيوا في رومية والمدائن الخاضعة لها اعمال ماربوس وسلا الوحشية لانهم اهدروا دماء كثيرين اعداء واصدقاء من جملتهم سيسرون خطيب اللاتينيين الفريد الذي تحامل عليه انطونيوس لانه ثلث في الخطاب التي الفاها في ذلك العام دفاعًا عن حرية الجمهورية وبينما كان ذلك العالم العلامة سائرًا في البلاد هاربًا لقيه رجال الحكومة المرسلين لقتله فاراد خدامه ان يقتلوه ويموتوا فداء

سيدهم الا ان سيسرون منعهم من هذا الامر ومدّ عنقه للقتل فضربه هؤلاء الرجال واتوا انطونيوس براسه فعلقه بالمنبر في ساحة الفورم مضمار مجده

وبعد ان خضب اعضاء الحكومة الثلاثية ارض رومية بدماء ابنائها جهزوا الجنود وذهبوا سنة ٢٢٠ ق.م الى مكدونيه ليحاربوا برونس وكاسيوس اللذين حشدا الفرسان والابطال وكانا مستعدين للحروب انتقاماً من اعدائهم ودفاعاً عن حرية الرومانيين فالتقى الجيشان بالقرب من مدينة فيلبه وانتشب القتال وكان برونس تجاه اوكتافيانس فهجم عليه برجاله وصدمة صدمة الرئبال فدحر جنوده وما زال يضربهم ويطعنهم حتى شنت شملهم في تلك البطاح ودخل معسكرهم واستولى عليه اما انطونيوس فقاتل كاسيوس وقهره وظن هذا القائد ان رفيقه قد قهر ايضاً فضاك ذرعاً واخترط حسامه وانتحر وكانت نتيجة هذا الامر القاء الرعب وإثارة الياس في قلوب عساكر الجمهوريين وبعد ايام قليلة انكسر برونس فاقفني اثر صديقه وسلب مهجته بيده ولقد اصاب مؤرخ يسوعي بقوله في عرض الكلام على معركة فيلبه هذه ان الانتحار داب الكافرين الذين يرون في قتل النفس دواءً شافياً لادواء الحيرة ولكن الدين والعقل وفطرة الانسان تانف منه ووثنيون كثيرون قد نسبوه الى جبن المرء الذي لا يستطيع الصبر على حدثان الدهر غير ان المؤرخ المذكور لم يخبرنا ماذا كان واجباً على برونس ان يعمل لو صبر لينجى من اعدائه الراغبين في قتله وتعذيبه لانهم لم يثيروا الحرب الا لاهلاكه

واقسم اوكتافيانوس وانطونيوس بعد وقعني فيلبه املاك الجمهورية الرومانية فنال الاول بلاد الغرب واحذ الثاني بلاد الشرق ولما كان انطونيوس زير نساء تبه هوى كليوباترا ملكة مصر واصبح اسير جماها يقاد لها طوعاً بازمة حبها ومكرها وكان يقضي لذلك اوقاته بالولائم

والمسرات ناسياً محبته وفخره ومهبلآ واجباته لتوطيد سلطته وصيانة شرفه حتى انه طلق امرأته اوكتافيا اخت صديقه وحليفه وتزوج حبيبة كليوباترا التي وسع نطاق مملكها بنحو اياها ليبيا وقبرص وسهل كليسيريا (البقاع) وفي هذا الاثناء زحف بجنوده لمحاربة ملك بارثيا فقاتله مراراً وعاد من تلك الديار بالذل والفشل الا انه قهر سكسنس بن بومبايس الكبير الذي استغل امره في سيسيليا وجمع جيشاً عرمرماً ليستولي به على ايطاليا . اما اوكتافيانوس فكان باذلاً جهده في توطيد سلطته واتخاذ الوسائل اللازمة لارداء رفيه والاستبداد بالاحكام وحده وعليه ففي سنة ٢١ ق م حينما رأى ضعف انطونيوس وانهما كبة في الملذات اضرم نار العداوة وسود سيرته لدى المجلس والشعب وجهاز عمارة مولفة من ثلثمائة سفينة واتى لمحاربته في البلاد الشرقية وبظهر ان الخطر قد نبه انطونيوس من رقدة الاهال فجمع جيشه وسفنه وتقدم لقتال صديقه القديم وشريكه في السلطة والمجد فالتقت العمارتان بالقرب من راس اكتيوم وانتشبت الحرب وكانت عوناً وثبت الفريقان فيها ثبات الابطال الى ان ولت كليوباترا هاربة الى مصر فلتحق بها انطونيوس لانه كان يؤثر التمتع بجمهاها على فخر الانتصار وملك العالم باسره فظفر حينئذ اوكتافيانوس على من بقي من جيوشه وسفنه وسار مسرعاً الى الديار المصرية ليحاربه هناك ويقتله .

ومعلوم ان اصلقاء المرء يكثرون او يقلون حسب نجاحه وتاخره في العالم لان الصديق الصدوق نادر وجوده والاخلاص في سائر الاحوال امر شبيه بالمستحيل وعليه فخلعاً انطونيوس حينما راوه مهزوماً ذليلاً تركوه وشانه وتباروا في مصادقة اوكتافيانوس والخضوع له حتى ان عمارته وجنوده بعد ان نازلت اعداءه مرتين او ثلث خائفة وامنت الى اوكتافيانوس ففازت منه بالامان

ودخلت كليوباترا الى قصرها واوصدت ابوابه واذاغت انها يست

من الحيوة وقتلت نفسها وبلغ ذلك حبيبها فضاقت ذرعاً وقال الويل لك يا انطونيوس ماذا نامل في هذا العالم وقد مضت التي كنت تحب الحيوة لاجلها ثم ذهب الى غرفته واخذ في النجيب وهو يقول يا كليوباترا ليس فراقنا اعظم سبب لحزني لانا سنجتمع مرة اخرى ولكنني اموت اسي حينما اراك قد فقتني بالشجاعة انا الذي تسلط على الابطال ودانت له سادة الناس صاغرة وفي الحال دعا اروس اصدق خدامه وامره ان يستل سيفه ويقتله فلم يصدع اروس بامر بل اختلط حسامة وضرب نفسه وخر قتيلاً عند قدميه ولما رآه يحنط بدماء صرخ قائلاً يا صديقي اروس اني اشكرك على تعليمك اياي ان اعلم ما ايت انت اجرآه اكراماً واجلالاً لي ثم جرد حسامة وضرب به صدره وسقط على فراشه فارسلت كليوباترا احد خدامها واحضرته الى قصرها فقضى نحباً بعد برهة مسروراً ان يراها قبل موته

وكانت كليوباترا آملة انها ستفتن اوكتافيانس بجملها الباهر فخاب املاها لان ذلك القائد الفتي كان لا يعرف سلطاناً غير الاطاع ولا يحب شيئاً سوى التسلط على البشر وكان مراده ان يمضرها الى رومية لتمشي امام مركبته حينما يحتفل بنصرته فبذل جهده في ارضائها حتى تمكن من القبض عليها ولما علمت هي بما نوى ذهبت الى ضريح انطونيوس وندبته بعبارات نفنت الاكباد ثم عادت الى منزلها ولبست لباس الزينة وبعد ان اكلت دخلت مخدعها ووضعت على ذراعها حبة اتوها بها في قرطل نين فلدغتها الحية وماتت عام ٢٠ ق م في السنة التاسعة والثلاثين من عمرها والعشرين من ملكها على الديار المصرية وانقضت بموتها دولة البطالسة التي تسلطت مائتين واربعاً وتسعين سنة وجعلت مصر لذلك ولاية رومانية وفي سنة ٢٩ ق م رجع اوكتافيانوس الى رومية واحتفل بنصرته واغلق ابواب هيكل جانس دلالة على السلام العام ونولى جميع المناصب العالية ودعى ابا الوطن وامير السلام ومصلح العالم وهكذا تلاشت الحكومة

الجمهورية حقيقة واستبدلت بالحكومة الملكية وسمى المجلس اوكتافيانوس
باوغستوس اي المعظم وهو اول سلطان نسلط على العالم الروماني

قال مولفه نجيب ابرهيم طراد هذا ما اردت جمعه من اخبار امة
سادت بشجاعتها وملكت الخافقين ببطشها وحكمة بنيتها وزالت ولم تزل
كتبها واعمالها نبصرة لارباب العياسة والنهي بها يتصح الجاهل ويهتدي
العاقل في ليل حياته البهم ولا بدع اذا راينا علماء الغرب يقضون سنوات
عديدة في درس لغتها التي درست لانها مصدر لغاتهم واساس ادابهم وقد جهد
اشهر كتبتهم مثل رولان ومتاسكيه وغبون في وضع تاريخها وشرح اسباب
نقدمها وسقوطها فشرحوا الصدور بكلامهم البليغ وحلوا جيد افعالها
بعبارتهم الدرية فاكسبوها طلاوة جديدة ولكل جديد طلاوة ولا يخفى عن
الفارئ اللبيب انني ملكت في هذا المؤلف مسلك الاختصار كما نهيت مراراً
في عرض الكلام على بعض الحوادث لاسيما في صفحة ٦٥ فليراجع كل ذلك في
موضعه وساباشر قريباً طبع تاريخ سلاطين رومية والدولة الرومانية
الشرقية ايضاً بالوعد

فهرس

صفحة

١	المقدمة
٤	فاتحة الكتاب
	الباب الاول
	في ملوك رومية وهم سبعة من سنة ٧٥٢ الى سنة ٥١٠ ق. م. او
١١	من سنة ١ الى سنة ٢٤٢ ب. ر.
	الفصل الاول
	في ملك روملس من سنة ٧٥٢ الى سنة ٧١٦ ق. م. او
١١	من سنة ١ الى سنة ٢٧ ب. ر.
	الفصل الثاني
	في ملك نوما من سنة ٧١٥ الى سنة ٦٧٢ ق. م. او
٢١	من سنة ٢٨ الى سنة ٨٠ ب. ر.
	الفصل الثالث
	في ملك طلئس هوسنيليوس من سنة ٦٧٢ الى سنة ٦٤١ ق. م.
٢٥	او من سنة ٨٠ الى سنة ١١٢ ب. ر.
	الفصل الرابع
	في ملك انكس مارسيوس من سنة ٦٤١ الى ٦١٦ ق. م.
٢٩	او من سنة ١١٢ الى سنة ١٢٧ ب. ر.
	الفصل الخامس

صفحة

في ملك طاركوينس برسكس او طاركوينس الاول من
سنة ٦١٦ الى سنة ٥٧٨ ق. م او من سنة ١٢٧ الى سنة

٢٠

١٧٥ ب. ر

الفصل السادس

في ملك سرفيوس طليوس من سنة ٥٧٨ الى سنة ٥٢٤ ق. م
او من سنة ١٧٥ الى ٢١٩ ب. ر

٢٥

الفصل السابع

في ملك طاركوينس العاتي او طاركوينس الثاني وهو اخر
ملوك روميه من سنة ٥٢٤ الى سنة ٥١٠ ق. م او

٤١

من سنة ٢١٩ الى سنة ٢٤٢ ب. ر

الباب الثاني

من ابتداء الحكومة الجمهورية سنة ٥٠٩ الى حين تجديد
بناء رومية سنة ٢٨٨ ق. م بعد ما حرقها الغاليون او

٤٧

من سنة ٢٤٤ الى سنة ٢٦٥ ب. ر

الفصل الاول

٤٧

في القنصلية الاولى

الفصل الثاني

في حرب بورسينا وهيجان المدبونين . واقامة ديكتاتور

٥٢

ووقعة رجس

الفصل الثالث

في هيجان المدبونين وذهابهم الى الجبل المقدس

٥٧

واعمال كور يولانس

الفصل الرابع

صفحة

خصام العوام والشرفاء وحرب الأكوبيين وشرائع الاثني عشر لوجا وما جرى لفرجينيا مع احد الحكام

٦٢

العشرة

الفصل الخامس

خصام العوام والشرفاء واقامة مفتشين واستبدال
الفتصلين بولاة عسكرين وتعين اجرة للمجنود وحرب
مدينة في وفالريا وخروج كاملس من رومية
وحرب الغاليين مع ذكر اسبابها ورجوع كاملس الى
رومية وطردهم منها

٨٠

الباب الثالث

من حين تجديد بناء رومية سنة ٢٨٨ ق.م
بعد ما حرقها الغاليون الى الحرب القرطجية الاولى

٨٨

سنة ٢٦٤ او من سنة ٢٦٥ الى سنة ٢٨٩ ق.م

الفصل الاول

قتال الرومانيين للام المجاورة والغاليين والفاء مناصب
الولاة العسكرين واقامة برنور واديل وحرب

٨٨

السميتيين واللاتيين

الفصل الثاني

في حرب السميتيين وخضوعهم لرومية

٩٥

الفصل الثالث

حرب الترتيين وبيرس

١٠٠

الباب الرابع

من ابتداء الحرب القرطجية الاولى سنة ٢٦٤ الى

صفحة

انتهاء الحرب الثانية سنة ٢٠١ ق م او من

١٠٨

سنة ٤٨٩ الى سنة ٥٥٢ ب ر

١٠٨

نوطنة

الفصل الاول

١١١

حرب قرطجنة الاولى

الفصل الثاني

حرب القرطجيين الاهلية وقتال الرومانيين للابليبيين

١١٨

والغالبيين

الفصل الثالث

١٢٢

في الحرب القرطجية الثانية

الباب الخامس

من انتهاء الحرب القرطجية الثانية سنة ٢٠١ الى حين

انتهاء الحرب الثالثة وخراب مدينة قرطجنة سنة

١٤٨

١٤٦ ق م او من سنة ٥٥٢ الى سنة ٦٠٧ ب ر

الفصل الاول

الحرب المكدونية الاولى والثانية وحرب انطيوخس الكبير

١٤٨

ملك سوريا وموت انيبال

الفصل الثاني

١٥٢

في الحرب القرطجية الثالثة

الباب السادس

من حين انتهاء الحرب القرطجية الثالثة سنة ١٤٦ الى

اقامة الحكومة الثلاثية الاولى سنة ٦٠ ق م

١٥٦

ومن سنة ٦٠٧ الى سنة ٦٩٦ ب ر

صفحة

الفصل الاول

في اخضاع اليونانيين وحصار نيبانسيا ونزاع

١٥٦

الغراكيبين والشرفاء وحرب العبيد في ميسيليا

١٦٣

الفصل الثاني في حرب بوغرنا

الفصل الثالث

في حرب السمبريين واليتونيين والحرب الاهلية والابطالية

١٦٦

الفصل الرابع

١٧٠

في حرب متريدات الاولى وعداوة ماريوس وسيلاً

الفصل الخامس

في استيلاء سيلاً على رومية واقامته ديكتانورا

١٧٩

طول حياته الى حين موته سنة ٧٨ ق م

الفصل السادس

١٨٦

في حرب متريدات الثانية والثالثة

الفصل السابع

ملخص ترجمة حياة سيسرون وبورسيوس كانوجوليوس

قيصر وسرجيوس كاتلينا قبل شوب نار الفتنة التي

١٩٥

اضررها الاخير

الفصل الثامن

١٩٩

في مؤامرة كاتلينا

الباب السابع

من حين اقامة الحكومة الثلاثية الاولى سنة ٦٠ الى

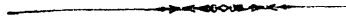
٢٠٦

حين نسلط اوكتافيانوس سنة ٢٩ ق م

الفصل الاول

صفحة

- اعمال قيصر في رومية وحروب في البلاد الغالية مع
 ٢٠٦ ذكر حرب كراسس ببارثيا
 الفصل الثاني
- في حرب قيصر مع بومبايس وموت الاخير مع ذكر اعمال
 ٢١١ قيصر في الشرق
 الفصل الثالث
- في حروب قيصر في افريقيا واسبانيا واعماله في رومية
 ٢١٦ وموته سنة ٤٤ ق م
 الفصل الرابع
- في الحكومة الثلاثية الثانية وما جرى بعدها الى حين موت
 ٢١٩ انطونيوس واستبداد اوكتافيانوس بالاحكام



اصلاح غلط

تنبيه . قد وردت في بعض الصفحات لنظرة العدوان بدلاً من العداوة
ولنظرة زنة بدلاً من وزنة

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٤ و ١١٥	١٦ و ١٠	الرومانيين	الرومانيون
١٦	١٨	لم	لها
١٦	٢٢	التي	اللواتي
٢٤	١٦	ثلاث	ثلاثاً
٢٦	١٦	ضعفا	ضعفنا
٢٩ و ٤٠	٦ و ٥	اغلال	غلال
٢٢	٩ (في بعض النسخ)	مواداً	مواد
٢٤	٩	اللذان تزيّياً	اللذين تزيّياً
٧٢	٦	خمس عشر .	خمس عشرة
٨١	١٥	باربها	باربها
٨٨	١٩	بعذرهم	بعوذهم
٩٠	١٢	هذا الاثناء	هذ الاثناء
١٠٤	٩	الامراء	الاسراء
١١٨	٤	استاجرهما	استاجرهما
١٢٢	٢	الواردة	والواردة

صفحة	سطر	خطاً	صواب
١٢٨	١٢	ادلآء	ادلآء
١٢٩	٢	حاربو	حاربو
١٤٠	١٦	الى كان	الى ان كان
١٤١	٦	الذين	الذين
١٨٢	٩	حيثئذ	حيثئذ
١٨٢	١٥	الزمار	الذمار
١٩٢	٢٢	بعسكره	بعسكره
٢١١	١٢	اهواءهم	اهواءها
٢١٢	٢٠	فقهرهم	فقهرها

